بل الإعجاز العلمي حقيقة وضرورة
رد على كتاب وهم الإعجاز العلمي للدكتور خالد منتصر

الفهرس

مقدمة
الفصل الأول: ما هو الإعجاز العلمي
الفصل الثاني: العلاقة بين العلم والدين
الفصل الثالث: نماذج لآيات فيها إعجاز علمي
الفصل الرابع: القرآن والفهم العصري بين د. بنت الشاطئ ود. مصطفى محمود
الفصل الخامس: هل مشكلة د خالد منتصر هي مع الإعجاز العلمي أو مع القرآن نفسه
الفصل السادس: وحديث عن السنة النبوية
الفصل السابع: حديث الذبابة
الفصل الثامن: بين الدين المتشدد والعلمانية
الفصل التاسع: الفصل بين الدين والدنيا
الفصل العاشر: هل الإعجاز العلمي يعتمد على التلاعب بمعاني الكلمات
الفصل الحادي عشر : فوبيا العلم أم فوبيا الدين
الفصل الثاني عشر : العلم والإيمان ام العلم والدروشة
الفصل الثالث عشر : ثالثة الأثافي
الفصل الرابع عشر: مشروع نقل الأعضاء
الفصل الخامس عشر : هل العلم علماني
الفصل السادس عشر: هل العلمانية كلمة قبيحة "
الفصل السابع عشر : هل الدين هو المسئول حقا عن التخلف الذي نعانيه
الفصل الثامن عشر : دارون وعبقريته !
خاتمة

مقدمة

عنوان الكتاب : بل الإعجاز العلمي حقيقة وضرورة ، وواضح من استخدام كلمة " بل " التي تفيد الإضراب عما قبلها ، أنها تعارض فكرة أخرى ، وهذه الفكرة هي ما يبدو من عنوان الكتاب الذي أريد الرد عليه في هذا الكتاب وهو : " وهم الإعجاز العلمي " لمؤلفه د. خالد منتصر

يبدأ د. خالد في كتابه بتقرير ما يرى أنه هذه الحقيقة:

الإعجاز العلمي وهم صنعته عقدة النقص عند المسلمين

هكذا يحلل د خالد منتصر حال المسلمين ، تحليلا علميا نفسيا ،يستنتج منه ، أن هؤلاء المسلمين مصابون بعقدة النقص بسبب تخلفهم الحضاري ، وعلى ذلك فهم يتوهمون شيئا لا وجود له في قرآنهم ، لتعويض عقدة النقص هذه ، شيء اسمه الإعجاز العلمي ، الذي يفهمه أيضا د. خالد منتصر انه سبق علمي أتى به القرآن لبعض الحقائق العلمية المعروفة ، قبل اكتشافها بقرون

وبالإضافة إلى المفهوم الخاطئ تماما بل المقلوب ، المشوش المشوه لفكرة الإعجاز العلمي في القرآن ،والتي بنى عليها د. خالد منتصر كل اعتراضاته ، والتي كان يكفي لهدمها ، هدم الأساس الخاطئ الذي بنيت عليه ، فأنا في هذه المقدمة أذكر شيئا واحدا آخر أفند به مزاعمه :

هل المسلمون وحدهم هم الذين تحدثوا عن مطابقة القرآن للمعارف الحديثة ؟

الغريب أن الذي يهدم نظرية حضرة الطبيب التي تعتمد على أن السبب وراء موضوع الإعجاز العلمي هو الشعور بالنقص والدونية ، أن هذا الموضوع قد بدأ تناوله وازدهاره في الفترة الحديثة بعد ما ألف الجراح الفرنسي المعروف كتابه الأشهر : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة في أوائل سبعينات القرن الماضي والتي كان تناوله للآيات ذات الطابع العلمي للقرآن فيها هو استكمال العمل الذي كان يعني به أولا والذي يخص التوراة والإنجيل ، وليس زغلول النجار وحزبه هو الذي بدأه.

وحتى الدكتور مصطفى محمود لم يتناول الموضوع بهذه الطريقة التي تحدث الآن، وفي برنامجه الشهير لم يكن غالبا يتحدث عن إعجازا علميا في القرآن ولكن عن ارتباط بين قضيتي العلم والإيمان.

فالحقيقة إذا أنه ليس المسلمون المتخلفون المعقدون نفسيا بكل عقد النقص التي يفرغونها في كل مزاعمهم في وجود إعجاز علمي في القرآن حسب زعم حضرة الطبيب هم وحدهم الذين ربطوا القرآن بالعلم ، أو حتى ربطوا الكتب المقدسة بالعلم ، ولكن من يقرأ كتاب الدكتور بوكاي يدرك أنه لابد أن تكون في أي كتاب مقدس آيات أو موضوعات إما تتفق أو تختلف مع ما هو ثابت الآن يقينا من حقائق علمية.

والغريب أن د. خالد يعترف بهذا ولكن فقط عندما يحاول إثبات خطأ الآية علميا، زاعما أن هذه الأخطاء العلمية في القرآن هي الإعجاز الحقيقي،حتى يكون مفهوما في ذلك العصر البعيد !

ولكن الدكتور بوكاي يؤكد على أنه لا يمكن قبول أي خطأ علمي في كتاب مفروض أنه منسوب إلى الله خالق العلم ومنشؤه ، لا يمكن أن يحدثنا الله في كتاب منسوب إليه بصورة خاطئة عن خلقه الذي ينتسب إليه أيضا ، وكان هذا هو الأساس أو الفكرة التي بنى عليها مقارنته الشهيرة ، مستخدما الحقائق العلمية الثابتة ، وليس النظريات العلمية القابلة للتغير .

ولم يعترض أحد على المبدأ نفسه حتى في الغرب العلماني ، وفي فرنسا بلده ، معقل العلمانية ، ولم ينظر أحد من أهل الدول المتقدمة التي ينتمي إليها هذا الطبيب هذه النظرة إلى نصاب ودجال كما يفعل طبيبنا ، ولكن كان رفضهم واستنكارهم أن تتضمن هذه المقارنة القرآن الكريم ، الذي لا يعتبرونه أبدا كتابا مقدسا ،

كان اشتمال بحث د. بوكاي على القرآن ، من قبيل استكمال العمل الذي يقوم به ، والخاص في الأساس بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، لم تكن لدى د بوكاي أي فكرة عن القرآن الكريم كما يقول هو نفسه ، وأن الذي جعله يهتم هو ما وجده في القرآن، خلافا لما كان يظن أو يتوقع ، لنرى ما يقول في كتابه الشهير : " مقارنة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ":

" لقد أدهشتني في البداية هذه الصورة العلمية الخاصة بالقرآن إلى حد بعيد لأني لم أكن أظن أبدا أنه يمكن حتى هذا الزمن أن نكتشف في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا عددا من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع والمتفقة تماما مع المعارف العلمية الحديثة ولم يكن لدي في البدء أي إيمان بالإسلام ، وقد بدأت هذا الاختبار للنصوص بموضوعية كاملة و بفكر متحرر من كل حكم مسبق ولئن كان ثمة من تأثير يمكن ان يمارس علي فهو تأثير التعليم الذي تلقيته في شبابي عندما لم يكن الناس من حولي يتحدثون عن المسلمين بل عن المحمديين لصرف الأسماع إلى أن الدين المتحدث عنه مؤسس من إنسان ولا يمكن أن يكون له بالتالي اي قدر عند الله ."

" أما وقد قدرت ما يفصل حقيقة الإسلام عن الصورة التي لدينا عنه في بلادنا الغربية فقد أحسست بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية التي لم أكن أعرفها لأكون قادرا على التقدم في

دراسة دين مجهول إلى حد بعيد ، وقد كان غرضي الأول منصبا على قراءة القرآن ، وعلى اختبار نصه عبارة، بمساعدة تفسيرات مختلفة لا يستغنى عنها في دراسة نقدية ."

الحمد لله ، على الرغم من كل هذا التخلف الذي يسهب طبيبنا في وصفه ، حتى أنه أصابنا بعقد النقص والشعور بالدونية ، يأتي إنسان ينتمي إلى عالم الغرب المتقدم ، ليرى في هذا الكتاب ما يتحدث عنه ، بعيدا عن تأثره بما هو عليه حال المؤمنين ، ولم يلق عليه ، ولا على تمسكهم به وبدينهم ،مسئولية كل هذا التخلف ، قمة الموضوعية ، والتجرد ، والرغبة في الوصول إلى الحقيقة كما هي ليس كما يحب أن تكون

ويقول في كتابه أيضا :

: تناولت القرآن منبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه إلى حشد كبير من الظواهر الطبيعية لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون عنها أدنى فكرة، وأذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات. وقد قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية في نص القرآن... إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة: فهناك الخلق، وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان، وعالم النبات، والتناسل الإنساني... وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكشف في القرآن أي خطأ. وقد دفعني ذلك لأن أتساءل لو كان كاتب القرآن إنساناً، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ...."

فهل كان هذا الرجل يتعامل مع مركبات النقص والعقد عند المسلمين فيحاول أن يريحهم ويدخل السرور على أنفسهم ويسايرهم في معتقداتهم الوهمية أم كان رجلا محايدا علميا ؟، هذا الكتاب لم يؤلفه للمسلمين وهناك محاضرة ألقاها في الأكاديمية الفرنسية أورد مقتطفات منها :

الدين والعلم

في التاسع من نوفمبر سنة 1976 م أُتيح لى أن أقدم للأكاديمية الفرنسية محاضرةً فريدة في موضوعها حول : "علوم الأَجنّة ووظائف الأعضاء في القرآن الكريم"،تناولت فيها : بعض ما جاء بالقرآن الكريم من "إشارات" تتصل بالتكاثر والفسيولوجيا البشرية

الدافع إلى إعداد هذه المحاضر ة:

وقد دفعني إلى إعداد هذه المحاضرة : انبهاري بما جاء في القرآن الكريم من إشارات إلى معارف ومفاهيم لم يكتشفها العلم إلا في العصر الحديث.

والقرآن هو الكتاب الوحيد من نوعه بين أيدينا الذي جاء بمعارف تسبق عصر تدوينه بقرون

العلم والدين توأمان في الإسلام

إن الدارس للإسلام يعرف أن العلم والدين فيه توأمان حتى في هذا العصر الذي قطع العلم فيه أشواطا تبدو مذهلة

لم يصطدم الإسلام أبدا مع العلم ، بل على العكس ألقت المعارف الحديثة أضواءا جلت لنا معاني القرآن وما فيه من روعة ،

في هذا القرن الذي بدا فيه للغرب ، وللعالَم غير المسلم أن الحقائق والأفكار العلمية قد أجهزت على بقايا الفكر الديني – كان الأمر في العالم الإسلامي مختلفًا تمامًا ، فقد ساعدت هذه الكشوف والحقائق العلمية ذاتها على إثبات ما في رسالة الإسلام، والنص القرآنيّ من إعجازٍ علميّ يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة؛ أي: من وحي الخالق الأعظم

وعلى رغم كل التيارات والدعاوَى الفكرية التي تخبطت فيها عقول البشر؛ فإن المعارف العلمية لابد أن تدفع العقل المحايد المتحرر من الأهواء إلى التأمل في قضية الإيمان؛ فكثير من البحوث في ظواهر الطبيعة والحياة تؤدي بشكل تلقائي إلى تدبر المفاهيم الدينيةِ

وغير الدكتور موريس بوكاي كان هناك الكثير من العلماء الغربيين الذين بهرتهم مثل هذه المعارف الموجودة في القرآن والتي اعترف بعضهم بأنها لا يمكن أن تكون موجودة عصر نزول القرآن ولذا فهم لا يجدون مشقة في الاقتناع بأن القرآن من عند الله وأن محمد (عليه الصلاة والسلام) هو رسول الله وأعني به خصوصا د. كيث مور عالم الأجنة الكندي الشهير الذي يواجه ذكر اسمه بهجوم حاد ممن لا يؤمنون بالقرآن هجوم يفتقر لأقل قدر من الموضوعية ، لأنه عندما يدلي عالم مثل هذا بشهادته في تطابق ألفاظ القرآن التي تتحدث عن مراحل خلق الجنين والحقائق العلمية الحديثة ونرى حديثه جميعا بالصوت والصورة وهو يستعرض الشرائح التي يدلل بها على قناعته فهذه ليست طبعا شهادة إنسان انفرد برؤية ما لا يراه غيره فتكون معتمدة كليا على مصداقيته ، ولكن شهادة إنسان خبير لديه من العلم ما هو متاح لغيره من العلماء ليدركوه ويتأكدوا منه.

تحليل د. خالد منتصر النفسي إذا تحليل عار تماما عن الصحة، و الموضوع إذا ليس أوهام وتخيلات لا أساس لها منشؤها رغبة المسلمين في تعويض ما يشعرون به من نقص ، ولكنه أمر حقيقي جاد آمن به واقتنع به غيرهم ، وليس مطلوبا من الجميع أن يؤمنوا بما آمن به هؤلاء ، فكل إنسان حر فيما يتبناه من أفكار ولكني هنا أرد فقط على الزعم بأن الشعور بالدونية هو الدافع وراء ما زعمه حضرة الطبيب من ادعاءات ...

الحقيقة أن التناول الذي سأقوم به في هذا الكتاب عن الإعجاز العلمي، مختلف تماما عن فكرة د. خالد عنه، مما ترتب عليه اختلاف في النظرة لكل من العلم والدين في كليهما ، أنا في كتابي هنا ركزت على الصلة الوثيقة بين العلم والدين لاعتباري أن هذا هو الموضوع الأساسي السابق على موضوع الإعجاز العلمي في الأهمية ، والذي لا يأتي الإعجاز العلمي إلا في سياقه .

أما كتاب د. خالد منتصر ،فبسبب تبنيه لفكرة الفصل التام بين العلم والدين ، ولأنه لا يرى أصلا أن هناك ثمة صلة بينهما ، وبسبب أفكاره ذات الطابع العلماني ، نجد أنه بعد التعرض لموضوع الإعجاز العلمي وبيان كيف أو لماذا يرى أنه وهم ، كانت فصول الكتاب كلها ، إما تصوير لغيبوبة ، وتخلف المسلمين علميا ، والفتاوى المختلفة التي تصور هذا التخلف أو هي سبب له، وإما حديث عن الفتوحات الغربية العلمية حديثا يغلب عليه الطابع العلماني مثل : " قنبلة علمية ، ولد أو بنت ، تفصيل حسب الطلب**!**" أو الهندسة الوراثية ، أو الحمض النووي ، ولم ينس طبعا أن يفرد فصلا للحديث عن العلمانية والدفاع عنها والدعوة إليها ولو تكبدنا من التضحيات ما تستحقه وإلا غرقنا في ديون الماضي إلى أبد الآبدين **!**

والحقيقة التي أراها كما ذكرت في كتابي، أن الموضوع الأساسي بالنسبة لدكتور خالد منتصر ، ليس في الحقيقة هو الإعجاز العلمي بقدر ما هو التشكيك في مصداقية القرآن نفسه من وراء ستار الإعجاز العلمي ، وقد قمت بعرض أدلة وبراهين على ذلك كما أفهمها ، وأرجو مراجعتي فيها ممن لا يرون رأيي .

حاولت أن أكون موضوعية ودقيقة فيما أقول بقدر الإمكان, والله سبحانه وتعالى يوفقني إلى ما يرضيه .

الفصل الأول

ما هو الإعجاز العلمي

المفروض عند التعرض لموضوع مثل الإعجاز العلمي وحتى يكون كلامنا موضوعيا ومحددا ودقيقا، أن يكون أول ما نتناوله هو تعريف هذا الذي نتحدث عنه، فما هو الإعجاز العلمي تحديدا:

هل هو سبق علمي بمعنى أن القرآن قد سبق وذكر هذه المعلومة أو الحقيقة العلمية، قبل اكتشافها ؟

هل هو استخراج المعلومة أو الحقيقة العلمية من القرآن ومن الأحاديث النبوية الشريفة وبذلك نستبدلهما بالمعمل والميكروسكوب، وإتباع المنهج العلمي ؟

هل يوجد هدف علمي وراء الإعجاز العلمي ؟

الحقيقة أن كل ما أتساءل عنه هو فعلا ما يعتقده وما يراه معظم المتناولين لهذا الموضوع ، و على هذا الفهم تعتمد معظم حجج د. خالد منتصر في رفضه لموضوع الإعجاز العلمي ، لننظر ما ذا يقول :

"القرآن كتاب دين وهداية وليس كتاب فيزياء أو كيمياء وإنكار الإعجاز العلمي ليس كفرا ولا هو إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة، فالقرآن ليس مطلوبا منه ولا ينبغي له أن يكون مرجعا في الطب، أو رسالة دكتوراه في الجيولوجيا "

"فلم نعد نملك من متاع الحياة إلا أن نغيظهم "يعني أهل الغرب " بأننا الأجدع والأفضل وأن كل ما ينعمون به من علوم وتكنولوجيا تحدث عنه قرآننا قبلهم بألف وأربعمائة سنة "

1"والرد المنطقي الثاني على جمعية المنتفعين بالإعجاز العلمي هو أن منهج تناولهم للكشوف والتنبؤات العلمية في القرآن منهج مقلوب ومغلوط ، فنحن ننتظر الغرب الكافر الزنديق حتى يكتشف الاكتشاف ، أو يخرج النظرية من معمله ثم نخرج لساننا له ، ونقول كنت حا أقولها ما هي موجودة عندنا بين دفتي القرآن ، ونتهمهم بالغباء والمعاندة والتكبر ، ولا نسأل أنفسنا إذا كانت تخريجاتهم ودعبساتهم في القرآن الكريم التي يقولون عنها إعجازا علميا بهذا الوضوح ، فلماذا لا يحدث العكس فتخرج النظريات ، قبل دراسة الغرب فنسبق بها الغرب ، ونغيظهم ونقهرهم بعلمنا الفياض ....الخ"

"وكذلك جر العلم من المعمل إلى المسجد، يجعل معيار نجاح النظرية العلمية هو مطابقته للنص الديني، سواء كان آية أو حديث نبوي، وليس مطابقته للشواهد العلمية والمعملية، ..."

والدكتور خالد يصدر معظم صفحات كتابه وهم الإعجاز العلمي تقريبا بعبارة : " العلم يرتدي العمامة "

ما نفهمه من كل هذه الحجج أن مفهوم الإعجاز العلمي بالنسبة للدكتور خالد منتصر هو أننا هكذا قد جعلنا من القرآن كتاب علوم بدلا من كونه كتاب هداية . و أنه عبارة عن سبق علمي ، بمعنى سبق وجود المعلومة العلمية في القرآن قبل اكتشافها علميا ، ولذا فالرد المنطقي لديه على مؤيدي الإعجاز العلمي هو ولماذا إذا تنتظرون حتى يتم اكتشاف الحقيقة علميا ثم تزعمون وجودها عندكم في القرآن قبل أربعة عشر قرنا ، حتى إنه عندما يتعرض لأي مدافع عن فكرة الإعجاز يكون السؤال الذي لا يجد خيرا منه ليفحمه هو ، اذكر لي حقيقة علمية واحدة تم اكتشافها من القرآن قبل اكتشافها علميا ، وعلى هذا فالإعجاز العلمي بالنسبة له هو جر النظرية العلمية من المعمل والميكروسكوب إلى المسجد ، وعلما يرتدي العمامة.

ولكي لا نظلم الدكتور خالد منتصر، نقول إن هذا المفهوم مع الأسف يشاركه فيه الكثير من المدافعين عن فكرة الإعجاز العلمي، البعض حتى يشتط فيطالبنا أو ينصحنا بالتمعن في آيات القرآن حتى نستخرج منه بعض الحقائق التي لم تكتشف بعد.

فهل هذا فعلا هو المفهوم الصحيح الحقيقي للإعجاز العلمي ؟

الحقيقة أن هذا الفهم أقل ما يوصف به أنه فهم خاطئ ، مشوش ، مشوه، ساذج وضحل للإعجاز العلمي ، هو السبب في كل هذا الخلط واللبس الذي نعاني منه في هذا الموضوع .

الإعجاز العلمي: ليس سبقا علميا

ولا هو استخراج للمعلومة أو الحقيقة العلمية من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة بدلا من استخدام المنهج العلمي والأدوات العلمية بما يعني جر النظرية العلمية من المعمل إلى المسجد كما يقول.

كما أنه لا يوجد ثمة هدف علمي وراء القرآن أو الأحاديث النبوية، وبالتالي وراء الإعجاز العلمي الذي لا أراه إلا حقيقة بل ضرورة .

جميع آيات القرآن الكريم ليس لها سوى هدف واحد هو الهداية الدينية

كما أن المعلومة أو الحقيقة العلمية بكل تفاصيلها ودقائقها ، وعمقها وامتدادها ، لا توجد إلا في مكان واحد هو كتاب العلوم المتخصص أو المجلة العلمية أو ما شابهها ، والطريقة الوحيدة للحصول عليها بعد الحواس هو المعمل والميكروسكوب والمنهج العلمي ، وليس البحث في القرآن والأحاديث ، الله لم ينزل القرآن على نبيه عليه الصلاة والسلام لنستخرج منه العلوم الكونية الدنيوية .

إذا فما هو الإعجاز العلمي ؟

الإعجاز العلمي بمنتهى البساطة : هو دقة اللفظ القرآني علميا ، هذا اللفظ القرآني صحيح علميا ، دقيق علميا ، متوافق مع الحقيقة العلمية الموجودة في الكتب العلمية ،والتي تم الوصول إليها من خلال الأدوات العلمية والمنهج العلمي بدون أي تدخل ديني من أي نوع ، ولا يتعارض معها ، أي أنه مجرد توافق لفظي قرآني علمي يتم اكتشافه على ضوء المعلومة المكتشفة حديثا ، أما موضوع استخراج الحقائق العلمية من القرآن وسبق اكتشافها فيه فهي فكرة مبتدعة ، تسبب فيها سوء الفهم الشديد من قبل الكثير ممن يرفض أو يقبل فكرة الإعجاز ، وتسببت هي في كل هذا الخلط واللبس .

ولكي أحكم على عبارة أو كلمة أنها صحيحة علميا ، أو أنها متطابقة وغير متعارضة مع الحقيقة العلمية ، فمن البديهي والمنطقي أن يكون لدي هذه المعلومة العلمية التي أقارن بها أو أقيس عليها دقة اللفظ القرآني علميا .

وقد يقول قائل : كيف أقيس صحة اللفظ القرآني المقدس على ضوء معلومة علمية دنيوية ، كيف اتخذ من هذه المعلومة العلمية الدليل على صحة آيات القرآن ، والرد على ذلك يكون :

أولا : في موضوع الإعجاز العلمي نحن لا نتحدث إلا على حقائق علمية ثابتة ، وليس نظريات علمية قابلة للتغير.

ثانيا : أنا أيضا أنظر إلى هذه الحقائق العلمية بشيء من القداسة لماذا ؟

لأنه إذا كان القرآن الكريم هو كلام الله العظيم المقدس ، فإن هذه الحقائق العلمية هي صنع الله وفعله ، هي سنن الله التي قضت مشيئته أن يمضي إرادته من خلالها ، فكليهما ينتمي إلى نفس المصدر : الله سبحانه وتعالى .

كلا من الآية القرآنية وما نراه وندرسه في عالم الشهادة يطلق عليه آيات، هذه آيات قرآنية، وهذه آيات كونية، آيات تدل على إله خالق قدير عظيم .

فإذا كان كل ما ندرسه من علوم دينية هي علوم تختص بعلاقتنا مع الإله الخالق، فإن كل ما ندرسه علميا ودنيويا هو ما يتعلق بهذا الخلق الذي ينتمي إلى نفس هذا الخالق.

ولكن مع أننا لا نكتشف هذا التطابق القرآني العلمي إلا بعد اكتشاف الحقيقة العلمية وعلى ضوئها ، إلا أن هذه الدقة القرآنية العلمية وهذا التطابق سابق في الوجود على هذا الاكتشاف ، فألفاظ القرآن الكريم لم تتغير منذ نزوله على النبي عليه الصلاة والسلام ، كما أن الحقيقة العلمية لم تتغير منذ ملايين السنين ، وكما أننا لا نعلم بهذه الحقيقة القديمة إلا بعد اكتشافها ، فإننا أيضا لا نكتشف هذه الدقة القرآنية العلمية إلا بعد نفس هذا الاكتشاف .

السبق إذا هو في وجود هذه الدقة القرآنية العلمية.

فما هو التفسير المنطقي البديهي لوجود هذا السبق في وجود هذه الدقة وهذا التطابق القرآني العلمي والذي لا يكتشف أو يدرك إلا بعد اكتشاف الحقيقة العلمية؟

التفسير هو أن هذه الآيات لا يمكن أن تنتمي إلى بشر كان يكتب في ظل حقيقة علمية معروفة فتحرى الدقة وهو يكتبها ، الحقيقة لم تكن معروفة ، إذا من أين أتت هذه الدقة ؟ التفسير الوحيد هو أن الذي تنتمي إليه هذه الآيات القرآنية هو نفسه الذي تنتمي إليه هذه الحقائق العلمية والآيات الكونية ، الذي يتحدث عن هذا الخلق هنا هو الخالق نفسه سبحانه وتعالى ، والهدف ديني خالص كما سأوضح فيما بعد .

هكذا يرد هذا التعريف البسيط للإعجاز العلمي وهو أنه مجرد تطابق لفظي قرآني علمي على ثلاثة من أهم الاعتراضات عليه: هل أصبحت آيات القرآن هي مصدر الوصول للمعلومة العلمية ؟، هل هناك هدف علمي وراء الإعجاز العلمي ؟ لماذا لم تكتشف حقيقة علمية واحدة من القرآن قبل اكتشافها علميا ؟ بل وضح تهافت هذه الاعتراضات وسذاجتها .

والسؤال المنطقي التالي الذي يفرض نفسه هو: وحتى لو كان كلا من القرآن الكريم والآيات الكونية ينتميان إلى نفس المصدر، لماذا يتعين على بعض آيات القرآن أن تكون دقيقة أو صحيحة علميا ؟ القرآن الكريم كتاب دين وليس كتاب علوم، ما دخل آياته بالعلم ؟

وللإجابة على هذا السؤال هناك موضوع غاية في الأهمية، ربما هو وليس موضوع الإعجاز العلمي هو الذي يجب أن يحسم أولا، هناك سؤال يجب أن نصل فيه إلى إجابة شافية وهو:

هل يوجد ثمة علاقة بين العلم والقرآن أو بين العلم والدين، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

الفصل الثاني

العلاقة بين العلم والدين

هل يوجد علاقة بين العلم والدين ؟ التعريف الذي ذكرته للإعجاز العلمي يتطلب وجود مثل هذه العلاقة ، فإذا لم أتمكن من إثبات وجودها يكون التعريف خاطئا ، ومن ثم لا يكون هناك شيء اسمه إعجاز علمي ، فماذا لو أثبت وجود هذه العلاقة ؟ هنا فقط يكون هناك احتمال لوجود ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن وعلى أن أبدأ في إثباته .

في البداية يجب أن نقرر أنه يوجد منطقة ينفصل فيها العلم الديني والعلم الدنيوي تماما ؟ كلا منهما له طبيعة مختلفة تماما عن الأخر ، هنا لا يجب الخلط بينهما ، فالعلم الديني هو ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى والغيبيات ، هو تحديدا علم العقيدة والتشريعات والأخلاق والمعاملات ، أما العلم الدنيوي فهو كل ما يتعلق بعالم الشهادة كل العلوم والمعارف الإنسانية لهذا الكون الذي نعيش فيه .

ولأن طبيعة كلا من النوعين من المعارف تختلف عن الآخر كانت وسيلة الوصول إلى المعلومة تختلف تماما هنا عن هناك.

بالنسبة للعلوم الدينية وسيلة الحصول على المعلومة الغيبية هو الوحي الذي وصل إلينا عن طريق الكتب المقدسة والأنبياء المرسلة.

أما بالنسبة للعلوم الدنيوية فوسيلة الوصول للمعلومة بعد الحواس التي حبانا الله بها وفي مقدمتها السمع والبصر هو ما يسره الله لنا وهدانا إليه ، من أدوات علمية ، ومعامل ، ومنهج علمي

هنا لا يجب الخلط، لا يجب أن نبحث على معلومة علمية في القرآن، أو الحديث النبوي، ولا معلومة دينية في كتاب علوم.

والحقيقة أن خير ما يرشدنا ويوجهنا إلى هذا المنهج الصحيح هو القرآن الكريم أولا ثم السنة النبوية المطهرة:

"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " العنكبوت (20

هنا يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الخلق ، علم دنيوي فكيف نتعامل معه ونصل إليه ؟ عن طريق السير في الأرض الذي أفهمه بمعناه الواسع وهو البحث والتنقيب ، وعن طريق النظر الذي افهمه بمعناه الواسع وهو استخدام كافة الأدوات العلمية للوصول للمعلومة

أما الحديث النبوي الشهير في صحيح مسلم ، المتعلق بتأبير النخل فيقول فيه الرسول الكريم بكل وضوح :

سمع أصواتا فقال ما هذا الصوت قالوا النخل يؤبرونها فقال لو لم يفعلوا لصلح فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصا فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إن كان شيئا من أمر دنياكم فشأنكم به وإن كان من أمور دينكم فإلي

الراوي: عائشة المحدث: الألباني - المصدر: صحيح ابن ماجه - الصفحة أو الرقم: 2019

أنتم أعلم بأمر دنياكم

الراوي: عائشة و أنس بن مالك المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 1488

خلاصة حكم المحدث: صحيح

بما أن العلم الديني يأتي عن طريق الوحي وبما أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو وحده الذي يوحى إليه فهو الأعلم بالأمر الديني ، أما هنا فبما يخص تأبير النخل فهم الأعلم ،لماذا؟ كيف علم الصحابة بضرورة تأبير النخل ؟أليس عن طريق الخبرة والتجربة والممارسة ، إذا هذه هي الوسائل وما شابهها فقط هي طريق الوصول للمعلومة الدنيوية ، هكذا توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيها الكفاية .

إذا العلم الديني والعلم الدنيوي نوعان من المعارف يختلفان طبيعة وفي طريقة الوصول للمعلومة ، هذه هي منطقة الفصل بينهما ، فماذا بعد ذلك ؟ هل يستمر الفصل فيكون مطلقا ، أي لا علاقة البتة بينهما ؟

ما يراه هؤلاء العلمانيون ومن تابعوهم أن الفصل تام ومطلق بين العلم الديني والدنيوي ، وهذا هو الخطأ الأكبر الذي يقعون فيه ويروجون له ، وما أراه أن البشرية في تاريخها الطويل لم تبتل بمثل هذا الفصل الديني العلمي ، الذي هو الحقيقة أصل كل الخلط واللبس والتخبط الذي تعانيه.

أما الحقيقة التي سأثبتها من القرآن ، ومن مفهوم الدين نفسه هو أنه على الرغم من اختلاف طبيعة كل من العلم الديني والدنيوي إلا أنهما كعلمين منفصلين كل منهما في غاية الضرورة للآخر ، وما يهمني هنا هو ضرورة العلم الدنيوي للعلم الديني .

إذا كان الهدف من خلقنا هو العبادة كما يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الذاريات: ٥٦

إذا كان الغرض النهائي من الكتاب المقدس هو أنه المصدر الأول للمعارف الدينية من عقيدة وتشريعات وأخلاق ومعاملات ، أي مفهوم الإيمان وكيف نعبد الله ، فكيف يريدنا الله سبحانه وتعالى أن نؤمن به وأن نعبده ؟

هل يريد لنا إيمانا متعصبا أعمى، منغلقا، لا يكتسب إلا بالوراثة، يعتمد فقط على الترهيب والخوف ؟

هل يريده إيمانا باهتا ضائع المعالم لا يوجد فارق كبير بينه وبين عدمه ؟ بالقطع لا هذا ولا ذاك.

الصورة المقبولة الصحيحة لإيماننا بالله وعبادتنا له لابد أن تكون عن قناعة وبصيرة ويقين .

فكيف نؤمن بالله سبحانه وتعالى و نعبد ه عن قناعة وبصيرة ويقين ؟ لا يوجد إلا وسيلة واحدة انتهجها القرآن الكريم .

استخدام العلم الدنيوي للوصول إلى العلم الديني ، استخدام عالم الشهادة للوصول إلى الإيمان بعالم الغيبيات ، استخدام الخلق للوصول إلى الخالق.

هناك آيات عميقة جدا في القرآن الكريم تخبرنا أن انفراد الإنسان دون غيره من المخلوقات الأرضية بالتكليف ، وبأنه الوحيد الذي سيحاسب على مستوى مثقال الذرة وأن كل أعماله محصاة عليه في كتاب لا يغادر صغيرة أو كبيرة ، بل كل أقواله مسجلة عليه ، هذا الانفراد لم يكن ممكنا إلا بسبب انفراده أيضا بأنه الوحيد الذي أودع الله فيه القدرة أن يرى الخالق وراء خلقه .

وأن هذه القدرة لو كانت معطلة لأسباب خارجة عنه يعفى من التكليف، أما إذا كان الله قد خصه بها وميزه ثم هو الذي يتجاهلها وينكرها فلن يؤد هذا إلا إلى ضلاله في الدنيا ومن ثم استحقاقه لعقاب الله في الآخرة ، هذه الآيات ليس هنا مجالها ولكني بإذن الله سأتحدث عنها تفصيلا في كتاب آخر.

وعلى ذلك فإذا كانت جميع آيات القرآن الكريم كما ذكرت ليس لها إلا هدف واحد هو الهداية الدينية ، فهذه الهداية الدينية ليست نوعا واحدا ، هناك آيات الهداية الدينية فيها عبارة عن علم ديني يتعلق بالإيمان والعبادة يتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات ، وهو الهدف النهائي من وجودنا في الحياة وبالتالي الهدف الأصلي للقرآن كتاب المسلمين المقدس ، وهناك أيضا الكثير من الآيات القرآنية تكون وظيفة الهداية الدينية فيها ، ليست عبارة عن علم ديني ولكن حديث عن خلق الله وآياته في الكون مخاطبا

فينا هذه القدرة التي أودعها لنرى الخالق من وراء خلقه حتى يكون إيماننا وعبادتنا عن قناعة وبصيرة ويقين .

هذه الآيات الأخيرة وحدها هي التي تربط بين العلم الديني والعلم الدنيوي ومن ثم هي وحدها التي يمكن أن يكون فيها إعجازا علميا.

هنا أتعرض لأحد أهم الاعتراضات التي يثيرها د. خالد منتصر وغيره على موضوع الإعجاز العلمي ، هذا الاعتراض يصوره قوله :

"يحلو للبعض النظر إلى القضايا العلمية بمنظار الدين ، وتأخذهم النشوة حين يستطيعون جر العلم من المعمل إلى المسجد ويبدؤون في محاسبته بالنصوص الفقهية بدلا من المعادلات الرياضية وينسون في غمرة هذا الحساب أن منهج العلم مختلف عن منهج الدين ، وهذا لا يعيب كليهما ولا يعني بالضرورة أن النقص كامن في أحدهما ، فالمقارنة لا محل لها ومحاولة صنع الأرابيسك العملديني بتعشيق هذا في ذاك محكوم عليها بالفشل مقدما ، فالعلم هو تساؤل دائم أما الدين فيقين ثابت ، فالعلم لا يعرف إلا علامات الاستفهام ، والدين لا يمنح إلا نقاط الإجابة ،كلمة السر في العلم هي القلق أما في الدين فهي الاطمئنان ، هذا يشك وهذا يحسم ."

بالإضافة إلى ما سبق وأشرت إليه مما يصوره هذا الكلام أيضا من فهم د. خالد المغلوط المقلوب المشوه المشوش للإعجاز العلمي، على أنه تدخل ديني في شئون العلم.

وبالإضافة إلى أن كل ما يقوله هنا لا يخرج عن تلاعب بالألفاظ لا معنى له وإلا : فما معنى قوله العلم تساؤل دائم ، والدين يقين ثابت ، العلم لا يعرف إلا علامات الاستفهام والدين لا يمنح إلا نقط الإجابة هذا يشك وهذا يحسم .

هل يعني أن ما يشك فيه العلم يحسمه الدين، وما يتساءل عنه العلم يجيب عنه الدين ؟ أم أن وظيفة العلم أنه يتساءل فقط ولا ينتظر الإجابة، بينما وظيفة الدين أنه يجيب على أسئلة لم تسأل، لأن كلمة إجابة لا تكون إلا عن سؤال ، ما هذه العبثية ؟!

الحقيقة أن الحقائق العلمية هي أمور أيضا ثابتة وراسخة ، هي سنن كونية إلهية لا تتبدل لا تتغير ، ولكن معرفتنا بها هي التي تتطور ، ووظيفة السؤال في العلم هو قطعا محاولة الوصول إلى الإجابة ، والنظرية مهمتها الوصول للحقيقة ، والشك هو الطريق للوصول للحسم ، ونقط الإجابة التي يقدمها الدين لابد أن تكون على أسئلة دينية ما أكثرها أيضا .

المشكلة الكبرى عند د. خالد منتصر هي في مفهوم كلمة "الدين "

إذا كان الدين الذي يعنيه د. خالد هو العلم الديني من عقيدة وشريعة وأخلاق ومعاملات ، هذه الثوابت المعروفة ، فليطمئن ، لا يوجد إطلاقا شيء اسمه الإعجاز العلمي في الدين ، نحن نقول الإعجاز العلمي في القرآن وليس الدين ، والفارق كبير

أليست هذه هي نماذج الآيات التي يعنيها د. خالد أليس هذا هو الدين الذي يتحدث عنه :

آيات متعلقة بالعقيدة :

سورة الفاتحة، سورة الإخلاص، آية الكرسي، أواخر سورة البقرة' ، أواخر سورة الحشر ..، الحديث عن الجنة والنار .الخ

"وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" البقرة: ١٦٣

آيات متعلقة بالشريعة :

"وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ" البقرة: ٤٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " البقرة: ١٨٣

"..... وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " آل عمران٩٧

آيات المواريث ، آيات الربا ، آية الدين

أخلاق ومعاملات :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" النور:27

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" الحجرات: ١٢

"أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" القصص: ٥٤

لا يمكن أن يختلف أحد مع د. خالد على أن هذه الآيات لا يمكن أن تحتوي أي إعجاز علمي، ولكن إعجازا لغويا أو غيبيا أو تشريعيا نعم .

د. خالد بنى كل اعتراضه على أن القرآن كتاب لا يقدم إلا العلم الديني هكذا مجردا ، وأنا أوضحت أن هناك نوع آخر من الآيات وظيفته استخدام العلم الكوني مخاطبة القدرة الإنسانية المتفردة للوصول للخالق عن طريق خلقه ، إيمانا وعبادة عن قناعة وبصيرة ويقين .

هذه الآيات القرآنية الأخيرة وحدها التي تربط بين العلم الديني والعلم الدنيوي، هي التي نتوقع وجود هذه الدقة القرآنية العلمية فيها

الإعجاز العلمي الذي هو الدقة القرآنية ليس هو الهدف الأساسي من هذه الآيات ، ولكن الهدف هو ما ذكرت ، ولكن طالما أن هناك ضرورة لهذا العلم الكوني ، وهذه الصلة

الوثيقة بين العلم الديني والدنيوي ، أليس من البديهي طالما أن هذا المتحدث عن هذا العلم هو نفسه من ينتسب إليه كلا من الآية القرآنية والآية الكونية أن يتسم هذا الكلام بالدقة

هذه الدقة القرآنية العلمية أو هذا الإعجاز العلمي يأتي في سياق الدعوة للإيمان على بصيرة ولذلك كان حقيقة وضرورة كما أوضحت.

الفصل الثالث :

نماذج لآيات فيها إعجاز علمي

وهذه نماذج لآيات قرآنية كريمة أطبق فيها كل ما ذكرته عن مفهوم الإعجاز العلمي:

"وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ 68 ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل: ٦٨ - ٦٩

نأتي الآن لقوله تعالى: فاسلكي سبل ربك زللا : هذه الآية الكريمة تشير وتتطابق مع حقيقة علمية لم تكتشف إلا في القرن العشرين وحصل مكتشفها على جائزة نوبل ، وهي أن الله سبحانه وتعالى قد يسر لهذه الحشرة أن تتعرف على الطريق الذي يؤدي إلى الحقل مكان جمع الرحيق على الوصف الذي تصفه لها نحلة أخرى من الشغالات مهمتها اكتشاف هذه الحقول ، تصف المكان أو الطريق عن طريق اهتزازات تقوم بها ، تحدد بها اتجاه الطيران وبعد الحقل وربما وفرته فتنطلق الشغالات إليه لجمع الرحيق ثم تعود إلى خليتها لا تخطئها ، تتخذ من الشمس بوصلة لها ، أو ربما لديها أجهزة أخرى ، وفي كل الحالات تكون هذه الطرق المؤدية لهذه الحقول مذللة لها وميسرة أن تسلكها تماما كما تقول الآية الكريمة .

هذا هو مفهوم الإعجاز العلمي هنا مجرد دقة قرآنية علمية ، تكتشف على ضوء اكتشاف المعلومة ، ولكنها سابقة على هذا الاكتشاف ، وليست معلومة أو حقيقة استخرجها من القرآن ، هذه ليست وظيفة القرآن ، لكي يصل كارل فون فريش وغيره من العلماء إلى هذه الحقائق كان عليه أن يقوم بدراسة حياة النحل وسلوكياتها العديد من السنين .

وإذا كانت المعلومة العلمية ليست هدف الآية القرآنية فإنه حتى هذه الدقة القرآنية العلمية أيضا ليست الهدف الأساسي للآية، ولكنها تأتي في سياق الهدف التي أتت الآية من أجله.

هذه الآيات تخاطب العقل المميز وراء سمع الإنسان وبصره ليرى الله خلف أحد آياته العظيمة في هذا الكون، الآيات هي تطبيق لهذه الآية الكريمة التي تكاد تنطبق على كل ما في الكون من أحياء أو قوانين وسنن.

"سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)" الأعلى: ١ – ٣

التسوية في الخلق تعني أنه ليس خلقا وليد صدفة أو عشوائية ، خلقا محكما ، مبدعا ، فيه علم ، وقدرة ، قدر فهدي ، هذا الخلق ليس عبثيا ولكن مقدر فيه إمكانيات وقدرات ، مهدي إليها من قبل الله سبحانه وتعالى .

الله هنا يتحدث عن هذه التسوية في خلق حشرة مثل النحل، ولنقارنها مثلا بالتسوية في خلق كائن صغير مثلها كالعنكبوت، كم يبلغ حجم مخ كل منهما ؟ في مخ النحلة البالغ الصغر هذا ، أودع القدرة على صناعة هذه الخلايا السداسية بكل هذه الدقة ، والقدرة أن تسلك سبل ربها زللا ، أما مخ العنكبوت الذي لا يزيد عن حبة ملح ، فلدية إمكانيات مختلفة تماما لا تقل إبداعا ، التعامل مع عدد من البكرات لينسج هذا النسيج الفريد البالغ الدقة .

التشريح هنا مختلف عن هنا ، أما الآية الكبرى فهي ما تقدمه الكيمياء الحيوية في كل منهما ، الكيمياء الحيوية علم رهيب لا يمكن تصور أن يأتي عشوائيا ، في النحلة يتسبب في تحويل هذا الرحيق إلى هذا العسل المعجزة ، أما في العنكبوت ، فعلى الرغم من أن طعامه من الحشرات تشاركه فيه الكثير من المخلوقات الأخرى إلا أنه ينفرد بتحويل هذا الطعام إلى هذا النسيج الأقوى من الصلب والألين من الحرير ، لا يمنع هذا كونه كما تقول الآية وبسبب رقته الشديدة يجعله كبيت هو أوهن البيوت ، بينما هو كمصيدة صالح تماما ، هذه هي التسوية في الخلق ، التي تتحدث عنها آية النحل كنموذج لخلق الله ، يدعونا للتدبر في جميع خلقه ، وأن نرى الله حتى وراء المعلومة العلمية الموجودة في كتاب علمي .

هذه التسوية في خلق النحل والعنكبوت هي تسوية مقدر فيها إمكانية صناعة النسيج ، وإمكانية بناء الخلايا وصنع العسل ، مهدي إلى كل ذلك من عند الله سبحانه وتعالى ، لأن النحلة يمكن أن يكون لديها كل هذه القدرات ولا تدرك ذلك ،أو لا تستطيع أن تتعامل معها ، وإذا كانت آية سورة الأعلى تتحدث عن هذه الهداية بلفظة " فهدى " فترجمة هذه اللفظة في سورة النحل تأتي بصيغة : " أوحى " والوحي هو الإلهام الذي أودعه الله في مثل هذه المخلوقات أو ما نطلق عليه نحن " الغريزة "

هذا هو الهدف الأساسي من ذكر معلومة ذات طابع علمي في آية قرآنية، وفي هذا السياق تأتي الدقة العلمية المتوقعة عندما يكون المتحدث عن الخلق هو الخالق نفسه، فيتحدث عن الشغالات بأسلوب المؤنث مختلفا بذلك في حديثه عن الذباب ، ويتحدث عن تيسير وتذليل سبل الذهاب والعودة من الخلية وإليها .

نموذج ثاني :

هذه الآية الكريمة :

"ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ" المؤمنون: ١٣

أتوقف أمام هذا التعبير : " قرار مكين " الذي يعني الرحم ، لماذا وصفه الله بالقرار المكين ؟ لأن هذا الوصف هو الأدق علميا ، حيث يعبر لفظ قرار عن العلاقة بين النطفة وبين الرحم وهي العلاقة التي أهم ما يميزها علميا هو الاستقرار ، أو الانغراس ، أما لفظ مكين فتعني مثبت بقوة ،فيعبر هذا اللفظ عن العلاقة بين الرحم وما حوله من أنسجة، وهي العلاقة التي أهم ما يميزها علميا هو الثبات والارتباط الشديد ، فلا يهتز ، ولا يطرد

الجنين ، من خلال مجموعة من الترتيبات من بينها الأربطة القوية ، ولو بحثنا في اللغة عن لفظ يعبر عن هذا الوضع فلن نجد خيرا من تعبير " مكين "

يقول الدكتور محمد فياض في كتابه :

إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان :

"الرحم أو القرار المكين ، "

"سبحان من كان هذا كلامه ، فقد أعطى الله لهذا المكان وصفين جامعين ، في قوله تعالى "ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ" المؤمنون: ١٣

"فالرحم هو مكان استقرار الجنين ، ومعنى القرار في قواميس اللغة ، " استقر واستراح " وهو أيضا " مكان يستقر فيه الماء ويتجمع ، ولهذا اختار القرآن تعبير القرار ، وصفا للمكان الذي تستقر فيه النطفة وهو الرحم "

"أما التعبير الجامع الآخر وهو " مكين" فيعني مثبت بقوة وهو يشير إلى علاقة الرحم بجسم الأم وموقعه المثالي لتخلق ونمو كائن جديد ، ويقع الرحم في وسط الجسم ، وفي مركز الحوض وهو محاط بالعظام والعضلات ، والأربطة التي تثبته بقوة في الجسم ، أي أنه مكين كما قرر القرآن الكريم "

والغاية الأولى من الآية هي بيان قدرة الله وحكمته وعلمه ، وأن هذه الترتيبات التي تدل على كل هذا لا يمكن أن تكون عشوائية ، وفي هذا السياق أيضا تأتي هذه الدقة القرآنية العلمية .

<u>نموذج ثالث :</u>

"مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ" عبس: ١٨ – ١٩

د. كيث مور رئيس قسم التشريح سابقا المعروف في جامعة تورنتو بكندا ، وصاحب كتاب علم الأجنة الشهير " " the developing embryoالحاصل على الجائزة الأمريكية لأفضل كتاب في علم الأجنة ألفه عالم بمفرده ، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته العديدة في هذا العلم ، توقف أمام تعبير فقدره ، وكيف يتطابق تماما مع ما أصبح معروفا الآن من أن كل صفات الجنين مقدرة في هذه النطفة الأمشاج التي يبدأ بها الجنين حياته والتي نطلق عليها علميا ، البويضة الملقحة أو الزيجوت ، ومثل لذلك بلون الجلد الذي هو صفة مقدرة في الإنسان منذ كونه نطفة .

وقبل أن يعترض الدكتور خالد ويقول إن لفظ " فقدره " تعني قدر أجله ورزقه وشقي أم سعيد ، وهو أيضا تفسير للآية ، وأن الإعجازيين حول د. مور هم الذين أفهموه هذا المعنى العلمي البعيد عن الواقع : أقول له د. مور لم يأخذ المعلومة من فم الإعجاز يين ، أكيد هو كعالم أول ما يعرفه ،هو من أين يستقي المعلومة الصحيحة ، فمن أين استقاها ؟

الحقيقة أنه أخذها من تفسير ابن عباس كما جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن القرطبي (ت 671) :

وكما ذكر هو ذلك بنفسه ، في أحاديث مسجلة له على الإنترنت من بينها محاضرة مدتها 72 دقيقة ألقاها في جامعة إلينوي الأمريكية عن القرآن وعلم الأجنة الحديث :

يقول التفسير : فَقَدَّرَهُ في بطن أمه. كذا روى الضحاك عن ابن عباس: أي قدّر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه ، وحسناً ودميماً، وقصيراً وطويلاً، وشقياً وسعيداً.

ابن عباس رضي الله عنهما، ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام حبر هذه الأمة كما وصفه الرسول ، المعاصر لنزول القرآن ، لم يكن لديه أي معلومة علمية يأتي على ضوئها بهذا الفهم المتطابق مع الحقيقة العلمية الذي لم يقدمه له سوى اللفظ القرآني .

من الواضح أن هدف هذه الآية هو الحديث عن قدرة الله الخارقة في إيداع كل هذا العلم، في هذه النطفة الدقيقة ، في هذا التخطيط ، في هذه التسوية ، في هذا الإبداع.

لم يكن الموضوع العلمي ولا معلومة الحمض النووي الذي لم يكتشف إلا في القرن العشرين هو ما تقدمه لنا هذه الآية ، وبذلك تسبق الاكتشاف العلمي ، ولكن فكرة دينية خالصة ، يستخدم فيها الله سبحانه وتعالى روعة وعظمة خلقة للوصول إليه عن قناعة وبصيرة ويقين ، وفي هذا السياق تأتي هذه الدقة القرآنية العلمية الإعجازية التي سبق وجودها اكتشاف المعلومة بقرون ، ولكنا لا ندركها إلا على ضوء المعلومة .

ولم يكن هذا التطابق العلمي القرآني هو الوحيد الذي تقدمه لنا هذه الكلمة القرآنية " فقدره " ولكن د. كيث مور توقف مرة أخرى أمام حرف في هذه الكلمة يعطي نموذجا آخر لدقة القرآن العلمية ، وهو حرف العطف الذي جاء في الكلمة وهو "الفاء" ، وليس "ثم" ، مما يعني أنه بمجرد تكون النطفة كان مقدرا فيها كل صفات هذا الكائن الإنساني ، دقة قرآنية علمية ، إعجازية .

الإعجاز العلمي هنا يضيف إلى الآية يقينا على يقين

إذا الإعجاز العلمي فائدة إضافية لوظيفة الآية في الهداية الدينية، يدركها من يدركها وتفوت من تفوت، مثل كل آيات القرآن، التي يأخذ منها كل على قدر إمكانياته .

وسأختم هنا بهذا النموذج الأخير :

"وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ " الذاريات: ٤٧

<u>تفسير ابن كثير</u>

{ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا } أي: جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً { بِأَيْيْدٍ } أي: بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد { وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } أي: قد وسعنا أرجاءها، فرفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي

<u>التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي</u>

ولفظ { ٱلسَّمَآءَ... } منصوب على الاشتغال. أى: وبنينا السماء بنيناها { بِأَيْيْدٍ } أي: بقوة وقدرة. يقال: آد الرجل يئيد - كباع - إذا اشتد وقوى.

{ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } أي: وإنا لقادرون على توسعتها بتلك الصورة العجيبة من الوسع بمعنى القدرة والطاقة، يقال: أوسع الرجل، أي: صار ذا سعة، والمفعول محذوف، أى: وإنا لموسعون السماء، أو الأرزاق.

فالآية تصوير بديع لمظاهر قدرة الله، وكمال قوته، وواسع فضله."

الآية إذا تتحدث عن معلومة كونية للدلالة على قدرة الله ، اتساع السماوات ، معلومة بدائية يعرفها الجميع ، ربما يدركها المتخصصون في علم الفلك بصورة علمية أدق فيتحدثون عن قطر الكون المرئي مقدرا ببلايين السنين الضوئية .

ولكن ألا يلفت نظرنا أن التعبير عن هذا الاتساع قد جاء على صورة " وإنا لموسعون " ولم يأت بصيغة الماضي مثل بنيناها، أو طحاها، أو دحاها .

ألا يدل هذا التعبير عن استمرار اتساع السماوات، بل على التأكيد على استمرار هذا الاتساع ؟

ألا يتوافق هذا مع اكتشاف هابل الحاصل على جائزة نوبل والذي يحمل اسمه التليسكوب الفضائي المعروف والذي يعد ربما أعظم اكتشافات القرن العشرين ، بأن الكون يتسع ، وأن المجرات تتباعد عن بعضها ، بل إن الأمر لم يتوقف عند هذا

فقد طالعتنا الأخبار العلمية منذ ثلاث سنوات بهذا الخبر .

منحت جائزة نوبل للفيزياء للعام 2011 الثلاثاء إلى ثلاثة علماء فيزياء فلكية أحدثوا تحولا في علم الكون "مع اكتشافهم التوسع المتسارع للكون" وهي "نتيجة مذهلة" توصلوا إليها عبر مراقبتهم لانفجار نجمات بعيدة جدا معروفة باسم سوبرنوفا.

والفائزون الثلاثة الذي نشروا أعمالهم التي أحدثت ثورة العام 1998، في دراستين منفصلتين هم الأميركيان سول بيرلموتر وآدام ريس والأميركي-الاسترالي بريان شميت.

ودرس الباحثون الثلاثة نوعا معينا من السوبرنوفا معروفة باسم "1ايه" الناجمة عن انفجار بقايا نجوم كثيفة جدا.

وتصدر السوبرنوفا ضوءا خاصا بها معروفا جدا لدى علماء الفلك يمكن أن يوازي ضوء مجرة كاملة وهي تشكل تاليا مرجعا لقياس المسافات في الكون.

وذهل العلماء الثلاثة عندما رصدوا في الفضاء العام 1998 أكثر من خمسين سبرنوفا "1ايه" كان الضوء الصادر عنها اضعف مما ينبغي

وتوصل هؤلاء إلى الاستنتاج الذي دعم بعمليات مراقبة وأبحاث أخرى لاحقة، بان توسع الكون يتسارع منذ الانفجار الكبير (بيغ بانغ قبل حوالى 14 مليار سنة). وكان العلماء لمدة قرن تقريبا من الزمن يتوقعون عكس ذلك منطلقين من مبدأ قوة الجاذبية التي تلجم توسع الكون."

كان هؤلاء العلماء مثل غيرهم يتوقعون تناقص توسع الكون بسبب قوى الجاذبية الرهيبة ، ولكن لدهشتهم ومن خلال أبحاثهم اكتشفوا العكس ، توسع الكون في تسارع وزيادة مستمرة ، ولا يمكن أن يكون هذا إلا بسبب وجود قوة عظيمة جدا تتغلب على قوى الجاذبية وتزيد عليها ، هذه القوة التي أطلقوا عليها القوة السوداء أو الشبحية

ألا نرى أن ما أتت به هذه الأبحاث هو عبارة عن معلومتين ثمينتي تتوافقان مع ما ذكرته الآية : بأييد : أي بقوة ، وإنا لموسعون : استمرار الاتساع

مرة أخرى لا أعني بكلامي ابدأ سبق القرآن الإتيان بالمعلومة العلمية ، لا يمكن ادعاء التوصل لكل هذه الاكتشافات العظيمة بمجرد قراءتنا للآيات ، أو أن الآيات قد حوت مثل هذه المعلومات ، ولكن نفهمها ونصل إلى المعنى الديني وراءها على حسب درجة علمنا الدنيوي ،ولا يمكن اكتشافها إلا من خلال كل هذه الأدوات والإمكانات والقدرات العقلية المتميزة لمكتشفيها ، وعلى ضوئها نكتشف هذا الإعجاز العلمي الذي هو مجرد دقة قرآنية علمية تدل على أن من وضع مثل هذه القوة العظيمة في السماء ، ومن تستمر السماوات في اتساعها المتسارع بفضل قدرته وعظمته ، هو من يحدثنا عن كل هذا في كتابه الكريم ، هدف ديني إضافي إلى الهدف الأساسي لهذه الآية ، يصيبه من يصيبه ، ويخطئه من يخطئه ولا ينقص هذا من إيمان احد .

والآن إذا كان مفهوم الإعجاز العلمي هو كما أوضحت :

1-مجرد دقة اللفظ القرآني علميا وليس استخراج المعلومة العلمية من القرآن الكريم .

2-وأنه لا يوجد أي هدف علمي وراء الإعجاز العلمي ولكن الغرض من آيات الإعجاز في الأصل هو توجيه العباد إلى آيات الله في الكون ، مخاطبة فيهم هذه القدرة التي أفردهم بها وهي رؤية الخالق والإيمان به من وراء خلقه ، حتى يكون إيمانهم عن قناعة وبصيرة ويقين ، وليس إيمانا أعمى متعصبا ، ولا باهتا لا يختلف كثيرا عن عدمه .

ثم في هذا السياق تأتي هذه الدقة القرآنية العلمية، التي هي الإعجاز العلمي .

3- وإن كنت قد قمت بتوضيح نوعية الآيات التي يمكن أن يأتي فيها الإعجاز العلمي وهي فقط الآيات التي تجمع بين العلم والدين، وليست الآيات التي تتحدث عن العقيدة أو التشريعات .

4- وقمت بضرب أمثلة من آيات يوجد الكثير غيرها في القرآن على الإعجاز ومفهومه

إذا كنت هكذا قد قمت بالرد على الاعتراضات التي يبديها د. خالد منتصر مبررا إياها بحرصه على كل من الدين أو القرآن والعلم ، موضحة أنها على عكس ما يظن ، في صف كليهما ، إذ ليس أكثر تفهما لطبيعة الدين وما يجب أن يكون عليه ولا أشرف للعلم واحتراما له ، من النظر إلى العلم على انه المعارف المختصة بخلق الله ، والوسيلة للوصول إلى الله على قناعة وبصيرة ويقين

فهل سيؤدي هذا كله إلى قناعته بالإعجاز العلمي ؟ أو حتى سيبدي رد موضوعي عليه ؟

أنا لا أتوقع ذلك، والسبب هي من كل كتابات د. خالد منتصر في كتابه " وهم الإعجاز العلمي " أو أي كتابات أخرى أرى أن مشكلته الحقيقية هي مع القرآن نفسه ، مصداقية القرآن ، وما جاء فيه ، وأن موضوع الإعجاز العلمي بالنسبة له هو معركة فرعية ، سببها أن الإعجاز العلمي في صف هذه المصداقية ، ولذا فلن يكون هناك أفضل من خوض هذه المعركة الفرعية للقدح في مصداقية القرآن نفسه من خلالها ، وهذا ما سأتحدث عنه تفصيلا في فصل مستقل .

ش**الفصل الرابع**

القرآن والفهم العصري

بين د. بنت الشاطئ ود. مصطفى محمود

عندما ألف د. مصطفى محمود كتابه : "القرآن محاولة لفهم عصري" أثار هذا ضجة كبيرة وقتها في أوائل السبعينيات من القرن الماضي ، كان هذا الكتاب موضوع هجوم شديد على صفحات الجرائد من قبل الكاتبة الإسلامية الشهيرة د. بنت الشاطئ .

من الطبيعي أن نرى مثل هذه المعارك التي تعبر عن اختلافات كبيرة في النظرة للأمور ، وطريقة التفكير والفهم ، والتناول ، من ينظر إلى الموضوع بحيادية لا يرى فيه سوى رأي مقابل رأي ، فكرة مقابل أخرى ، كان صاحباها على قدم المساواة من حيث وضعهما الأدبي والفكري

ولكن من يقرأ تعليق د. خالد منتصر على هذا الهجوم وهو يتحدث عن جرأة المفكرة الإسلامية التي واجهت بها د. مصطفى محمود يظن أنها كانت تواجه سلطانا جائرا ، مع أن د. مصطفى محمود قد صرح أنه قبل نشر كتابه لم يجد خيرا منها لتراجعه ، بل هي التي اختارت عنوان الكتاب كما ذكر ، ولم تبد اعتراضا إلا بعد نشره ، ربما ليكون هذا الهجوم موجها لكل من يفكر في الحديث عن تفسير عصري للقرآن ، طريقة د. خالد منتصر في التعليق على هذه الاختلافات في الرأي وكل ما شابهها لو تأملناها لوجدناها تعكس طريقة غير ناضجة في التعامل ، من يتفق معه يرفعه إلى أعلى عليين ، لابد أن يكون كلامه هو الحكمة بعينها ، أسلوبه بسيط أسبابه منطقية ومقنعة ، أما من يختلف معه فلابد أن يكون مدلسا متاجرا ، مخادعا ، ليس لديه حجة ولا منطق .

والمفروض أن من يريد أن يتناول هذا الأمر بموضوعية ، لابد أن يكون تناوله محايدا ومجردا ، ويعرض وجهتا النظر ، ويرينا رأيه في كليهما ، لماذا يتفق مع هذا ، ولماذا يختلف مع هذا

موضوع الكتاب كما قلت هو التفسير العصري للقرآن ، وليس الإعجاز العلمي كما فهم د. خالد منتصر ، وهناك فارق بسيط بينهما ، فالتفسير العصري يعني تفسير بعض الآيات القرآنية على ضوء معطيات العصر الحديث ، أما الإعجاز العلمي فيتناول ما يتضح من خلال هذا التفسير من وجود هذه الدقة القرآنية العلمية في الآيات ، فهل فعلا ، يوجد ما يسمى بالتفسير العصري للقرآن كما يقول د. مصطفي محمود أم أن هذا عمل حواة كما تقول بنت الشاطئ رحمهما الله :

"التفسير العصري للقرآن يبدو في ظاهره منطقيا ومعقولا يلقي إليه الناس أسماعهم ويبلغ منهم غاية الإقناع دون أن يلتفتوا إلى مزالقه الخطرة التي تمسخ العقيدة والعقل

معا وتختلط فيها المفاهيم ، وتتشابه السبل فتفضي إلى ضلال بعيد ،إلا أن نعتصم بإيماننا وعقولنا لنميز هذا الخلط الماسخ لحرمة الدين لمنطق العصر وكرامة العلم " وتقول : " الدعوة إلى فهم القرآن بتفسير عصري علمي على غير ما بينه نبي الإسلام تسوق إلى الإقناع بالفكرة السامة ، التي تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أميين ، في عصر كان يركب الناقة والجمل لا المرسيدس والرولزرويس والبوينج ، وأبوللو ويستضيء بالحطب لا بالكهرباء والنيون ويستقي من نبع زمزم والآبار والأمطار لا من مصفاة الترشيح ومياه فيشي ومرطبات الكولا ونتورط من هذا إلى المزلق الخطر ، يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم ، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا وأسرار البيولوجيا وعلوم الذرة ليس صالحا لزماننا ولا جديرا أن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصرى "

ما يفهم هنا أن سبب اعتراض د. بنت الشاطئ على التفسير العصري هو انه:

1-انه سيؤدي إلى مسخ العقل والعقيدة معا

2- سيرسخ في أذهاننا أن القرآن إذا لم يقدم لنا علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا وأسرار البيولوجيا وعلوم الذرة فليس صالحا لزماننا ولا جديرا أن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري.

وكما تناولت موضوع الإعجاز العلمي، وأثبت أنه حقيقة وضرورة، سأقوم هنا بتناول موضوع الفهم العصري للقرآن لأثبت أيضا أنه ضرورة، وأن كل هذا الهجوم عليه مثله مثل موضوع الإعجاز العلمي ليس إلا بسبب سوء الفهم الشديد والاندفاع دون تفهم.

<u>هل يوجد تفسير عصري للقرآن ؟ :</u>

د بنت الشاطئ تقول إن هذا التفسير يؤدي إلى مسخ العقيدة والعقل معا ، فما علاقته بالعقيدة ؟ ما هي الآيات القرآنية التي يمكن أن تفسر تفسيرا عصريا ؟ هل هي الآيات المتعلقة بالعقيدة ، أو التشريعات ، أو الأخلاق والمعاملات ؟ تماما مثل موضوع الإعجاز العلمي هذه الآيات ليس لها علاقة بالتفسير العصري ، مفاهيم هذه الآيات ثابتة ولا يتعرض أحد لها ، لم يقل أحد أنه سيقوم بتفسير سورة الفاتحة أو الإخلاص أو آية الكرسي تفسيرا عصريا ، هذا موضوع محسوم ولا جدال فيه . ولكن عندما تأتي في القرآن آية كريمة مثل هذه:

" .... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ...." الزمر: ٦

هذه آية لا تتحدث عن عقيدة أو تشريعات، ولكن لها مهمة أخرى في الهداية الدينية لنرى كيف فسرها قدامى المفسرين :

تفسير ابن كثير :

{ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ } يعني: في ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد، وظلمة البطن. كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد.

عندما يكون تفسير الآية القرآنية ، ظلمة الرحم والمشيمة وجدار البطن ، وهي معلومات علمية تماما ، وعندما يكون المفسر هو ابن عباس رضي الله عنهما وهؤلاء الصحابة ، ألا يدل هذا بكل وضوح أن في القرآن آيات لا تفسر إلا على ضوء المعلومة العلمية .

د بنت الشاطئ تقول : الدعوة إلى فهم القرآن بتفسير عصري علمي على غير ما بينه نبي الإسلام تسوق إلى الإقناع بالفكرة السامة ، التي تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أميين ...الخ

هل فعلا تفسير مثل هذه الآيات تفسيرا علميا هو على غير ما بينه نبي الإسلام ؟ ، وهل كان كل هؤلاء المفسرين من الصحابة رضوان الله عليهم وأولهم ابن عباس حبر هذه الأمة كما وصفه الرسول يقدم على هذا ؟

ألم يقل الرسول نفسه : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، والعلم بشئون الدنيا هنا محصور في التفسير الموضوعي العلمي للآية ، وما دام العلم الدنيوي مطلوب هنا فلابد أن يسري عليه قانون العلم الدنيوي ، وقانون العلم الدنيوي:

1- بالإضافة إلى أن الأعلم به هم أهل الذكر من أهل مثل هذه العلوم الدنيوية التي لابد أن يكون ابن عباس نفسه قد استقى المعلومة منهم :

2-لأن بن عباس إذا كان من أهل الذكر في تفسير الآية التي تتحدث عن عقيدة أو شريعة أو أخلاق ومعاملات

3-و إذا كان من أهل الذكر في بيان منهج التفسير حيث أوضح في أكثر من آية ضرورة المعلومة العلمية في تفسير بعض آيات القرآن .

4-فإنه ليس من أهل الذكر بالنسبة للمعلومة العلمية نفسها ، وتفاسير القرآن القديمة نفسها مليئة بمعلومات علمية ندرك الآن تماما كم هي خاطئة ، توضح أنه على الرغم من ضرورة المعلومة العلمية في تفسير الآية إلا أن من فسروها كانوا محكومين بعلوم عصرهم التي لم يكن أبدا باستطاعتهم تجاوزها ، هذا الخطأ محصور في التفسير وليس القرآن نفسه وفي المعلومة العلمية ولا ينسحب على الأثر الإيماني وراءها

هذا هو قانون العلم الأول الأعلم به هم أهل الذكر في العلوم الدنيوية ، وأقول حتى لو كانوا ليسوا من أهل الإسلام.

أما القانون الثاني الذي يسري هنا فهو أن هذا العلم الدنيوي على خلاف العلم الديني قابل للتغير والتطور ، لأن معارفنا في هذا المجال لا تقف ، ولهذا كانت الحاجة الماسة إلى تفسير عصري .

وطالما أن هناك علاقة وثيقة كما ذكرت بين المعلومة العلمية وبين الأثر الديني المترتب عليها ، فالمنطق يقول إنه كلما تعمقت المعلومة العلمية الدنيوية ، كلما كان الأثر الديني لها أكبر وأعمق ، ولذا فنحن في حاجة ماسة لنعلم المعلومة كأحدث ما تكون .

والأمثلة على ذلك كثيرة يمكن لمن يتعمق في القرآن أن يراها بسهولة ، ولكني سأكتفي بمثالين :

المثال الأول :

الذي ذكرته عن الإعجاز العلمي في آية " وإنا لموسعون "

كما ذكرت ، هذه آية لا تتحدث عن عقيدة ولا شريعة ولا أخلاق أو معاملات ، ولكن هدفها هو الدعوة للإيمان بالله على بصيرة ، بيان قدرة الله العظيمة في خلق السماوات .

هذه القدرة تتضح بما نراه في هذا الاتساع العظيم لهذا الكون والذي يقدر قطره الفلكيون ببلايين السنين الضوئية ، وعندما نقرأ هذه الآية طبقا لهذا الفهم نقول " سبحان الله "

ولكن عندما نعلم وفقا لما اكتشفه هابل ، أن عبارة " وإنا لموسعون " لا تعني فقط أن السماء متسعة ، ولكن الله يؤكد على استمرار هذ الاتساع ، ألا يجعل إدراكنا لقدرة الله تزداد ، وتخرج كلمة " سبحان الله " أكثر عمقا

فإذا فهمنا الآية أكثر على ضوء ما اكتشفه أصحاب جائزة نوبل ، من أن هذا الاتساع متسارع ، وبسبب هذه القوة العظيمة التي أشارت إليها الآية بعبارة " بنيناها بأيد " ألا يجعلنا هذا نفهم أكثر سبب التأكيد على هذا الاتساع ب " إنا " و اللام" فيتعاظم لدينا الشعور بقدرة الله ، وقدسية القرآن ، وتخرج كلمة " سبحان الله أكثر عمقا ويقينا

فما هو المسخ والضرر الذي أصاب كلا من العقل والعقيدة هنا كما تقول الدكتورة بنت الشاطئ ؟

ماذا لو أشار المفسر العصري في هذه الجزئية إلى كل هذه المعارف الحديثة ؟

إذا كانت الطبيعة العلمية للآية موجودة بوضوح ، والهدف وراءها ديني خالص ، والآية موجهة لي مثل ما هي موجهة إلى من أنزل القرآن في عصرهم ، فما هي الحكمة أن تتوقف حدودها عند علمهم وفهمهم .

المثال الثاني :

"ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ("14 المؤمنون: ١٣ – ١٤

من الواضح أن هذه الآيات تتحدث عن تطور الجنين داخل الرحم ، موضوع علمي مائة في المائة ، علم لم يكن الأقدمون ممن أنزل القرآن في عصرهم يدرون عنه شيئا ، كان علما غيبيا تماما ، فكيف تناولوا الموضوع ؟

لم يخرج فهم الأقدمين لهذه الآيات عن المعنى اللغوي وهو كل ما كان متاحا لهم

و الحقيقة أنهم نظروا إليه على أنه علم يقيني ورد في كتاب يؤمنون به إيمانا تاما على بصيرة ، لأوجه إعجاز أخرى غير موضوع الإعجاز العلمي .

الأقدمون فهموا ،مثل ما نفهم تماما أن الغرض من الآيات ليس المعلومة نفسها ، إعطاء محاضرة في علم الأجنة ، ولكن ما وراء المعلومة ، يجنيه كل إنسان حسب عمق تفكيره وفهمه .

من حيث المبدأ : هل يجب علينا أن نبحث ونتفهم ونحاول أن نجد التطابق بين ما يعنيه اللفظ لغويا لكلمة نطفة وعلقة ومضغة ، وبين ما يمكننا الآن إدراكه عمليا ورؤيته وتصويره لهذه المراحل القرآنية لتطور الجنين داخل الرحم ، أم يجب علينا الاقتصار على الفهم اللغوي الذي لم يكن متاحا غيره للأقدمين ؟

هل من انزل القرآن في عصرهم أو من تلوهم هم فقط المسئولون عن إيضاح معانيه ؟ حتى بعد ما تحول الغيب إلى شهادة وعلم اليقين أصبح عين يقين؟

ألسنا نحمل نفس هذه المسئولية أمام الله باستخدام ما سبق لعلمه سبحانه وتعالى أنه سيسره لعباده أم علينا أن نتجاهل كل هذا التقدم ونتعامى عن كل ما هو متاح أمامنا ونصر على استخدام فهم الأقدمين للآيات ؟

أليس هذا مما يخدم الغرض الديني في أكثر من وجه ؟أم أنه مسخ للعقل والعقيدة ؟هل من متطلبات العقل أن أتجمد على فهم محدود لم يكن متاحا غيره وقت نزول القرآن ؟

وبما أن موضوعي هنا هو فقط بيان وجوب وجود تفسير عصري للقرآن فسأكتفي بهذا في التعرض لهذه الآيات هنا وسأؤجل باقي التعرض لها لبيان أن رفض د. خالد لقبول التفسير

العلمي هنا، أو التطابق العلمي بين القرآن والعلم هو في حقيقته موجه إلى القرآن نفسه وليس الإعجاز العلمي إلى موضع آخر.

نأتي الآن لسبب آخر لرفض د. بنت الشاطئ للتفسير العصري للقرآن ، سبب لم يقصر د. خالد في تأييد صاحبته التي لا أتصور أن يكون على أي درجة من الوفاق معها ولا أفكارها خارج موضوع التفسير العصري أو الإعجاز العلمي الذي حتى هذا لا يتفق معها فيه إلا لدوافع مختلفة عن دوافعها تماما !:يقول سيادته :

وتشبه الكاتبة الإسلامية دعاة ومدعي الإعجاز العلمي بحواة الموالد الشعبية فتقول

"الذي لا أفهمه ، وما ينبغي لي أن أفهمه ،هو أن يجرؤ مفسرون عصريون على أن يخرجوا على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعة وكيمياء وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعه وحيوان وحشرات وجيولوجيا وبيولوجيا وفسيولوجيا ...الخ ،إلا أن أتخلى عن منطق عصري وكرامة عقلي فآخذ في المجال العلمي بضاعة ألف صنف معروضة في الأسواق !،وإلا أن أتخلى عن كبرياء علمي وعزة أصالتي فأعيش في عصر العلم بمنطق قريتي حين يفد عليها الباعة الجوالون بألف صنف ،يروج لها ضجيج إعلاني بالطبل والزمر عن كل شيء لكل شيء ،أو بتاع كله في فكاهتنا الشعبية الساخرة بالإدعاء"

ويعلق سيادته على هذا الكلام بقوله : **هكذا وضعت هذه المفكرة الإسلامية الجريئة يدها على مكمن الخطر ، فالقرآن تبعا للإعجاز العلمي وتفسيراته سيصبح هو قبلة العلم والتي سيصدم من اتجهوا إليها إذا لم يجدوا فيها ضالتهم العلمية فيغيرون اتجاه بوصلتهم الإيمانية ، فيصبح القرآن دمية في أيدي المهرجين ، يدوسون على أزرارها فتتحرك كما يشاءون ، وكما يوسوس لهم هواهم وليس كما يقصد القرآن**

ويقول :

تشبيه بنت الشاطئ لدعاة الإعجاز العلمي هو تشبيه دقيق ومهذب ، فالتشبيه الأكثر دقة هو أنهم نصابون متاجرون بمشاعر المسلمين ، المتعطشون لأي تفوق علمي في عصر هم فيه في مؤخرة العالم

وهكذا أصبح د. مصطفى محمود ليس مجرد حاوي من حواة الموالد الشعبية كما ترى د. بنت الشاطئ ، ولكن نصاب ، متاجر بمشاعر المسلمين كما يرى د. خالد منتصر .

والسبب انه أن جرؤ أن يخرج على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعة وكيمياء وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعه وحيوان وحشرات وجيولوجيا وبيولوجيا وفسيولوجيا .

وعلى كل هذه الادعاءات لن أجد خيرا من هذا الرد ، لهذا الإنسان المحايد تماما ، الذي لا يعاني من هذا التعطش للعلم ، وليست بلاده في مؤخرة العالم ، والذي لم يلفت نظره في القرآن نفسه وليس تفاسيره سوى هذا الذي تنكره د. بنت الشاطئ في التفسير العصري :

يقول د. موريس بوكاي صاحب المقارنة الشهيرة في كتابه دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة :

تناولت القرآن منبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه إلى حشد كبير من الظواهر الطبيعية لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون عنها أدنى فكرة، وأذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات. وقد قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية في نص القرآن... إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة: فهناك الخلق، وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان، وعالم النبات، والتناسل الإنساني... وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكشف في القرآن أي خطأ. وقد دفعني ذلك لأن أتساءل لو كان كاتب القرآن إنساناً، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة " ....

هذا إنسان غربي لم يكن ينتمي أصلا إلى الإسلام ، والعمل الذي كان يقوم به لم يكن في الأصل خاصا بالقرآن ولكن بالكتب السابقة وقد ضمن القرآن فيه استكمالا للفكرة التي كان يبحثها وهو مدى مطابقة الكتب السماوية للمعارف الحديثة ، والذي أذهله كما يقول دقة التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات العلمية وثراء الموضوعات المعالجة في القرآن والذي جعله يصمم على أن يتعلم العربية ليدرس القرآن باللغة التي أنزل بها .

الموضوع إذ ا سوء فهم شديد من الدكتورة بنت الشاطئ ترتب عليه سوء تشبيه ، وبالعقل إذا كان هناك تفسير عصري تحتمله بعض آيات القرآن يدل على صلة وثيقة بين القرآن وبين خالق الكون الذي يحدثنا عن خلقه في كتابه الكريم ، أي أنهما ينتميان إلى نفس المصدر فهل ستقتصر نوعية هذه الآيات على فرع من العلوم فقط ،إذا كان العلم كله ينتمي إلى الله فما الغريب أن تتنوع وتختلف العلوم التي تتطابق معها مثل هذه الآيات ، ألم يكن هذا الاختلاف أو ما عبر عنه د. موريس بوكاي بثراء الموضوعات المعالجة هو الذي أثار دهشته وجعله يأخذ الموضوع بكل هذا الاهتمام ؟

بل ألم يكن وجود هذه الإشارات القرآنية المتطابقة مع المعارف الحديثة هو الذي دفع هذا الكاتب الغربي الذي لم يكن يعلم شيئا عن القرآن يتساءل : لو كان كاتب القرآن إنساناً، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة " ....

هذا هو الفارق بين النظرة الموضوعية المحايدة المتفهمة، والنظرة المتعصبة، التي تفترض سوء النية وضعف الإيمان في الآخرين .

ولا يمكنني في غمار عرض هذه المعارك بين د. مصطفى محمود ود. بنت الشاطئ إلا أن أشير إلى موضوع بيت العنكبوت ، الذي علق عليه د. خالد منتصر تعليقا لا يفهم منه إلا أن بنت الشاطئ قد أصابت د. مصطفى محمود فيه بالضربة القاضية !

" ويكفي هذا الدليل البسيط المسمى بإعجاز بيت العنكبوت والذي ردت عليه الكاتبة بشكل منطقي وواضح ولا يحتمل اللبس مما جعلهم يقعون في حيص بيص ويتحولون إلى مسخرة ويتعرون أمام مؤيديهم والمسألة ببساطة أن دعاة الإعجاز العلمي اكتشفوا في تأنيث القرآن للعنكبوت إعجازا علميا في قوله تعالى : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وتبنى د. مصطفى محمود هذا الرأي واعتبره من الإعجاز العلمي قائلا : لأن العلم كشف مؤخرا أن انثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر وهي حقيقة بيلولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن وترد بنت الشاطئ أنه وقع في خطأ لا يقع فيه المبتدئون في اللغة العربية فالقرآن يجري في هذه الآية على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم الوثنية كما أنثوا مفرد النمل والنحل والدود فلم يقولوا في الواحد منها سوى نملة ونحلة ودودة وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم المفسر العصري فأي عربي وثني من أجلاف البادية كان ينطقها هكذا فأين الإعجاز العلمي في هذا الكلام ، والمشكلة أن المفسر العصري يوقع نفسه في فخ يقرب المسلم من الكفر وليس الإيمان نتيجة البلبلة والتناقض واللخبطة التي يقع فيها ، فالقرآن الذي يصف بيت العنكبوت بالضعف والوهن يأتي المفسر العصري فيهدم المعبد على ساكنيه ويصرح بأن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من بيت الحرير وأكثر مرونة

ولابد للرد على هذا الكلام أن أستعرض كلمات د. مصطفى محمود نفسه :

ومثل آخر : هذه الآية من سورة العنكبوت : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "

والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ولم يقل القرآن خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت وإنما قال بيت العنكبوت وهي مسألة لها دلالة ولها سبب

والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ، وأقوى من خيط الحرير وأكثر منه مرونة،

فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافيا بالغرض وزيادة ويكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة

فلماذا يقول القرآن : " وإن أوهن لبيوت لبيت العنكبوت " ولماذا يختم بكلمة: " لو كانوا يعلمون " ، لابد أن هناك سرا والواقع أن هناك سرا بيولوجيا : كشف لنا العلم فيما كشف لنا عنه مؤخرا،فالحقيقة هو أن بيت العنكبوت هو ابعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من سلام وسكينة وطمأنينة

فالعنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه وهي الحاكمة عليه وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله ، والأبناء يأكل بعضهم بعضا بعد خروجهم من البيض ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها ،

وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخا وكمينا ومقتلا لكل حشرة صغيرة تفكر في أن تقترب منه ، وكل من يدخل البيت من ضيوف يقتل ويلتهم ، إنه ليس بيتا إذا بل مذبحة يخيم عليه الموت والتربص ، وإنه لأوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ والوهن هنا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معينا ونصيرا

" مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن لبيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "

د. بنت الشاطئ بنت كل هجومها الذي أيدها فيه د. خالد منتصر بكل قوة ، على فهم خاطئ لكلام د مصطفى محمود وهو أن الإعجاز في الآية يتركز في إشارة القرآن إلى كون أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت ، ومن يتأمل كلام د. مصطفى محمود لا يفهم أبدا أن التأنيث هو الموضوع الأساسي في كلامه ، الموضوع الأساسي هو فكرة أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت .

ولو تأملت د. بنت الشاطئ وتفهمت الموضوع بهدوء بدلا من كل هذا الاندفاع غير المتفهم ، لوجدت أن د. مصطفى محمود في هذه الآية بالذات لا يتصنع تفسيرا عصريا ، بل إن هذه الآية حجة عليها في ضرورة وجود ما يسمى تفسيرا عصريا ، لأن الآية تشير إلى حقيقة علمية بكل المقاييس ، وهي كون بيت العنكبوت هو أوهن البيوت ، وقول الله في آخر الآية لو كانوا يعلمون يشير إلى أن الله يخبرهم بهذه المعلومة التي يعلم أنهم لا يعلمونها ، والهدف وراءها ديني ، كل ما هنالك أن المفسرين القدامى أخذوا هذه المعلومة من القرآن على أنها علم يقيني ، وفسروها على قدر علمهم المتاح ، لأن علوم العصر لم تكن تسمح لهم بأكثر من هذا ، كل ما فعله د. مصطفى محمود هو شرح عصري للآية على ضوء ما استجد من معرفة ، جعلت هذه المعلومة العلمية تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين ، انتقالا ليس هناك أية حكمة في تجاهله .

أما التخوف الأخير الذي تبديه بنت الشاطئ من الفهم العصري للقرآن ويؤيدها فيه كالعادة د. خالد منتصر حتى أنه يصفها بالمفكرة الجريئة التي وضعت يدها على مكمن الخطر ! فسأعرضه هنا لنرى ما هو مكمن الخطر هذا :

ونتورط من هذا إلى المزلق الخطر ، يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم ، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا وأسرار البيولوجيا وعلوم الذرة ليس صالحا لزماننا ولا جديرا أن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصرى "

أما د. خالد فيقول : ، فالقرآن تبعا للإعجاز العلمي وتفسيراته سيصبح هو قبلة العلم والتي سيصدم من اتجهوا إليها إذا لم يجدوا فيها ضالتهم العلمية فيغيرون اتجاه بوصلتهم الإيمانية ، فيصبح القرآن دمية في أيدي المهرجين ، يدوسون على أزرارها فتتحرك كما يشاءون ، وكما يوسوس لهم هواهم وليس كما يقصد القرآن

هل وجدتم بعد نظر مثل هذا ؟ التفسير العصري يعني أننا لابد أن نتوقع من القرآن أن يقدم لنا كل علوم العصر ، فإذا لم نجدها فيه هجرناه ، وأصبح غير جدير أن تستسيغه عقليتنا العلمية . فمتى تحققت هذه المخاوف ؟ أنا شخصيا أومن إيمانا كبيرا بالإعجاز العلمي ، والفهم العصري للقرآن ، ولا أجد إلا أن كليهما يزيدني يقينا على يقينا في ديني وقرآني ، وهذا ما أراه من كل الذين يشاركونني هذه القناعة ولو بطريقة خاطئة .

هؤلاء الذين هجروا القرآن أو هجروا الدين لم يكن ذلك بسبب إيمان بفهم عصري و صدمة بسبب عدم وجود ما توقعوا من علوم مختلفة فيه ، ولكن لأن نظرتهم إلى العلم كانت دائما النظرة المادية البحتة ، ولم يستجيبوا لتوجيهات القرآن في كيف يروا الله وراء كل هذا الخلق أو كل هذا العلم الدنيوي المعجز ، كان على عكس ما تقول د . بنت الشاطئ ، لأنهم فشلوا في أن يروا ما يريد الله أن يلفتنا إليه من خلال كل هذه الآيات القرآنية ، فكانت النتيجة ، إما رجل دين متعصب ،متجمد منفر ، أو علماني يرى كل ما يمت إلى الدين بصلة في صورة باهتة غائبة المعالم .

والحقيقة أن د. خالد اضطر هنا أن يجاري د. بنت الشاطئ في خوفها الشديد الحقيقي الصادق والغيرة المخلصة على القرآن من العلم ، لأن من يتابع كل كلام د. خالد يجد أن خوفه وانتمائه وغيرته الحقيقية هو على العلم من القرآن ، وليس أدل على هذا مما سأتعرض له في الفصل القادم تحت عنوان : هل مشكلة د. خالد منتصر هي مع الإعجاز العلمي أم مع القرآن نفسه ؟.

الفصل الخامس

هل مشكلة د. خالد منتصر هي مع الإعجاز العلمي أم مع القرآن نفسه

الكتاب الذي ألفه د خالد منتصر والذي أقوم بالرد عليه في هذا الكتاب اسمه " وهم الإعجاز العلمي " العنوان يدل بكل وضوح على أن ما يعارضه د. خالد في هذا الكتاب هو فكرة وجود ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن، وهذا الرأي يشاركه فيه الكثيرون غيره، والحجج التي يطرحها للتدليل على صحة رأيه هو ما تعرضت له بالرد في الفصول السابقة مثل القرآن كتاب هداية ، وليس كتاب علم ، هل علينا أن نستبدل آيات القرآن بالمعمل والميكروسكوب للوصول إلى المعلومة العلمية ، لماذا لم تستخرجوا من القرآن حقيقة علمية واحدة قبل اكتشافها ، طبيعة العلم مختلفة عن طبيعة الدين ، هذه هي الحجج التي يعلن د. خالد منتصر من خلالها أن مشكلته الكبرى هي في قبول فكرة الإعجاز العلمي التي يرى فيها ضررا على كل من الدين والعلم ، إلى هنا والكلام لا شيء فيه .

ولكن المدقق في ما يقوله د. خالد منتصر وما يطرحه في كتابه هذا، يجد أن مشكلة د. خالد منتصر الحقيقية هي مع القرآن نفسه، ما أراه هنا هو أن د. خالد يعاني من فكرة بالغة التشويش عن القرآن ،وأنه بينما يبدو الأمر وكأنه تعرض بالرفض للإعجاز العلمي ، فإن ما يقدمه كتابه بصورة أعمق هو فكرة سيئة عن القرآن نفسه ومصداقيته ، وليس أدل على ذلك من أن كتابه وهم الإعجاز العلمي قد تلقفته مواقع الإلحاد المختلفة لتعرض ما فيه تحت عنوان وشهد شاهد من أهلها !.

أنا هنا لا أتهم ولا أدخل في النوايا ولكن أعرض هذا الرأي الذي أراه والذي سأدلل عليه بكل الموضوعية والحيادية الممكنة ، ولن أتجاوز ما يذكر هو نفسه في هذا الكتاب ، ومن حق من يرى عكس ذلك وأولهم الدكتور خالد نفسه أن يرد علي ، لأنني ومن خلال هذه الموضوعية لا أنفي احتمال أن أكون مخطئة في فهمي ، وعلى هذا أرحب بكل ما يكشف هذا الخطأ .

ولكني بالطبع لن أكتفي بعرض نماذج ما يقوله د. خالد وتحليله، لبيان رأيه في القرآن نفسه ولكن سأقوم بالرد على كل ما طرحه في هذا السياق ، حتى لا يظن أن هذا الفهم هو ما يفرضه القرآن ، ولكن فهم في غاية السذاجة والضحالة والضلال لآيات القرآن الكريم من قبل د. خالد منتصر .

النموذج الأول يقول د. خالد منتصر :

" القرآن كتاب سماوي محكم وشامل أحدث ثورة وتغييرا شاملا في مجتمع صحراوي بدوي ضيق ومنه إلى الكون كله ولكي تحدث هذه الثورة كان لابد للقرآن أن يتكلم مع أصحاب هذا المجتمع بلغته ومفاهيمه بما فيها المفاهيم العلمية السائدة في هذا الوقت ومهما كانت هذه المفاهيم والأفكار العلمية ساذجة أو مغلوطة بمقاييسنا العصرية فإنها كانت ضرورة وقتها وإلا لكنا أمام كتاب ألغاز غامض وليس كتابا دينيا هاديا ومرشدا ولابد أن يكون واضحا لكي يهدي ويقنع ويرشد ، ولا يعني وجود هذه الأفكار أن القرآن منقوص ، ففي اعتقادي أن وجود هذه الأفكار هو دليل قوة لأنها تحترم مبدأ هاما وترسخه وهو ان الدين الإسلامي وكتابه الجليل المقدس يتفاعل مع الواقع بقوة وحميمية وهذه هي معجزته الحقيقية ...."

ما يقوله هذا الطبيب المفكر المستنير هو أن القرآن كتاب سماوي محكم، شامل ، ولهذا فهو يتفاعل مع الواقع بقوة وحميمية وهذا التفاعل هو معجزة القرآن الحقيقية ، فما هي طبيعة هذا التفاعل كما يريد أن يفهمنا ؟

طبيعة هذا التفاعل هو مخاطبة أهل ذلك العصر الذي أنزل فيه القرآن بنفس تلك المفاهيم العلمية الساذجة والمغلوطة التي كانت سائدة وإلا أصبح القرآن كتاب ألغاز غامض ، الدكتور هنا يتجاهل عدة حقائق أو على الأصح يغالط فيها :

1-بينما يؤكد لنا في كل وقت أنه يبني كل رفضه لموضوع الإعجاز العلمي في القرآن على أنه يعتقد بوجوب الفصل التام بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية وأنه لا يمكن أن يوجد رابط بينها كما يقول : منهج العلم مختلف عن منهج الدين وهذا لا يعيب كليهما ولا يعني أن النقص كامن في أحدهما ، فالمقارنة لا محل لها فمحاولة صنع الأرابيسك العلمديني بتعشيق هذا في ذاك محكوم عليها بالفشل مقدما ، فالعلم تساؤل دائم أما الدين فيقين ثابت العلم لا يعرف إلا علامات الاستفهام والدين لا يمنح إلا نقاط الإجابة ، كلمة السر في العلم هي القلق أما في الدين فهو الاطمئنان ، هذا يشك وذاك يحسم ،

نجده هنا يعود فيكرر كلمة العلمية السائدة مرتين في مدى ثلاثة أسطر ، هو هنا يعترف بوجود آيات لها طابع علمي ولا يكرر ما يزعمه من رفضه لمحاولة صنع الأرابيسك العلم ديني بتعشيق هذا في ذاك ، ولكن ما يقبله هنا هو أن هذه الأفكار العلمية ساذجة ومغلوطة وتنتمي إلى العصر الذي أنزل فيه القرآن

1-لا أستطيع أن أفهم كيف أن وجود آيات ذات طابع علمي ساذج ومغلوط هو الإعجاز الحقيقي بينما وجودها بصورة توافق العلم الحديث هو الذي يؤدي إلى الشك وزعزعة الإيمان ؟

2-الدكتور هنا يتجاهل أن القرآن ما جاء إلا ليقضي على كل الأفكار الساذجة والمغلوطة وأنه كما يقول هو نفسه أحدث ثورة وتغييرا شاملا في مجتمع صحراوي بدوي ضيق ومنه إلى الكون كله ، فإذا كانت الثورة تقتضي معارضة بل واقتلاع كل المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة ، مثل فكرة تعدد الآلهة وعبادة الأصنام ، وهي أفكار بالطبع كانت جاثمة وثابته وملتصقة بهم أكثر من التصاقهم بأي معلومة علمية ليأتي بفكرة الوحدانية الحقيقة الخالدة الأبدية الأزلية ، صادما بهذا كل معتقداتهم ومعرضا نبيه وكل هؤلاء النخبة من المسلمين لكل هذه الحروب والمشقات ، فلماذا عليه أن يبقي على هذه الأفكار العلمية السائدة المغلوطة ؟

وجود آيات قرآنية تعكس أفكارا علمية منتمية إلى عصر القرآن ساذجة ومغلوطة لا يمكن أن يعني إلا أحد أمرين :

إما الجهل بحقيقة المعلومة أو الخداع وكلاهما لا يليق بالله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا

3-الدكتور يتجاهل تماما أن القرآن العظيم لا يخص من أنزل عليهم ولكن يخص البشرية جمعاء في كل زمان ومكان حتى تقوم الساعة ، فإذا كان يتحدث إلى من أنزل في عصرهم بنفس المفاهيم العلمية الساذجة والمغلوطة التي كانت سائدة فماذا عن المتأخرين ؟ هل تصلح هذه المفاهيم للحديث إليهم ؟

أم يريد الطبيب أن يرسخ لفكرة أن القرآن لا يخص سوى العصر الذي أنزل فيه ، أو ربما هو لم ينزل ولكن من صنع بشر تحكمه هذه الأفكار ، عموما لن أصل في اتهامي إلى هذا ، فليس هذا من حقي ولكن سأقنع نفسي أن هذه فعلا قناعة د. خالد ، القرآن يستخدم نفس المفاهيم العلمية الساذجة والمغلوطة ليحقق الحميمية مع من أنزل في عصرهم هنا يحق لي أن أقول أن الدكتور هكذا لم يفصل بين العلم والدين حيث اعترف بوجود آيات لها طابع علمي ولكن الفصل هو بين الدين والعقل :

أنت تقول القرآن كتاب سماوي ومحكم .

أولا : كلمة محكم تعني : انه كتاب حق لا يقول إلا حقا وصدقا ،وليس كتاب يكرر الأفكار العلمية الساذجة والمغلوطة وهذا ما يقرره القرآن نفسه :

"لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " فصلت: ٤٢

أنت هنا إذا تكذب هذه الآية القرآنية

ثانيا: كيف حكمت على القرآن أنه كتاب سماوي ومحكم ؟ هل من خلال العقل الذي تحدثنا كثيرا عن إعلاء قيمته ؟، كتاب يكرر كل الأخطاء العلمية الساذجة والمغلوطة التي كانت سائدة لماذا بالعقل لا يكون من صنع بشر كانت تحكمه تلك الأفكار ؟

إذا كانت هذه طريقة إيمانك فهذا بالقطع إيمان أعمى ، ولو كنت مكانك واعتقد حقيقة في سذاجة وخطأ ما يأتي في كتاب ما آمنت أبدا بقدسيته احتراما لعقلي .

ولكن الأمر بالقطع ليس كذلك على الإطلاق ، فهذا الإيمان ليس أبدا هو ما يرضاه الله لنا والذي ما أتى بكل هذه الآيات المعجزة علميا كما ذكرت نماذج منها إلا ليكون إيماننا به على بصيرة وقناعة ويقين

ثالثا : هل د. خالد مقتنع حقيقة بهذا المنطق الذي يبرر به وجود آيات ساذجة ومغلوطة علميا من وجهة نظره ؟ إذا لماذا كل هذا الرفض لما فهمه وروجه في هذا النموذج التالي

النموذج الثاني : آية ويعلم ما في الأرحام

موضوع آخر يتحدث فيه الدكتور وهو كما يقول قصة شخصية حدثت له:

مازلت اذكر عندما كنت صغيرا أذهب بصحبة أبي إلى مسجد قريتنا في دمياط يوم الجمعة ، المشهد محفور في الذاكرة كأنه الأمس القريب ، خطيب كفيف جهير الصوت يكرر ما يقوله كل أسبوع من أدعية مسجوعة وإنذارات للمصلين بالجحيم والثعبان الأقرع ، حتى الأخطاء النحوية كانت تتكرر بنفس الكم ونفس الإيقاع ، ولكن أهم ما علق بالذاكرة حتى الآن ما كان يكرره الشيخ ما كان يكرره في كل خطبه من تفسيره لآية 34 من سورة لقمان ، " ويعلم ما في الأرحام " والتي كان صوته يتهدج حينها بالتحدي لكل من يجرؤ على القول بأنه يستطيع أن يكشف عن جنس الجنين ، وهو بداخل الرحم فقد كان العلم في الآية عنده يفسر على أنه العلم هل الجنين ذكر أم أنثى، وعرفت بعدها عندما قرأت تفسير الطبري بأن شيخنا معذور فهذا ما كتب في هذا التفسير وغيره من التفاسير ، وكنت وقتها مبهورا بالشيخ وأشجع فيه قدرته على التحدي وعندما كبرت ودخلت كلية الطب ،كان جهاز الموجات فوق الصوتية " السونار " وقتها هو احدث الموضات في التكنولوجيا الطبية ، وعرفت من خلال دراستي قدرته على تحديد نوعية جنس الجنين ، ولكن بعض الأخطاء البسيطة التي حدثت في تحديده من أطباء الأشعة جعلتني اهتف سبحان الله وأخرج لساني لأغيظهم ، وظللت على يقيني وتأييدي لشيخ قريتنا في دمياط ، وعندما تخرجت تزامن وقت تعييني طبيبا مع الضجة التي حدثت حول جنس الطفل القادم للأمير تشارلز والأميرة ديانا ، وعرفت أنه قد تم تحديده في بدايات الحمل الأولى ، بواسطة عينة من السائل الأمينوسي المحيط بالجنين ، وقد بلغت نسبة دقة هذا التحليل مائة في المائة ، وبدأت السنة الزملاء تخرج لإغاظتى وبدأ يقيني وتأييدي لشيخ قريتنا يهتز رويدا رويدا ، وعندما تمت ولادة طفلي الأول داعبني زميلي طبيب النساء والولادة

بقوله : ما كنت تقولنا عشان نولده هناك في أمريكا وهم يشكلوه زي ما أنت عايز ، وكانت ثورة الهندسة الوراثية واللعب بالجينات بدأت تغزو العقول ، وتسيطر على جميع المنتديات والمجلات العلمية ، وبدأت أتجنب الحديث مع الزملاء وبدا يقيني وتأييدي لشيخ قريتنا ينهار ، وهاجمني زلزال الشك وتصدعت الروح وتساءلت ، أين الإعجاز العلمي الذي عشت في كنفه أقرأ عنه وأفاخر به الأجانب الغرباء الذين لا تحتوي كتبهم الدينية على مثل هذا الإعجاز ، الذي سبقنا به العلم منذ 1400 سنة ، والتمست النجدة عند شيخنا الشعراوي لعله يكون طوق النجاة فاستمعت إلى حديثه التليفزيوني الذي يدافع فيه عن الإعجاز العلمي في هذه الآية بالذات ، ويقول إلا أن الله لم يقصد الذكر والأنثى بالذات وإنما يعلم ما في الأرحام يعني يعلم مستقبلهم ، وأغلقت جهاز التليفزيون حرصا على ما تبقى من قواي العقلية لأنه حاول الخروج من الفخ بتعسف واضح ! .

حرصت على نقل القصة كاملة كما ذكرها ، وهي تخص جزء من آية سورة لقمان يقول : ويعلم ما في الأرحام والمتأمل لما ورد فيها لا يفوته :

1-أن د. خالد لم يتفهم طبيعية وجود اختلاف بين ما تقدمه الآية وما يقدمه العلم الحديث حسب قناعته ، وأن هذا من ضرورات تفاعل القرآن مع الواقع بحميمية بترديد ما كان يعتقده الناس في ذلك العصر كما كان يدعي ، ولكنه يصور كيف تشققت روحه وتصدعت نفسه واعتزل اقرأنه بسبب ما اعتقده خطأ في الآية كشف عنه العلم الحديث ، وهذا يؤكد ما قلته في نهاية النموذج السابق ، أن د خالد لا يعتقد حقيقة في هذا المبرر الساذج الذي يزعم أنه يؤمن به .

2-د. خالد يقدم لنا هذه القصة على أنها سبب كفره بالإعجاز العلمي الذي كان يؤمن به ويعيش في كنفه ويباهي به الغرباء ممن ليس عندهم مثله في كتبهم ، وتحوله إلى شخص لا يرى فيه إلا وهم صنعته عقد النقص عند المسلمين !

هذا ما يقوله د. خالد فهل هذا هو الواقع فعلا : لكي نضع الأمور في نصابها ينبغي أن نقول :

إن قول الله تعالى " ويعلم ما في الأرحام " عبارة عن معلومة دينية خالصة ، ليس فيها مسحة من إعجاز علمي، الآية تتحدث بكل وضوح عن مفاتيح الغيب التي يعلمها الله سبحانه وتعالى ، ولا دخل لها من قريب أو بعيد بالإعجاز العلمي، فلم يكن هذا الشيخ الذي يسهب طبيبنا في بيان عدم أهليته لأي شيء، من رواد الإعجاز العلمي ، ولا كان الإمام الطبري رحمه الله ، ولا حتى شيخه الشعراوي ، كما يصفه ، كانا الاثنان مفسرين عاديين للقرآن الكريم ، فمن الذي أقحم العلم هنا؟

لم يكن الذي أقحم العلم في تفسير هذه الآية سوى د. خالد نفسه ، هو وحده الذي تحدث عن السونار والسائل الأمينوسي، لماذا ؟ ألم يكن هو الذي يدعو في طول كتابه وعرضه إلى فصل العلم عن الدين والقرآن ؟

ولكنه يرى أن العلم هنا من وجهة نظرة حجة على الآية ، فلا يمكن أن يدع هذه الفرصة تفلت من يده ، تماما مثل قبوله للمعلومة العلمية عندما تكون حسب ما يقول ساذجة ومغلوطة .

إذا المعارضة هنا لا تعني رفض الإعجاز العلمي كما يدعي ولكن رفض المعلومة الدينية التي يقول إن العلم الحديث يتعارض معها وينقضها، من يكفر هنا لا يكفر بإعجاز علمي ليس له وجود ، ولكن يكفر بصحة المعلومة الدينية المتعارضة مع العلم الحديث كما يرى، حتى إنه يصف الشيخ الشعراوي بأنه حاول الخروج من الفخ بتعسف واضح ، فهل يفهم من هذا إلا أن هذا الفخ قد وقعت فيه الآية نفسها من وجهة نظر د. خالد، أم أني أسيئ الفهم هنا.

هنا د. خالد في حقيقة الأمر وبكل وضوح لا يكتفي برفض فكرة وجود إعجاز علمي للأسباب التي يذكرها ، ولكن، تماما مثل حديثة عن الأفكار الساذجة المغلوطة في القرآن ، يروج للفكرة العكسية، وهو أن العلم يناقض القرآن.

وبعد هذا التوضيح لحقيقة الأمر ووضع الأمور في نصابها لنرى تفسير الآية الكريمة، ليعلم د. خالد وأمثاله، حقيقة القرآن الكريم، كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد:

أولا سأستخدم هنا واحد من أهم أمهات التفاسير المعروفة والذي توفي صاحبها عام 774 هـ أي 1372 م أي لم يكن هناك وقتها أي علم عن طريق سونار أو سائل أمينوسي ،وهو تفسير ابن كثير ، ولكن لابد أن نبدأ الآية من أولها

"إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" لقمان: ٣٤

<u>تفسير ابن كثير :</u>

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب } لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ {

[الأعراف: 187] وكذلك إنزال الغيث، لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به، علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه.

المتأمل لتفسير ابن كثير يلاحظ أنه عند الحديث عن علم الساعة قال إن الله لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، ولكن عند الحديث عن الغيث ، وعلم ما في الأرحام قال : علم

الملائكة الموكلون ،ومن شاء من خلقه ، والفارق كبير ، فمن أين أتي ابن كثير ، بهذه المعلومة ؟، هل قالت الآية ، إن علم ما يتعلق بنزول الغيث ، وما في الأرحام يختلف عن علم الساعة في أنه على عكس علم الساعة مسموح بشيء منهما للملائكة والبشر ؟

لا يمكن أن يأتي ابن كثير بهذه المعلومة من عنده، الآية فعلا تعطينا هذه المعلومة، ولكن القرآن لا يتحدث بطريقة السرد، والتطويل ولكن الإيجاز المعجز، القرآن الكريم هو خير استخدام لكلمات اللغة العربية :

عندما تحدث القرآن عن علم الساعة استخدم التعبير : "عنده " والعندية تعني الإنفراد بالعلم ، علم اختص به ذاته سبحانه وتعالى ولم يطلع عليه أحد ، وجميع آيات القرآن الكريم المشابهة تكرر نفس المعنى :

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" الأعراف: ١٨٧

" يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" الأحزاب: ٦٣

" إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ....." فصلت: ٤٧

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (45)" النازعات: ٤٢ ــ ٤٥

وعندما سئل الرسول متى الساعة ؟ كانت إجابته، ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وكان المسئول هو النبي عليه الصلاة والسلام، أما السائل فكان جبريل عليه السلام جاء يعلم الناس دينهم كما يقول الحديث النبوي.

أما عند الحديث عن نزول الغيث وعلم ما في الأرحام تغير أسلوب الحديث بصورة واضحة ، فاستخدم القرآن تعبير " ويعلم " ، عندما أقول أنا أعلم فهذا لا يعني بالقطع أنا وحدي الذي أعلم ، ولكن أنا اعلم ومن الممكن أن غيري يعلم ، وعندما يقول الله سبحانه وتعالى عن نفسه " ويعلم " فهذا العلم هو على مستوى إله عليم بخلقه سبحانه وتعالى ، الغيبية هنا هي في هذا المستوى الإلهي من العلم ولكن لا يمنع أن يحيط الله من يشاء بشيء من هذا العلم ، تطبيقا لهذه الآية الكريمة " وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء " البقرة: ٢٥٥

فالعلم كله هو علم الله سبحانه وتعالى الكامل المحيط ، ولكنه يحيط من يشاء من عباده ، بما يشاء منه ، وقتما يشاء،بالكيفية التي يشاء.

ولو كان الله يريد أن يخبرنا أنه استأثر أيضا بعلم الغيث وما في الأرحام كما فهم د. خالد لعطفهما على علم الساعة، فقال: إن الله عنده علم الساعة ونزول الغيث وعلم ما في الأرحام ،أو قال ويعلم وحده أو ولا يعلم ما في الأرحام إلا هو , ولكن الآية لم تقل هذا ولا ذاك ، إذا الأسلوب القرآني هنا خلافا للحديث عن الساعة يعني أنه بالنسبة لعلم م في الأرحام ونزول الغيث وهناك قدر من العلم مسموح به للبشر ، فهم لا أفتريه على الآية ولكن جاء به ابن كثير في وقت مثل وقت نزول القرآن ، لم يكن هناك فارق يذكر بين علم الساعة فيه وعلم الغيث وما في الأرحام ، تفسير يعتمد على ألفاظ الآية ولغة القرآن ، بعيدا تماما عن أي إرشاد علمي.

وإذا كانت الآية هكذا قد تنبأت وأخبرتنا أن البشر سيكون بمقدورهم الحصول على شيء من علم نزول الغيث ، وما في الأرحام فهل تحقق هذا الإخبار ؟

طبعا نعم بفضل السونار والسائل الأمينوسي ، ليس هذا فقط ولكن بفضل كل ما يجد في هذه العلوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، كل هذا تستوعبه كلمة : " ويعلم " فيما يعد إعجازا لغويا غيبيا يتعلق بما سيأتي به العلم .

سيقول د. خالد ولكن تفسير الطبري الذي ذكرته يقول، عن كل هذه العلوم أن الله لم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، أي أن حكم علم الساعة هو حكم علم ما في الأرحام: وأقول له

كلا من الطبري وابن كثير مفسر مخلص مجتهد ، عرضه لأن يخطئ أو يصيب ، أنا بينت الاختلاف اللغوي الذي التقطه ابن كثير وأخفق الطبري في التقاطه .

والحقيقة أنه حتى تفسير الطبري مع قصوره في إدراك ما أدركه ابن كثير إلا أنه لم يغفل عن حقيقة مهمة فقال في تفسير الآية :فَلَا يَعْلَم أَحَد مَا فِي الْأَرْحَام , أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى , أَحْمَر أَوْ أَسْوَد ,أو ما هو

أليس من الغريب أن نجد أن تفسير الطبري الذي استدل به حضرة الطبيب لم يحصر المعنى في موضوع الذكر والأنثى بل ذكر هذا اللفظ الدقيق جدا : أو ما هو " بما يعني كل التفاصيل الممكنة التي تميز إنسانا عن آخر ، الله سبحانه وتعالى يعلم تحديدا ما هي الشخصية بالتحديد التي ستأتي من هذا الرحم أو ذاك ، فهل ذنب التفسير أن الدكتور لم يقرأ السطر إلى آخره ؟

من يريد أن يصل إلى الفهم الحقيقي لآيات القرآن ، فلابد أن يكون صادق في الرغبة في الوصول إلى الحقيقة ، يقدس القرآن تقديسا حقيقا ، يبحث في التفاسير حتى يجد ما يقنعه ، وقبل كل شيء يكون أهلا للبحث في القرآن، أما أن يكون كل همه هو البحث في القرآن

عن الخطأ الذي يحب أن يراه ، ثم يستمر على هذا الفهم القاصر منذ أن كان طالبا في الكلية ، حتى اقترب للخروج إلى المعاش ، لم يحاول أن يفتح تفسيرا آخر ليعلم ما لم يمكنه فهمه وقتها أن يفهمه ، مع أن الإنسان يتطور فهمه ويتعمق يوما بعد يوم .

إذا ما ظن د. خالد أنه حجة على الآية هو في حقيقة الأمر حجة معها بكل المقاييس، الآية إذا لم تقع في فخ، ولكن ما وقع في فخ حقيقة هو فهم د. خالد وادعاؤه أن عداؤه هو للإعجاز العلمي ، والحقيقة أنها فكرة بالغة السوء والسذاجة والضلال عن القرآن نفسه ،وأن الموضوع في حقيقته ليس رفضا للإعجاز العلمي بقدر ما هو ترويج للفكرة العكسية له وهي أن المعلومة الدينية تتعارض مع العلم ، وأن العلم حجة على الدين .

واستكمالا للموضوع، أقول فإذا سأل سائل، إذا كانت الآية تستوعب كل ما يأتي به العلم في مجال علم ما في الأرحام ، فما ذا بقي من غيبية لا يعلمها إلا الله في هذا المجال ؟

قبل كل شيء أقول : علم الله يا سيادة الطبيب هو علم الذي خلق هذه البلايين من الحيوانات المنوية وهو الذي حدد لكل منها ما تحويه من جينات وصفات ، وهو الذي خلق هذه المئات أو الآلاف من البويضات وحدد في كل منها جيناتها وصفاتها الوراثية وهو الذي شاء بعد ذلك أي من هذه ستندمج مع أي من هذه حتى لو تم هذا الدمج بتقنيات علمية وباختيار بشري ، فهذا اختيار ظاهري ، هو تنفيذ لإرادة إلهية من خلال إرادة بشرية كما هو الحال في كل ما يحدث ، فهي إرادة الله وعلمه ،هناك عمق وحكمة لا يدركها من يأخذ الأمور بكل هذه السطحية والسذاجة ولا يمكن لإنسان أن ينكر، علم الله وقدرته ومشيئته أن يكون مؤمنا بالله ، هل علمت الآن معنى " ويعلم ما في الأرحام "

والحقيقة أن كل ما يمكن للبشر أن يصلوا إليه من علم يحيطهم الله به في مجال ويعلم ما في الأرحام لا يمكن أن يتعدى نقطة في محيط علم الله الواسع ، كما تدل علي ألفاظ الآية المعجزة نفسها : الله تعالى يقول : ويعلم ما في الأرحام ، ألا نلاحظ هنا :

أولا : أن الله استخدم لفظ الأرحام هكذا مطلقا ولم يقيده بأرحام النساء الآدميات ، إذا الآية تعني كل ما يطلق عليه رحم في مخلوقات الله ، تماما كما يقول : وما تحمل كل أنثى ولم يقل كل امرأة ، فهو يتحدث عن كل ما تحمله إناث المخلوقات كلها ، لأنهم جميعا خلقه الذي يعلمه جيدا

ثانيا : أن الله سبحانه وتعالى استخدم تعبير ما في الأرحام تعبير كامل الإطلاق ، كل ما يمكن أن يكون في هذه الأرحام ، ولم يقيدها بالأجنة أصلا حتى نتحدث عن الذكر والأنثى ، والمتخصصون يعلمون أن الأرحام دائما في تغير مستمر ، خلايا تتكون ، وخلايا تتهدم ، الله سبحانه وتعالى يعلم في كل لحظة ما يجري في أرحام الكائنات كلها ، علما مستمرا لا ينقطع تصوره كلمة ويعلم ، لأنه علم الخالق الذي لا تنشأ خلية ولا تتهدم إلا بأمره ، وعندما يكون هناك جنين إنساني فالله سبحانه وتعالى هو العليم بكل دقائقه وتفاصيله ، يعلم إذا كان في هذا الرحم هو ما سيكون الشيخ الشعراوي أو إينشتاين ، فما الذي يقدمه هذا

السونار أو السائل الأمينوسي بجوار هذا العلم ، كل ما يمكن أن يعلمه هو ما يحدث في رحم هذه السيدة تحديدا في هذه اللحظة تحديدا ، وهذا هو كل العلم الذي جعل د. خالد يتصدع ويتشقق ويعتزل أقرانه، ويظن أنه هكذا قد أصبح على علم بما يعلم به الله ، وأن الآية القرآنية قد وقعت في فخ لا سبيل إلى الفكاك منه !

هل أريد أن أكمل الحديث عن طريقة د. خالد الساذجة ، لأذكره أن ما يأت به السونار والسائل الأمينوسي ، ليس علما بشريا مقابل علم إلهي ، ولكن تيسيرات وقوانين وعلم وضعه الله في الأشياء وهدى الناس إليها لتكون الكيفية التي يحيطهم بها بشيء من علم ما في الأرحام ، ولكن لا أظن أن بمقدور د. خالد أن يصل إلى هذا العمق من خلال علمانيته التي يدافع عنها باستماتة والتي لا تقدم له سوى هذه القشور ، وهذه الفهم البالغ الضحالة والسذاجة للأمور ذات الطابع الديني ، هذه العلمانية التي سأتعرض لها وأناقشها في موضع لاحق بإذن الله لنجيب عن التساؤل الذي جعله عنوانا لأحد فصول كتابه وهو " هل العلمانية كلمة قبيحة؟ ".

النموذج الثالث : خلق الإنسان من طين :

بعض المسلمين الذين يحترمون القرآن ويقدرونه حق قدره ويقدسونه تقديسا حقيقيا ، يقبلون بنظرية التطور، ولكنهم يرونه تطورا أتى من خلال إرادة وحكمة إلهية ، وليس عملية تلقائية ، ولذلك يطلقون عليه تطوير بدلا من تطور .

هؤلاء الذين يقبلون بقدسية وصحة كل ما جاء في القرآن يتناولون موضوع خلق الإنسان من طين بطريقة تأويلية ،بمعنى أن الإنسان لم يخلق مباشرة من الطين ، ولكن كان هذا هو البدء المطلق للخلق ، البداية المطلقة للحياة ، بدأت بصورة بسيطة جدا ، من الطين خلية واحدة ثم تطورت بعدها الكائنات حتى وصلت للخلق الإنساني

ومع عدم اتفاقي مع ما يقولون ، وفهمي لآيات القرآن العظيم بطريقة مختلفة عن فهمهم فلا يمكن لأحد أن يتهمهم بالتعرض لقدسية القرآن ومصداقيته . ولكن هذا الحال لا ينطبق مع الأسف مع ما أفهمه من تناول د. خالد منتصر للموضوع :

فقد اتخذ الدكتور مؤلف الكتاب من مقالة الدكتور زغلول النجار في الأهرام يوم 20 سبتمبر 2004 عن آية سورة المؤمنين " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين وسيلة ليس لتكذيب كلام د. زغلول النجار عن الإعجاز العلمي الذي يراه في هذه الآية وهو عبارة عن توافق نسبة العناصر والأكاسيد في كل من الخلق الإنساني والطين ولكن كما سأوضح وسيلة لتكذيب الآية القرآنية نفسها ، أي تكذيب نفس موضوع خلق الإنسان من

طين وكذب معها أيضا آيات سفر التكوين وسفر أشعياء في التوراة التي تتحدث عن خلق آدم من التراب

يقول د خالد منتصر:

"الآية 12 من سورة " المؤمنون ""ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين"، وقد كتب د زغلول النجار في مدى أعجازها صفحة كاملة ، يوم 20 سبتمبر 2004، وعن تشابه تركيب جسم الإنسان مع التركيب الكيميائي للطين ، وأخذ د. زغلول يعطينا محاضرة في نسبة الألمونيوم ، والسيليكون والمغنسيوم والبوتاسيوم وأكاسيد الحديد ، في كل من الإنسان والتراب ولكن ما رأي الدكتور زغلول النجار إذا أحضرنا له أدلة على أن هذا الكلام قد قيل في أساطير سومرية ، وبابلية ونرجوه الرجوع إلى كتاب فراس السواح مغامرة العقل الأولى ، ليعرف من خلال الأساطير أن الإله مردوخ البابلي خلق الإنسان من طين وكذلك إنكي السومري والإله خنوم الفرعوني الذي كان يصور في النقوش على هيئة صانع الفخار وحتى في الأساطير الإغريقية يخلق بروميثيوس الإنسان من تراب وماء وتسربت هذه الفكرة إلى سفر التكوين 7:2 حيث يقول وجبل الأب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة وفي سفر أشعياء 8:64 أن يا رب أنت أبونا أهل الطين " وأنت جابلنا " وهذا يثبت أن هذه المعلومات التي يقولون عليها إعجازا علميا هي معارف كانت متداولة في هذا العصر وكل هذه الأساطير سواء بابلية أو سومرية أو فرعونية أو إغريقية أو حتى الكتب السماوية سواء كانت توراة أو إنجيلا أو قرآنا ، لا تحمل أي إعجاز علمي أعتقد أن الدكتور زغلول النجار لن يستطيع الرد على هذه الأدلة التي ذكرناها .ضضضض

ولنحلل هذا الكلام :

د. خالد منتصر في هذا المقطع يعارض بشدة اعتبار د. زغلول النجار أن تشابه نسب العناصر والأكاسيد في كل من الطين والخلق الإنساني يصور إعجازا علميا يعكس صحة الآية القرآنية ومصداقيتها ، وإلى هنا لا رفض لكلامه ولا اعتراض ، فهذا حقه وهذه قناعته ولكن لو :

لو كان سبب اعتراض د. خالد منتصر هو فكرة الإعجاز العلمي التي قدمها د. زغلول النجار ، لو تعرض للمعلومة العلمية ، لو أخبرنا أن تشابه نسب هذه الأكاسيد أو العناصر في كل من الخلق الإنساني والطين غير صحيحة .

كنت أتفهم أيضا أن الإعجاز العلمي هو محل رفض د. خالد منتصر لو كان كل ما يقوله ، أن هذه الفكرة كانت معروفة قبل القرآن ، والتوراة ، حتى إنها وردت في الأساطير، كنت

ساعتها سأقدر فهم وعلم د. خالد مصدر المعلومة في هذه الأساطير كما سأوضحه فيما بعد، فقط لو لم يقل:" وتسربت هذه الفكرة إلى سفر التكوين 7:2"

هذه العبارة تبين بكل وضوح أن د. خالد يعتقد أن أصل فكرة خلق الإنسان من طين هي هذه الأساطير، هي التي ابتدعتها وتسربت إلى سفر التكوين ، ومنه أو منها بالطبع إلى القرآن ، الذي يكرر ما كان شائعا من أفكار ساذجة ومغلوطة .وخصوصا انه دائما يدافع عن نظرية دارون ، نظرية التطور وليس التطوير ، وهو ما سأتعرض له في هذا الكتاب أيضا .

والغريب أن هذا الكلام الذي ذكره د. خالد عن هذه الأساطير، ونسبة فكرة خلق الإنسان من طين إليها هو نفسه ما ذكره احد زعماء الملحدين وهو " بسام بغدادي" في حوار له مع د. عمرو شريف

وانأ هنا لا اعني بكلامي هذا أي اتهام ، فقط أقول إن د. خالد يكرر كلام أو يتفق مع هؤلاء في تناوله لهذه الأمور .

أنا هنا لا يعنيني الإعجاز العلمي في قليل أو كثير ولا أتفق فيه أو أختلف مع د. زغلول النجار، ولكن ما يهمني هنا هو الرد على كلام د. خالد منتصر ، بخصوص المعلومة القرآنية عن بداية خلق الإنسان من طين ، هل ما ذكره د. خالد عن أن الأساطير هي الأصل الذي انتقلت آو تسربت منه هذه الفكرة إلى الكتب المقدسة واعني القرآن تحديدا ، وهل فيما يذكره الدليل الذي لا يدحض ليس على خطأ فكرة الإعجاز العلمي ولكن على خطأ المعلومة القرآنية نفسها ؟

أولا: القرآن أكد على خلق الإنسان من طين في أكثر من آية :

"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ" الأنعام: ٢

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ" المؤمنون: ١٢

"الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ" السجدة: ٧

"فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ" الصافات: ١١

"إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ" ص: ٧١

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" الحجر: ٢٦

" خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" الرحمن: ١٤

أي مخالفة لهذا الكلام هو تكذيب صريح للآية القرآنية ، وادعاء أي إنسان أن هذه المعلومة قد تسربت إلى القرآن من الأساطير أو حتى من التوراة التي تسربت إليها المعلومة من الأساطير كما يقول لا يعني إلا قدح في مصداقية القرآن ، وكلام د. خالد هنا

لم يختلف عن كلامه السابق في أن القرآن كان يكرر ما كان شائعا وقتها من الأفكار المغلوطة والساذجة، هو هنا فقط حدد مصدر هذه الفكرة : أساطير الأولين

تأتي الآن إلى هذا الدليل المفحم الذي قدمه سيادته على أن كلا من التوراة والقرآن قد نقلوا معلومة خلق الإنسان من طين من أساطير الأولين بابليين وسومريين وفراعنة وإغريق .

الدليل طبعا أنه بما أن هذه الأساطير هي الأقدم في الوجود عن التوراة والقرآن ، فلابد أن يكون الأحدث هو الذي نقل من الأقدم ، فكرة منطقية ، ولكنها مبنية على معلومة ناقصة ، والمعلومة الناقصة دائما تؤدي إلى نتيجة أسوأ من عدمها ؟

ألم يسأل نفسه لماذا انتشرت هذه الأسطورة بين هذه الثقافات المختلفة ؟ بل آتيك بمعلومة أخرى من نفس الكتاب الذي استشهدت به ، وهي انه في حضارة الفلبين أيضا وهي بلاد بعيدة جدا كما تعرف يعتقدون أن الله خلق الإنسان من طين ، بل ويقدمون تفسيرا لاختلاف ألوان البشر فما سر هذا الانتشار الكبير لهذه المعلومة؟

هل هو توارد خواطر لمعلومة لا أصل لها ؟

أم هو انتقال للمعلومة من حضارة إلى أخرى، وهذا يعني أنه كان هناك مصدر أولي لهذه المعلومة ومنها انتقلت كيفما انتقلت فما هو مصدرها الأصلي؟، الكتاب الذي استشهدت به نفسه يذكر هذا المصدر :

يقول الأستاذ فراس السواح في كتابه مغامرة العقل الأولى صـ11:

أما الإسلام فقد أثبت بعض ما أوردته الأساطير وقدمه في صورة مختلفة تماما مرجعا إياه إلى أصله السماوي القديم قبل تحريف الكلام عن مواضعه بسبب التقادم أو سوء الطوية "

هل رأيت ؟ أصله السماوي القديم ، هكذا يقول الكتاب الذي استشهدت به ، هذه الأساطير يا دكتور خالد هي محرفة أساسا عن أصل سماوي ، كان هناك حقيقة أن الإنسان بدأ خلقه من طين ، وتلقتها هذه الأساطير مسندة هذا الخلق إلى الإله الوثني في كل منها . تماما مثل واقعة الطوفان نعم ترى ذكر لها في الحضارات السابقة على التوراة والقرآن، ولا يعني هذا أنها انتقلت إليهما من هذه الحضارات، ولكن واقعة حدثت وروتها الأساطير مثل ما يعاد رواية أي شيء آخر ممزوجة بكثير من الإضافات والتحريفات ، ثم يأتي القرآن ليعيد إليها التفاصيل الحقيقية فقط أو كما يقول فراس السواح يرجعها إلى أصلها السماوي الأول ، ولكي لا يكون هذا مجرد كلام مرسل أدعوك لتقرأ قول الله تعالى في سورة نوح :" **وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا" نوح: ١٧ – ١٨**

"وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ " هود: ٦١

إذا كما سجل القرآن نفسه كان من الطبيعي أن يذكر كل نبي قومه بالأصل الطيني لهم وبالإضافة إلى هذا : فإن آدم نفسه عليه السلام الذي كانت بداية خلقه من الطين كان هو

نفسه كحقيقة يعيش على الأرض وانتقلت هذه المعلومة إلى نسله شرقا وغربا وامتزجت كالعادة بالإضافات الأسطورية التي جاء القرآن ليحررها منها ، هل فهمت ؟

إذا كان د. خالد يعتقد أن أول اتصال بين الله سبحانه وتعالى وعباده كان في التوراة في عهد نبيه الكريم موسى عليه السلام ، فهذا بالقطع اعتقاد خاطئ ، الله سبحانه وتعالى كان على صلة بعبادة منذ أول الخلق ، هناك رسل يذكر في القرآن الكريم أنه قد قصصهم على نبيه في القرآن ورسلا أخرى لم يقصصهم ، والقرآن يحدثنا عن وحيه لأنبيائه من قبل التوراة

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

الأعلى: ١٨ - ١٩

" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا " النساء: ١٦٣

ألم أقل أن المأساة كلها تكمن في المعلومة الناقصة ، وهذا دائما هو حال د. خالد منتصر ومعلوماته .

النموذج الرابع : مراحل خلق الجنين كما وردت في القرآن :

الله سبحانه وتعالي يقول في سورة " المؤمنون"

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14 " المؤمنون: ١٢ – ١٤

الآية تتحدث كما هو واضح عن أطوار تخلق الجنين في الرحم ، كما أوضحت سابقا ، الصحابة الذين أنزل القرآن في عصرهم لم يكونوا يدرون شيئا عن هذه المعارف التي نطلق عليها اليوم علم الأجنة ،كان كل ما يجري في الرحم بالنسبة لهم غيبا ، ولكنهم تعاملوا مع ما تحدثنا به الآية على أنه علم يقيني ، جاء في كتاب يؤمنون بقدسيته وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، عن قناعة وبصيرة لأسباب أخرى ، وأصبح حكم المعلومة فيه بالنسبة إليهم هو حكم المعلومات الأخرى التي يتحدث عنها القرآن ،ويدركونها بحواسهم ، مثل اختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر ...الخ

ولكن كان كل فهمهم للآية في حدود المعنى اللغوي، لأن ما يهم هنا ، مثل ما يهم في المواضيع الأخرى هو ما وراء المعلومة ، وليس المعلومة كمعلومة .

والآن ، وقد تطور العلم كثيرا ، وأصبح ما يجري في الرحم الآن عين يقين ،أصبحنا نرصده منذ البدايات الأولى بأجهزة غاية في الدقة يسرها الله لنا ، كان من الطبيعي أن نحاول فهم هذه المصطلحات على ضوء هذه المعرفة ، ولا ادري أصلا فيم الاعتراض على ذلك ، أعني تحديدا مبدأ محاولة فهم أو مقارنة المعلومة العلمية التي تتيحها الآلات الحديثة بما يذكره القرآن ، هل الأكثر قبولا ، هو أن نظل على هذا الفهم الغيبي لموضوع أصبح ينتمي الآن لعالم الشهادة ؟

وتناول الأمر بطريقة موضوعية يدلنا على أن النتيجة المتوقعة واحد من احتمالين : إما إن هذه الأوصاف صحيحة وهنا يثبت هذا الإعجاز العلمي ، أو أنها غير ذلك ، وهذا يعني أن القرآن ، قد أخطأ ، وهذا شيء لا يمكن قبوله في كتاب مقدس .

الحقيقة أن ما يستميت د.خالد منتصر في إثباته هو الاحتمال الثاني، ولنرى ما يقول :

[الآية : " خلق الإنسان من علق " والآية الأخرى : ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة "

الإعجاز العلمي كما كتبه الدكتور زغلول النجار في جريدة الأهرام 11 أكتوبر 2004 فالآية تشير إلى مرحلة جنينية محددة وهي مرحلة العلق وهي ديدان حلقية تعيش في الماء العذب وتعيش متطفلة على العديد من العوائل الفقارية والجنين في مطلع الأسبوع الثالث يأخذ هيئة دودة العلق في شكلها

المعنى الحقيقي في قاموس العرب هو الدم الغليظ ولا علاقة له بهذه الدودة التي يتخيلها الدكتور زغلول والتي لا تمت بصلة لشكل الجنين في الأسبوع الثالث الذي لا يشبه الدودة من قريب أو بعيد ولكنه التعسف ولوي الحقائق ومعاملة اللغة بشكل انتهازي يجعل استنتاجاتهم من المضحكات المبكيات

سيادة الطبيب يعترض هنا على أمرين :

1-على تعريف كلمة" علق " بأنه مثل دودة ما

2-على وجود أي تشابه بين الجنين في مرحلة العلق وبين شكل الدودة ولذا يلزم الرد على كلا الادعاءين

أولا : بصراحة أنا شديدة العجب من أسلوب هذا الطبيب الغريب ، كل معلوماته مستقاة من قاموس العرب فما هو قاموس العرب هذا الذي هو مرجعيته الوحيدة في كل أمر والذي يبدو أنه لا يملك غيره ، وفي الحقيقة لم أعثر على الإنترنت على ما يسمى بقاموس العرب هذا ولكني لا أستبعد أن يكون هناك قاموس فعلا بهذا الاسم فلماذا هذا القاموس بالذات الذي يستخدمه وكأنه الدليل الدامغ الذي لا يجب على أحد أن يعترض عليه ؟ ولو كان هناك مثل

هذا القاموس فهو قطعا ليس من القواميس الكبيرة المعروفة مثل لسان العرب أو القاموس المحيط أو المغني أو حتى مختار الصحاح .

الذي أعرفه عندما يقول سيادة الدكتور إن تعريف كلمة" علق " بأنه دودة هو شيء ليس له وجود إلا في مخيلة الدكتور زغلول النجار فلكي يجزم الإنسان بأمر مثل هذا فالأمانة كانت تقتضي أن يبحث بدقة في كل ما يمكن من مصادر ليرى هل الدكتور يتخيل فعلا معاني لا وجود لها أم أنه حصل على ما ذهب إليه من مصدر ما.

والحقيقة الغريبة أنه تقريبا في كل القواميس العربي التي نظرت فيها وجدت أن كلمة " علق " تعني كلا التعريفين : الدم الغليظ ، دودة تعيش في الماء وتحيا على مص دماء العائل ، وأستعجب كيف يجهل سيادة الطبيب ما هو معروف باسم العلق الطبي والذي كان يستخدم لمص الدم في مرضى الضغط المرتفع وغيرهم والذي يعرف في الطب ب leechوأتساءل هل فعلا الطبيب لا يجيد البحث في المصادر أم أنه يعتمد على أن الناس لن تبحث وراءه وتصدقه وستتعامل مع ما يخبرنا أنه توصل إليه على أنه أمر مسلم به ،يعني بينما هو ينعي على الناس سذاجتهم وتصديقهم كل ما يقال لهم ، فهو نفسه يراهن على هذه السذاجة حتى يتقبل الناس كل ما يقول ! وهذه بعض المصادر التي بينت معنى كلمة " علق " :

الباحث العربي " برنامج يستخدم مجموعة من المعاجم العربية الشهيرة " : دُوَيْدةٌ حمراء تكون في الما ء تعلق بالبدن وتمتص الدم ، وهي من أَدوية الحلق والأَورام الدَّمَوِيّة لامتصاصها الدم الغالب على الإنسان

مختار الصحاح :العَلَقُ الدم الغليظ والقطعة منه عَلَقةٌ و العَلَقةُ أيضا دودة في الماء تمص الدم والجمع عَلَقٌ

لسان العرب

والعَلَقُ: الدم، ما كان وقيل: هو الدم الجامد الغليظ، وقيل: الجامد قبل أَن ييبس، وقيل: هو ما اشتدت حمرته، والقطعة منه عَلَقة. وفي حديث سَرِيَّةِ بني سُلَيْمٍ: فإِذا الطير ترميهم بالعَلَقِ أَي بقطع الدم، الواحدة عَلَقةٌ. وفي حديث ابن أَبي أَوْفَى: أَنه بَزَقَ عَلَقَةً ثم مضى في صلاته أَي قطعة دمٍ منعقد. وفي التنزيل: ثم خلقنا النُّطْفَة عَلَقةً؛ ومنه قيل لهذه الدابة التي تكون في الماء عَلَقةٌ لأَنها حمراء كالدم، غليظ عَلَقٌ، والعَلَقُ: دود أَسود في الماء معروف، الواحدة عَلَقةٌ.

leech (Type: noun - Domain: biology) : small soft creature that fixes itself to the skin of animals in order to drink their blood

عَلَقة - دُودَةُ العَلَق

القاموس الطبي : ترجمة للكلمة الإنجليزية : leechعلقة " ديدان ماصة للدم " ، وهذا ما يعرف بالعلق الطبي وهي دودة معروفة تعيش على مص الدم وكانت تستخدم طبيا

ولو كلف د. خالد منتصر نفسه بالبحث عما قاله الطبيبان الكبيران .د محمد على البار في كتابه: خلق الإنسان بين الطب والقرآن " الطبعة الثامنة 1991" ، د. ، ود. محمد فياض في كتابه : إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان الذي ألفه عام 1999 أي قبل مقالة د. زغلول النجار بسنين لعلم أن د. زغلول لم يبتدع موضوع دودة العلق ، وليس مجرد شيء في مخيلته ، ولكنه وصف أوردته القواميس

ثانيا : الرد على زعم الدكتور منتصر أنه لا يوجد مرحلة من مراحل نمو الجنين يكون شكله فيها مثل الدودة

أولا لم يقل أحد إن شكل الجنين مثل شكل الدودة التي عموما لها شكل معين ولكن الكلام على شيء خاص اسمه دودة العلق لها شكل معين يحاكي شكل الجنين البالغ من العمر 24 يوما ، وبأسلوب علمي أكثر :

بعد اكتمال إنغراس البذرة الإنسانية في جدار الرحم في الأسبوع الثاني تتميز الطبقة الداخلية للجنين إلى طبقتين ((Bilaminarبينما تتعلق الطبقة الخارجية بجدار الرحم بواسطة ساق التعلق ((Connecting stalkللحصول على الغذاء من دم الأم.وفي الأسبوع الثالث تتكون طبقة ثالثة بين الطبقتين وبذلك تكتمل الطبقات الثلاث التي سينشأ بإذن الله منها جميع أجهزة الجسم (.(Trilaminarوتتميز منطقة الرأس من منطقة المؤخرة ويأخذ الجنين الشكل الدودي سابحاً في السائل المحيط ومتغذياً عليه ومتعلقاً بجدار الرحم وهوبذلك يشبه طفيل العلق الموجود فى البرك فى نواحى كثيرة منها:

1- الشكل الدودي

2- السباحة في وسط سائل

3- تعلق طفيل العلق بكائن آخر.

4- تغذية طفيل العلق على دماء هذا الكائن الأخر.

Figure 2. Top, a drawing of a 24 day-old human embryo. Note the leech-like appearance of the human embryo at this stage. Below, a drawing of a leech or bloodsucker.

أما عن تعريف العلق بأنه الدم الغليظ فالعجيب أن هذا التعريف أيضا ينطبق على شكل الجنين في هذه المرحلة ، ففي هذه الفترة تنشأ بداخله الأوعية الدموية على شكل شبكة جزر مغلقة معطية إياه مظهر علقة الدم المتجمد كما في الشكل

الشكل (10): شبكة الأوعية الدموية المغلقة تجعل الجنين يبدو كعلقة الدم المتجمد

لعل في هذا الرد العلمي على بعض ادعاءات د خالد منتصر

ولنأت إلى قسم آخر من كلامه ، يقول د. خالد منتصر:

فالمفاهيم القديمة المتداولة وقت نزول القرآن كانت تتحدث عن أن الجماع وما ينزل منه من سائل منوي هو سبب الحمل وهذه معلومة متداولة لا تعني أي إعجاز ، إذا كانت النطفة تعني الحيوانات المنوية كما يدعون ، وبالطبع لابد أن نفهم الآيات من السياق ومن معاني الكلمات التي تشكل الآيات ، فالنطفة هي قطرة الماء والعلقة هي الدم الغليظ ، ولا علاقة لها بالدودة التي يتحدث عنها د. زغلول النجار ، والمضغة وغيرها لا علاقة لها بأطوار تكون الجنين ، ولكنها ببساطة مراحل شاهدتها القابلات والأمهات ، والناس حينذاك من ملاحظات بسيطة ، أثناء الإجهاض ، فالإجهاض يتم في أي مرحلة ، ومن الوارد جدا أنه عندما يحدث الإجهاض يصفه هؤلاء بأنه شبه العلقة أو المضغة ، كل هذا لا يعكس أي معجزة علمية حديثة ، فالمفاهيم القديمة لا تذكر أبدا دور البويضة ،

هذه المفاهيم وغيرها هي التي كانت سائدة ، ولا نستطيع أن ندعي انها تعبر عن معلومات علمية معاصرة ، مثل مفهوم اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة ، التي لم نجد لها اي ذكر في ثقافة العرب القدماء وبالتالي في القرآن :

وجهة نظر الدكتور خالد :

1-المراحل التي ذكرها القرآن هي أوصاف لا تمت للعلم بصلة ، لا شيء اسمه نطفة أو علقة و أن هذه الأوصاف قد أتت من القابلات أو الناس عندما يتحدثون وصفا عن مراحل مختلفة لم يكتمل فيها الحمل وحدث الإجهاض ، بمعنى أن المعلومة ، ليست من مصدر مقدس .

2-أن القرآن لم يذكر أبدا دور البويضة .

وللرد على هذه الفهم الغريب لآيات القرآن أقول "هل ما تريده من القرآن حتى يكون ما يذكره إعجازا علميا أن يستخدم المصطلحات الحديثة التي اتفق عليها البشر فيما بعد ، فيقول لك البويضة ، والحيوان المنوي والزيجوت ؟ أو يعتمد التقسيمة الحديثة أو حتى القديمة في علم الأجنة ؟

هذه تقسيمة قرآنية لمراحل تخلق الجنين ، تعتمد كما هو مفروض على الشكل الخارجي الواضح المظهر ، وعلى التغيرات في هذا الشكل ، فكلامك ليس هناك شيء اسمه نطفة أو علقة لا معنى له

الغريب أن الأهم من هذا كله والذي يعتبر إعجازا علميا بكل المقاييس وكما يقول د. محمد على البار في كتابه " خلق الإنسان بين العلم والقرآن ": أن موضوع تطور نمو الجنين في مراحل أصلا لم يكن معروفا حتى عام 1769

يقول د. محمد على البار:

"وقدم وولف نظريته القائلة بأن الجنين ليس موجودا بشكل متكامل في البويضة أو الحيوان المنوي وإنما هو موجود بصورة بسيطة جدا ، ثم يتعقد تدريجيا وذلك في الفترة من 1759-1769"

" وأنها " أي الإنسانية " لم تكن تدري أن الجنين الإنساني يمر بأطوار مختلفة من الخلق ، خلقا من بعد خلق ،ولم تعرف ذلك إلا عام 1769عندما قدم وولف ملاحظاته ،ولم تتاكد هذه الملاحظات إلا عندما جاء شوان وشيلدن وأوضحا دور الخلايا في بناء الأنسجة وذلك عام 1839 وفي 1883 تمكن فان بندن من إثبات ان كلا من الحيوان المنوي والبويضة يساهمان بالتساوي في تكوين الجنين وفي أوائل القرن العشرين عرفت مراحل الجنين ودور الصبغيات والجينات في تكون الجنين وصفاته الوراثية "

، وحتى بعد اختراع الميكروسكوب بقرون ، كان المشهور أن الجنين يأتي كله إما من الرجل أو من الأنثى في صورة مصغرة جدا ثم ينمو بعد ذلك ، كان اكتشاف نمو الجنين في على مراحل آو أطوار فتحا علميا في علم الأجنة .

صورة رسمها هارتسوكر للجنين القزم في الحيوان المنوي عام 1694

ثم أي قابلة هذه أو امرأة التي يمكنها أن تتحدث عن النطفة والعلقة والمضغة ، : هل يدري هذا الطبيب كم يبلغ حجم النطفة والعلقة والمضغة قبل أن يدلي بهذا الرأي العبقري ؟ ، طول العلقة 3.5 مم أما المضغة فيبلغ طولها 1 سم

وإذا كنت قد بينت تطابق وصف العلقة القرآني مع هذه المرحلة ، فوصف المضغة أيضا لا يقل تطابقا ، والمعلومة هنا سأنقلها من كتاب د. محمد فياض :" إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان " الذي يتفق فيه مع كتاب د. محمد على البار : خلق الإنسان بين العلم والقرآن ، وكلاهما من اكبر أساتذة النساء وبالتالي على معرفة عميقة بعلم الأجنة ، يقول د. محمد فياض :

"وقد أوضح علم الأجنة الحديث مدى دقة اختيار القرآن الكريم لتسمية " مضغة " من حيث ارتباطها بالشكل الخارجي للجنين ، وتركيباته الداخلية الأساسية فقد وجد أنه بعد تخلق الجنين والمشيمة في هذه المرحلة ، فإن الجنين يتلقى الغذاء والطاقة ، وبذلك تتزايد عملية النمو بسرعة ، ويبدأ ظهور الكتل البدنية المسماة فلقات ، والتي تتكون منها العظام والعضلات

ونظرا لتعدد فلقات الجنين التي تتكون ، فإن الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة ، عليها طبعات أسنان واضحة ، فهو مضغة، وهنا يتفق معي الزميل الدكتور محمد على البار فيقول : " ولقد كان المفسرون القدامى ، يفسرون المضغة بأنها مقدار ما يمضغ من اللحم ، ولكن بعد إعادة النظر والمناقشة أرى الآن أن وصف المضغة ينطبق الآن تمام الانطباق على مرحلة الكتل البدنية ، إذ يبدو الجنين فيها وكأن أسنانا أنغرست فيه ثم لاكته وقذفته " " ومن يريد المزيد من العلم في علاقة القرآن بعلم الأجنة فأمامه هذان الكتابان

هذا هو كلام العلماء المتخصصين ، المخلصين ، أما من لا يريد ألا يعرف وكل همه هو إثبات انتماء القرآن للمعارف الساذجة المغلوطة التى كانت سائدة في ما يزيد على أربعة

عشر قرنا من الزمان ، فماذا سيرى في مثل هذه التسميات والأوصاف القرآنية سوى ترديد لما تقوله القابلات !

والآن نأتي إلى موضوع دور البويضة الذي يقول د خالد أنه لم يأت أي ذكر له في القرآن ، أو لأننا لم نجد في ثقافة العرب القدماء أي ذكر عن مفهوم اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة ، فبالتالي لم نجد له أي ذكر في القرآن فهل هذا الكلام صحيح ؟

نعم لم يدرك ليس العرب القدماء فقط ، ولكن العالم كله كما أوضحت مفهوم اتحاد البويضة بالحيوان المنوي إلا حديثا جدا ، بل حتى بعد اكتشاف الحيوان المنوي ، و البويضة ظلت الآراء تتأرجح بين جنين مكتمل قزم موجود في الحيوان المنوي ، أو جنين قزم مكتمل في البويضة ولم يعرف إلا في القرن الثامن عشر بفضل تجارب سبالانازاني ، وولف أن الجنين يتكون من مساهمة كلا من البويضة والحيوان المنوي ،

وعلى ذلك فبالنسبة للعامة وقت نزول القرآن كانت هذه المعارف هي السائدة ،يتضح هذا من هذه الأبيات التي قالتها زوجة أبي حمزة الضبي بسبب هجره لها عندما ولدت بنتا :

ما لأبي حَمزةَ لا يَأتينا يَظلّ
في البيتِ الّذي يَلينا

غَضبان أَن لا نلدُ البَنينا تَاللَّه ما
ذلكَ في أَيدينا

وَإنّما نَأخذُ ما أُعطينا وَنَحنُ
كَالأرضِ لِزارِعينا

ننبتُ ما قَد زَرعوهُ فينا

هذه الأبيات التي اتخذها د. خالد كعادته في قلب الأمور دليلا على أن هذه الإعرابية كانت تعرف أن تحديد جنس الوليد يأتي من الأب، وعلى ذلك فالإعجاز العلمي يتساقط من فمها ! والأمر ببساطة شديدة ، أنها تكرر الفكرة القديمة أن دور المرأة في الحمل يقتصر فقط على تغذية الجنين الآتي كله من الرجل وعلى ذلك فلا دخل لها بجنسه ، ، هذه الأبيات تعكس إذا طبيعة العلم الذي كان شائعا في العالم كله وقت نزول القرآن ، فماذا قال القرآن نفسه :

أولا :

قول الله تعالى

إ"نَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" الإنسان: ٢

تفسير ابن كثير : ت 774هـ

{ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } أي: أخلاط، والمشج والمشيج: الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس في قوله تعالى: { مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع ابن أنس: الأمشاج: هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة }

وهذا تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري :

وقوله: **{ إنَّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ نَبْتَلِيه } يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا ذرّية آدم من نطفة، يعني: من ماء الرجل وماء المرأة،والنطفة: كلّ ماء قليل في وعاء كان ذلك ركية أو قربة، أو غير ذلك**

وقوله: { أمْشاجٍ } يعني: أخلاط، واحدها: مشج ومشيج، مثل خدن وخدين

يقال منه: مشجت هذا بهذا: إذا خلطته به، وهو ممشوج به ومشيج: أي مخلوط به، :

ثانيا :

قول الله تعالى :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ الحجرات:13 "

تفسير الطبري (ت 310 هـ)

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال تبارك وتعالى { يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى } .

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قوله: { إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى } قال: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعاً، لأن الله يقول خَلَقْناكمْ مِنْ ذكَرٍ وأُنْثَى }.

هل يوجد وضوح أكثر من هذا ؟ هذا التفسير ينتمي لأكثر من ألف ومائة عام ، المعلومة مأخوذة من القرآن بالكامل ، ففي هذا الوقت لم تكن هذه هي الفكرة الشائعة في العالم

قال القرطبي: بين الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى، وقد ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم ويستمد من الدم الذي يكون فيه. والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية فإنها نص لا يحتمل التأويل،

هذا هو قول احد عظماء مفسري القرآن المتوفي عام 671 هـ 1272م قبل كل هذا الفتح في علم الأجنة لا يرد فقط على كل من فهم من القرآن أن الولد يأتي من الرجل فقط ولكنه في حقيقة الأمر يعارض نفس هذه الفكرة التي كانت شائعة في عصره وبعده بقرون ويحتج عليها بقرآنه بآية يصفها أنها لا تحتمل التأويل

ثالثا :

قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " النساء: ١

الآية هنا تقول: " وبث منهما " منتهى الوضوح أن كل هذا النسل قد جاء من كل من آدم " الرجل " وزوجه حواء " المرأة "

رابعا :

قوله تعالى : "خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ " الطارق: ٦ – ٧

أما هذه الآية الأخيرة فترد بالإضافة على فكرة عدم ذكر القرآن للبويضة، أيضا على ادعاء د. خالد منتصر أن المقصود بماء المرأة ليس البويضة :

تفسير ابن كثير :

وقوله تعالى: { خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ } يعني: المني، يخرج دفقاً من الرجل والمرأة، فيتولد منهما الولد، بإذن الله عز وجل، ولهذا قال: { يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ } يعني: صلب الرجل، وترائب المرأة، وهو صدرها. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: { يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ } صلب الرجل وترائب المرأة

هذا التفسير وإن كان قد أكد على دور كل من الرجل والمرأة في الإنجاب ، إلا أنه أغفل ما تشير إليه كلمة من بين ، التي تقتضي إن كل من الصلب والترائب لابد أن يكونا في جسم واحد ، فلا يمكن أن يأتي هذا الماء الدافق من بين صلب الرجل وترائب المرأة .

ولكن كما يقول هذا التفسير : البحر المحيط (أبو حيان ت 754)

قال قتادة والحسن: معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه.

والآن إلى المعنى العلمي لعبارة : خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب كما يحدثنا د. محمد على البار في كتابه : "خلق الإنسان بين الطب والقرآن ":

"تقول الآية الكريمة أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب , ونحن قد قلنا أن هذا الماء (المني) إنما يتكون في الخصية وملحقاتها , كما تتكون البويضة في المبيض لدى المرأة , فكيف تتطابق الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية ؟

إن الخصية والمبيض إنما يتكونان من الحدبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه , والصلب هو العمود الفقري والترائب هي الأضلاع , وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط ، أي بين الصلب والترائب , ثم تنزل الخصية تدريجيا حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج تجويف البطن) في أواخر الشهر السابع من الحمل ، بينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة .. , ومع هذا فإن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها ، أي من بين الصلب والترائب , فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهر (الأورطي البطني) من بين الصلب والترائب , كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة ، أي بين الصلب والترائب , كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب , وكذلك الأوعية اللمفاوية تصب في نفس المنطقة ، أي بين الصلب والترائب .

فهل يبقى بعد كل هذا شك أن الخصية أو المبيض إنما تأخذ تغذيتها ودماءها وأعصابها من بين الصلب والترائب !!

فالحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب , كما أن منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب , والآية الكريمة إعجاز كامل ، حيث تقول : (مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ) , ولم تقل من الصلب والترائب , فكلمة " بَيْنِ " ليست بلاغية فحسب ، وإنما تعطي الدقة العلمية المتناهية.

والعلم الحديث يقرر أن الماء الذي لا يقذف ولا يندفع وإنما يسيل.. إنما هو إفرازات المهبل وغدد بارثولين المتصلة به ، وأن هذه الإفرازات ليس لها دخل في تكوين الجنين ، وإنما وظيفتها ترطيب المهبل.. ولكن العلم الحديث يكشف شيئا مذهلا ؛ أن الحيوانات المنوية يحملها ماء دافق هو ماء المني , كذلك البويضة في المبيض تكون في حويصلة " جراف " محاطة بالماء ، فإذا انفجرت الحويصلة تدفق الماء.. وتلقفت أهداب البوق البويضة لتدخلها إلى قناة الرحم حيث تلتقي بالحيوان المنوي لتكون النطفة الأمشاج.. هذا الماء يحمل البويضة تماما كما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية , كلاهما يتدفق , وكلاهما يخرج من بين الصلب والترائب : من الغدة التناسلية ؛ الخصية أو المبيض .

وتتضح مرة أخرى معاني الآية الكريمة في إعجازها العلمي الرائع : ماء دافق من الخصية يحمل الحيوانات المنوية , وماء دافق من حويصلة " جراف " بالمبيض يحمل البويضة " .

هذا التفسير لا يوضح فقط معنى من بين الصلب والترائب والتطابق بينها وبين العلم الحديث ، ولكن أيضا تطابق صفة الماء الدافق في حال كل من الرجل والمرأة وهو ما لم يكن معلوما إطلاقا بخصوص المرأة عصر نزول القرآن .

هنا أضيف شيء يسير آخر هو أن ما أفهمه من كلمة يخرج ليس هو الخروج الذي هو عكس الدخول ولكن مثل قوله تعالى " يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي المقصود بالخروج هو التكون ، تأتي مكوناته ويصنع من عناصر موجودة بين الصلب والترائب .

لعل في كل هذا الكفاية للرد على ادعاءات د. خالد منتصر ، وكنت أود أنه عندما يتعرض إنسان مسئول لموضوع على كل هذه الدرجة من الخطورة والأهمية ، مثل آيات القرآن الكريم ، وما تقوله ، عندما ، يقول القرآن يقول.. ، أو لا يقول .. ، أن يكون على الأقل قد قرأ القرآن كله ، وتعرض لكل التفاسير المعنية ، وفهم الموضوع بطريقة مجردة وموضوعية ، هذا اقل ما تقتضيه الأمانة العلمية .

فليس معنى أن يكون الإنسان مسلما ينتمي إلى القرآن ككتاب مقدس أن يكون من حقه أن يشوه القرآن كيف يشاء ، كتاب الله العظيم ليس كلأ مباحا لكل التناولات الساذجة والضحلة والضالة ، إذا كان العلم الذي هو صنع الله أيضا ولكن البعض أبدا لا يروه هكذا ، محراب مقدس ، يغيرون عليه من محاولات إلباسه العمامة التي يفترضونها ويدعونها ، فبالقطع ، القرآن أقدس ، القرآن هو كتاب لله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهموا ذلك أو لم يفهموا .

النموذج الخامس :

يقول الله تعالى : " ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ "

ويعلق د. خالد منتصر على هذه الآية بقوله :

أما آية فكسونا العظام لحما فهي تتحدث أيضا عن مفهوم قديم أيضا تفاعل معه القرآن لإقناعهم من داخل ثقافتهم وبلسان معارفهم وهذا المفهوم يتحدث عن خلق العظام قبل العضلات وهو ما يعتبره دكتور زغلول إعجازا علميا،ولكن سيندهش الدكتور زغلول ولن يستطيع التخلص من هذا الفخ الذي أوقع نفسه وأوقعنا فيه حين يعرف أن العظام واللحم خلقا في نفس الزمن لأن أي دارس لعلم الأجنة يعلم أن خلايا الجنين تنقسم إلى ثلاث طبقات إكتودرم وميزودرم وإندودرم ، والأولى يتكون منها المخ والأعصاب والجلد والثانية وهي محور حديثنا يتكون منها العضلات والعظام بالتزامن والتوازي وليس عظم قبل لحم كما كان القدماء يتصورون أما الطبقة الأخيرة فمنها الأمعاء والكبد

الحقيقة أن هذه الفقرة تصور أحد القدرات الفائقة لدى الدكتور خالد منتصر التي يعتمد عليها في الترويج لآرائه ، هذا الأسلوب اللولبي الذي يبرع في استخدامه ممكنا إياه من الخوض كيفما شاء في مصداقية القرآن والتشكيك ، في صحة آياته ومصدرها المقدس وهو يتظاهر بإيمانه بالحكمة العميقة وراء كل هذا !

ففي هذه السطور القليلة سجل د. خالد منتصر رقما قياسيا في عدد الأفكار الضالة التي يريد أن يدخلها في روع من يقرأ له ، ويمد بها هذه المواقع المعروفة التي لا تجد خيرا من كتابه لتعرض ما فيه مشفوعا بعبارة : وشهد شاهد من أهلها،

الفكرة الأولى : الزعم بأن خلق العظام قبل اللحم فكرة كانت سائدة بين القدماء

الفكرة الثانية : الزعم بأن القرآن يتفاعل مع هذه الأخطاء ويكررها لإقناع الناس

الفكرة الثالثة : الزعم بأن العظام خلقت متزامنة مع اللحم ولم تسبقه

أما عن الفكرة الأولى: فالذي أفهمه أنه عندما يأتي إنسان بمثل هذه المعلومة الخطيرة ، وهي أن القدماء كانوا يعتقدون بتكون العظام قبل العضلات ، أن يذكر لنا هذا المصدر ، والذي أثبته ، وأثبتته كل كتب علم الأجنة في تناولها التاريخي للعلوم أن أصلا فكرة تكوين الجنين على مراحل كما شرحت لم تكن معروفة حتى القرن الثامن عشر وأن أول من تحدث عنها كان وولف ، في الفترة من 1759-1769

عفوا يا دكتور ، أنا أتحداك أن تثبت أن القدماء أو أن الثقافة التي كانت سائدة وقت نزول القرآن بين العرب هو أن العظام خلقت أولا ثم كسيت باللحم ، أكيد لو كان لديك أحد الأبيات الشعرية القديمة المنتحلة تتحدث عن ذلك لكنت أتحفتنا بها .

هناك فارق كبير بين أن يكون ترويج الإنسان لفكرة خاطئة أو ساذجة عنده بسبب الجهل أو سوء الفهم ، وبين تعمده التضليل ، والإتيان بكلام هو يعلم جيدا انه لا أساس له من الصحة ، ليروج أفكاره الضالة عن القرآن ، هنا لا أستطيع ألا أفترض سوء النية .

أما الفكرة الثانية التي يروجها والتي عبر عنها بهذا الكلام الذي يشع الضلال في كل حرف فيه هي أن القرآن من خلال تفاعل مزعوم مع جهل علمي كان سائدا وقت نزوله ، يكرر كل هذه الأفكار الساذجة والمغلوطة علميا

والحقيقة أن د. خالد لا يقصر بكل ما أوتي من قدرة على اللف والدوران ، واللعب المغرض بالكلمات على ترسيخ فكرة انتماء القرآن علميا إلى العصر الذي أنزل فيه ، يؤكد عليها في كل مناسبة ، بما يعني لكل من لديه شيء ولو يسير من الفهم والإدراك ، أن هذا القرآن هو نتاج هذا العصر ، أو على الأقل موجه فقط إليه ، وهذا قدح مباشر لاشك فيه في مصداقية القرآن ، مهما حاول أن يوهمنا أن هناك حكمة إلهية بليغة وراء ذلك ، فهذا المستوى من السذاجة الذي يفترضه هذا الطبيب فيمن يقرؤون هذا الكلام بحيث يظن أنه يمكن أن يصدقوه يعكس فكرة بالغة السوء عنهم وإلا لما ألف هذا الكتاب أصلا .

وإذا كنت تقبل يا دكتور خالد فكرة أن الله يتعامل مع الناس من خلال هذا المبدأ اللاأخلاقي المعروف بالغاية تبرر، الوسيلة ، يجاريهم في أفكارهم الساذجة والمغلوطة حتى يفهموا القرآن ويؤمنوا به ، وكأن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا هو الذي يستجدي الإيمان من الناس ، وكأنه لم يكرر في القرآن أن من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، بما يعني أنني أنا الذي يجب أن يكون همي الأول هو الوصول إلى الحقيقة كما هي وليس كما أريدها قبل أن تنقضي دنياي البالغة القصر هذه ، إذا كنت تعتقد أن الله يمكن أن يفعل هذا ، وأن هذا حكمة بالغة ، فهل تقبل أن يقول لك قائل أن مثل هذه الحكمة هي التي تتعامل آنت من خلالها ؟، تتظاهر بقبول ما لا تقبله حقيقة ، حتى يتسنى لك الطعن من ورائه وتكون شهادتك التي هي حقيقة ضد القرآن بكل المقاييس شهادة واحد من أهلها ، هل تقبل ، بالقطع لا ، ولكن مطلوب من الجميع أن يقبلوا هذا في حق الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

نأتي الآن إلى الفكرة الثالثة ، وهي فكرة خلق العظام قبل اللحم أي العضلات ثم كساؤها باللحم

هذا موضوع علمي خالص ، والموضوع العلمي ليس هناك مجال فيه لآراء أو أفكار ، والموضوع العلمي الذي يتحدث فيه هم أهل الاختصاص

د. كيث مور المعروف : أعطى محاضرة في جامعة إلينوى الأمريكية مدتها 72 دقيقة موجودة على الإنترنت لمن يريدها ، تحدث فيها عن علاقة القرآن بعلم الأجنة ، وتحدث في فقرة 6 دقائق منها على هذا الموضوع بالذات موضحا تطابقه مع العلم الحديث .

د. كيث مور أشار إلى كيف فرق القرآن بين مرحلة المضغة وهي شيء لين ، ولكن لا يمكن أن يطلق عليه عضلات ، أو لحم كما يقول القرآن ، وبين هذا اللحم أو العضلات التي تكسو العظام

في كتاب :" إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان " للدكتور محمد فياض رحمه الله أستاذ النسا والتوليد في القصر العيني ، تحدث بصورة مبسطة عن كيفية تكون العظام ، فليرجع إليها من يريدها ، ولكن هنا سأذكر فقط تعرضه لفكرة تكون العظام أولا ثم كساؤها باللحم بعد ذلك وكيف تتوافق مع القرآن

مصطلح العظام: قال تعالى: ه ه ه

يبين لنا هذا النص القرآني أن مرحلة العظام تأتي بعد مرحلة المضغة، وأن المضغة قد تكون لديها عناصر هيكلية ، وهكذا فإن القرآن الكريم كعادته في إيراد الكلمات المحددة ، يطلق اسم العظام على هذه المرحلة التي تلي المضغة ، حيث يأخذ الجنين شكل العظام بانتشار الهيكل العظمي في هذه المرحلة .

ونلاحظ أن استعمال حرف " ف" في الآية الكريمة يشير إلى أن مرحلة العظام ، تنمو بعد مرحلة المضغة بفترة قصيرة، لأن حرف الفاء يفيد الترتيب والتعقيب ، بعكس حرف ثم الذي يفيد مرحلة الترتيب والتراخي .

تعبير الكساء باللحم : وتلي مرحلة العظام مرحلة أخرى تتميز عنها بكساء الهيكل العظمي باللحم من جميع جوانبه فتتعدل الصورة الآدمية للجنين ، وتتناسق الأعضاء بصورة أدق ، وبذلك يبدأ الجنين بالحركة في نهاية الأسبوع الثامن ، وهذه مرحلة متميزة عن مرحلة العظام في التركيب والتناسق والصورة ، وقدرة الجنين على الحركة ، وتبدأ هذه المرحلة من أواخر الأسبوع السابع إلى تمام الأسبوع الثامن ، وتأتي عقب مرحلة العظام مباشرة .

وهنا نجد ان النص القرآني يأتي دالا على التتابع السريع بين المرحلتين ، وذلك باستعمال حرف العطف " ف" الذي يفيد تعاقب الأحداث التي يربط بينها

هل كان د. محمد فياض من رواد الإعجاز العلمي في مصر ؟ ، لم يكن كذلك ولكن كان أستاذا وطبيبا للنساء والحمل والولادة يحدثنا في كتابه كيف عايش على مدى نصف قرن من الزمان في كل يوم بل وفي كل لحظة إبداع الله سبحانه وتعالى في الخلق البشري ، وكيف من خلال الأجهزة والتقنيات الحديثة كان يتابع تطور الجنين ، وكيف تطابق هذا النمو مع ما وصفه القرآن من نطفة ، وعلقة ومضغة وعظام حتى ينشأ نشأة بشرية خالصة . فأراد أن ينقل تجربته إلى الجميع لعل ذلك يعينهم كما يقول على تعميق إيمانهم ، وترسيخ عقيدتهم بعظمة الله تعالى .

والحقيقة أن د. محمد فياض قد وضع يده على الهدف من وجود مثل هذه الآيات في القرآن الكريم: فليس المقصود بالطبع إعطاؤنا محاضرة في علم الأجنة ولكن :

بيان قدرة الله وعظمته وعلمه الذي وضعه في هذه النطفة وهيأ لها كل هذه الأسباب لتتحول إلى إنسان كامل وفق خطوات غاية في الإعجاز ، هذه الآيات مثل الآيات المشابهة في إعجازها العلمي ، تدعونا للإيمان بالله على بصيرة وقناعة ويقين ، موجهة هذه القدرات التي أفردنا الله بإيداعها فينا لنرى الخالق من وراء خلقه .

يلفت الله نظرنا في هذا القرآن وخلافا لما كان معلوما منذ نزوله وحتى وقت قريب أن نمو الجنين في الرحم يتم وفق مراحل و خطوات محسوبة، ومخططة ، وهذا لا يمكن أن يحدث صدفة أو بطريقة عشوائية

ليس المقصود بالطبع هنا وفي جميع الآيات المشابهة أن يقتصر التوجيه على هذه النماذج ، أو بالطريقة المبسطة التي يعرضها القرآن ، ولكن مجرد بداية خيط يعيننا الله على التقاطه ، ليرى كل منا ما يسمح له علمه وثقافته أن يراه .

من يدرس علم الأجنة ، ومن يتخصص فيه يروعه دقة وعدد الخطوات التي يتكون من خلالها عضو واحد في الإنسان، مثل الأطراف ، أو الأذن ، أو العين ، كل خطوة هي

نقطة على الطريق الذي يؤدي إلى تكون هذا العضو المعجز بتفاصيله التشريحية والنسيجية والوظيفية التي تجعله في أحسن صورة ووضع ، هذا فضلا عن الأوردة والشرايين والأعصاب ، وتوزيعها العجيب في الجسم ، لتغذي كل خلية ،هل يمكن أن يأتي كل هذا صدفة ، بتدبير لا علم فيه ولا إرادة ؟، بتدبير أصم أبكم ، أعمى ، لا عقل له ، ولا هدف؟ ، كل هذا يتم في ظلمات ثلاث ، وبعيدا عن كل المؤثرات والظروف التي سيعمل في ظلها كل هذا التركيب البالغ التعقيد والإعجاز .

النموذج السادس : معركة مع د. مصطفى محمود !:

هذه المعركة متعلقة بموضوع بيت العنكبوت الذي أشرت إليه سابقا ، وهذه المرة أعلق على إضافة ختم بها د. خالد هذا الموضوع وهي :

والمشكلة أن المفسر العصري يوقع نفسه في فخ يقرب المسلم من الكفر وليس الإيمان نتيجة البلبلة والتناقض واللخبطة التي يقع فيها ، فالقرآن الذي يصف بيت العنكبوت بالضعف والوهن يأتي المفسر العصري فيهدم المعبد على ساكنيه ويصرح بأن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من خيط الحرير وأكثر مرونة

من يقرأ هذا الكلام يفهم أن الفكرة التي يعترض عليها هنا :

أ ن المفسر العصري، والمقصود به هنا بالطبع د. مصطفى محمود ،يناقض نفسه ، فيهدم المعبد على ساكنيه ، ويوقع نفسه في فخ يقرب المسلم من الكفر ، لأنه ناقض كلام القرآن بأن بيت العنكبوت هو اوهن البيوت ، بينما هو يصرح بأن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ، واقوي من خيط الحرير وأكثر مرونة

والحقيقة أن د. خالد منتصر ومن خلال قدراته على التلاعب بالكلمات ، يريد ومن خلال د. مصطفى محمود أن يقدم لنا الدليل على خطأ القرآن وتعارضه مع الحقائق العلمية، حيث يتحدث عن وهن بيت العنكبوت بينما هو مصنوع من خيوط غاية في الدقة والمتانة والمرونة ومع أن هذا التعارض المزعوم ، ومع أن التأكيد على تكرار القرآن لما كان شائعا عصر نزوله من أفكار علمية ساذجة ومغلوطة هو الفكرة التي يروج لها حضرة الطبيب في طول كتابه وعرضه فهو هنا يتظاهر بالأسف له ، حتى أنه يصفه بأنه يقرب صاحبه من الكفر! ، فمن الذي يناقض نفسه هنا ؟ من الذي يستخف بعقول من يتعامل معهم ، بل يستخف بفكرة الكفر نفسها ، عندما يأتي هو نفسه في كل ما يقول بما يصفه هو نفسه أيضا بأنه يقرب المسلم من الكفر .

والآن لنرى مرة أخرى هنا ما قاله د. مصطفى محمود ، وهل فعلا هو يناقض نفسه ويهدم المعبد على ساكنيه ،كما يقول د. خالد :

ومثل آخر : هذه الآية من سورة العنكبوت : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "

والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ولم يقل القرآن خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت وإنما قال بيت العنكبوت وهي مسألة لها دلالة ولها سبب

والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ، وأقوى من خيط الحرير وأكثر منه مرونة،

فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافيا بالغرض وزيادة ويكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة

فلماذا يقول القرآن : " وإن أوهن لبيوت لبيت العنكبوت " ولماذا يختم بكلمة: " لو كانوا يعلمون " ، لابد أن هناك سرا والواقع أن هناك سرا بيولوجيا : كشف لنا العلم فيما كشف لنا عنه مؤخرا،فالحقيقة هو أن بيت العنكبوت هو ابعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من سلام وسكينة وطمأنينة

فالعنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه وهي الحاكمة عليه وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله ، والأبناء يأكل بعضهم بعضا بعد خروجهم من البيض ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها ،

وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخا وكمينا ومقتلا لكل حشرة صغيرة تفكر في أن تقترب منه ، وكل من يدخل البيت من ضيوف يقتل ويلتهم ، إنه ليس بيتا إذا بل مذبحة يخيم عليه الموت والتربص ، وإنه لأوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ والوهن هنا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معينا ونصيرا

" مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن لبيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "

ذروة في دقة التعبير وخفاء المعاني ومحكم الآيات وأسرار العلوم مما كان معروفا أيام النبي و مما لم يعرف إلا بعد موته بألف عام ، إعجاز قطعي لا شك فيه يتحدى العقل أن يجد مصدرا لهذا العلم غيرالعلم الإلهي "

أظن أن كلام الدكتور مصطفى محمود في غاية الوضوح ولا يحتمل اللبس في أن هناك دقة قرآنية شديدة في اختصاص بيت العنكبوت وليس خيط العنكبوت بالوهن وهو ما أثبته بالدليل العلمي ، إذا الدكتور مصطفى محمود لا يهذي ولا يهرف ويعرف ما يقول تماما ، ووضوح كلامه بهذه الصورة لا يقدم تبريرا لسوء فهمه مهما كان مستوى ذكاء من يقرؤه ويعلق عليه ، ولا يعطي أي احتمال لافتراض حسن النية فيمن ينقل كلاما مثل هذا بطريقة مثل هذه ! ، أين أمانة النقل يا دكتور ؟ من الواضح أن سيادة الطبيب لم يعن سوى التعريض بالقرآن ولكن عن طريق الدكتور مصطفى محمود، هذه الطريقة اللولبية التي يبرع كثيرا في استخدامها .

وكنموذج آخر من هذه البراعة محاولة إقناعنا بأنه على اتفاق تام مع د. بنت الشاطئ حتى فيما يخص موضوع التفسير العصري ، يستعين بكلماتها الهجومية على التفسير العصري ومفسريه ، مؤكدا على وصفها بالمفكرة الإسلامية ، وكأنه يشاركها غيرتها الشديدة على القرآن ، والحقيقة أنه على الرغم من أن النتيجة النهائية لتوجهات كلا من بنت الشاطئ ود. خالد واحدة وهي رفض التفسير العصري ، ولكن التوجه نفسه مختلف تماما ، فبنت الشاطئ خوفها الحقيقي هو على القرآن ، تخشى أن يهجره الناس إذا لم يقدم لهم المعارف الحديثة ، وهي مخاوف بالقطع لا أساس لها ، أما د. خالد منتصر ولو اضطر إلى مجاراتها في ذلك أحيانا للضرورة ، فانتمائه الحقيقي هو إلى العلم وإلى هذا العالم وهو الذي يخشى عليه من الدين ، حتى انه لا يلقي إلا على الدين وحده مسئولية كل ما نعانيه من تخلف .

هل يريد د. خالد أن يوهمنا أن بنت الشاطئ رحمها الله لو كانت موجودة الآن بيننا ، كانت ستشكره وتحييه على رفضه للإعجاز العلمي ، بينما هو يصف القرآن نفسه بأنه يكرر الأخطاء الساذجة والمغلوطة التي كانت في عصر نزوله ، ويأخذ معلوماته عن مراحل تطور الجنين من فم القابلات ، وتقع آياته في فخ لا سبيل على الفكاك ، ويكرر ما تقوله الأساطير ، أم أن المتوقع أنها كانت وقتها ستعلنها حربا ضروسا عليه وعلى كلامه ، حربا لا لين فيها ولا هوادة حتى آخر لحظة في عمرها ، حربا أشد وأعنف بكثير مما شنته على د. مصطفى محمود ، لأنها رغم اختلافها معه ففي النهاية تجمعهما نظرة واحدة إلى القرآن ، وهي انه كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد .

النموذج السابع : حديث نبوي

لم تسلم الأحاديث النبوية من تشويهات وتشكيكات د. خالد منتصر ، والغريب أنه في هذه المرة لا يتعرض الحديث النبوي لمسألة علمية ، أو إعجاز ، ولكن الرسول يتحدث في أمر ديني غيبي من صميم اختصاصه ، الحديث يتحدث عن الساعة ، إجابة عن سؤال وجه إليه عنها .

هذا الحديث كرره د. خالد أكثر من مرة في كتابه : لا يبقى على الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة .

وعلق عليه قائلا : وأعتقد أننا بعد قرن ونصف ما زالت هناك نفوس حية على ظهر الأرض

لا افهم ماذا يعني ببعد قرن ونصف ، هل يقصد بعد ألف ونصف من السنين ؟

وهذا هو نص الحديث المعني :

سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقول ، قبل أن يموتَ بشهرٍ " تسألوني عن الساعةِ ؟ وإنما عِلمُها عند اللهِ . وأقسمُ باللهِ ! ما على الأرضِ من نفسٍ منفوسةٍ تأتي عليها مائةُ سنةٍ " . وفي روايةٍ : بهذا الإسناد . ولم يذكر : قبل موتِه بشهرٍ .

الراوي: جابر بن عبد الله المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 2538

خلاصة حكم المحدث: صحيح

عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؛ أنه قال ذلك قبل موتِه بشهرٍ . أو نحو ذلك " ما من نفسٍ مَنفوسةٍ ، اليومَ ، تأتي عليها مائةُ سنَةٍ ، وهي حيَّةٌ يومئذٍ "

والنفس المنفوسة إنما هي كلُ نفسٍ مخلوقةٍ يومئذٍ

الغريب أن النبي في نفس الحديث يقرر أن علم الساعة عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن أن يكون الأمر إلا كذلك ، فعندما يقول الله في كتابه الكريم :

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" الأعراف: ١٨٧

" يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" الأحزاب: ٦٣

" إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ....." فصلت: ٤٧

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (45)" النازعات: ٤٢ – ٤٥

عندما يملي الله على نبيه في كتابه الكريم الإجابة عن السؤال المتعلق بوقت الساعة ، بأن علم هذه الإجابة هو عند الله ،و أنه وحده اختص نفسه بهذا العلم لم يطلع عليه احد فكيف يخالف النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر فيخبر السائلين بأنه بعد مائة عام ؟ هل يكذب على الله ؟ ما هذا الجهل يا دكتور خالد ؟ الحقيقة لم أسمع مسلما يعيش في دولة إسلامية مثل مصر يدعي أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حدد قيام الساعة بمائة عام بعد الحديث ،

فهل الحديث غير صحيح ، بالعكس كما أوضحت الحديث صحيح ، وله أكثر من رواية ، ولكن المشكلة هو في الفهم المقلوب لطبيبنا العبقري ، الذي لا يكتفي بهذا بل يشنع على الحديث النبوي من خلاله .

ما قاله الرسول عليه الصلاة السلام أنه ما من نفس منفوسة أي نفس حية وقت كلامه ستمضي عليها مائة عام ، بمعنى أنه في خلال مائة عام سيموت كل من كان حيا وقت كلام النبي عليه الصلاة والسلام ، وليس انقراض جميع الأحياء هذا الحديث لن ينطبق بالطبع على من سيأتي بعده ، سيقول قائل : فما علاقة هذا بالساعة التي يسألون عنها ؟

الرسول يوجه سائليه ، أن ساعة كل إنسان تحين عندما يفارق هذه الدنيا ، أي الفاصل بينه وبينها هو هذه الأنفاس المعدودة التي بقيت له ، والتي لن تزيد على مائة عام وهي في عمر الزمان لا شيء ، وعلى ذلك فلا يجب على الإنسان أن يتكل على بعد زمن القيامة الكبرى ، الذي مع ذلك قد يكون قريبا جدا ، لأن فرصته الباقية في التقرب إلى الله ، بعمل الصالحات ،أو حتى الصدقات الجارية التي يحصد ثوابها حتى بعد موته ، والتوبة من الذنوب والمعاصي هي فقط فيما بقى له من عمر في هذه الدنيا ، حتى إحساسه بالزمن سيفقده ، ولن يختلف الأمر معه بعد موته إذا كانت الساعة ستأتي قريبا أو بعيدا .

الحديث كما هو شأن الأحاديث النبوية كلها لها غرض ديني عميق من ورائها، وليست كما يفهم د. خالد أكاذيب وافتراءات على الله ، وادعاء علم ما لم يحط به الله أحدا من خلقه .

الفصل السادس

وحديث عن السنة النبوية

على الرغم أن موضوع كتابي هو أن الإعجاز العلمي في القرآن حقيقة وضرورة ، وان هذا الموضوع هو الرد على كتاب د خالد منتصر " وهم الإعجاز العلمي " وعلى الرغم من أن الحديث في السنة النبوية يتطلب بعض التعمق في علوم الحديث ، وهذا ما لا أزعم أن لدي قدر منه ، فإني مضطرة هنا أن اطرق هذا الموضوع وذلك لتعرض د. خالد منتصر له في كتابه.

و لكن لابد من الإشارة أن الموضوع هنا يختلف عن موضوع الإعجاز العلمي في القرآن فبصفتي مسلمة فأنا أنظر إلى القرآن على أنه هو كتابي المقدس ، هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وعلى ذلك أرفض أي محاولة للنيل من قدسية القرآن ومصداقيته ولو من خلف ستار الإعجاز العلمي ، ليس من قبيل التعصب والانغلاق ، ولكن عن قناعة وبصيرة ويقين ، وإدراك لمعنى الإيمان والتقديس وانتساب كتاب إلى إله يعلم السر وأخفى وقد قمت ولا أزال في هذا الكتاب أرد على أفكار د. خالد الضالة المضلة في هذا الشأن

أما فيما يخص الحديث النبوي فالأمر هنا يختلف، فالمعروف أن صحة نسبة هذه الأحاديث إلى الرسول هي مجال علم ضخم ، بل أكثر من علم ، لما يتعلق بتخريجها أي بيان مدى صحة نسبتها إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، و بالرواة ، والتفسير ،علوم يفني فيه المتخصصون السنوات من أعمارهم ، ولكن هناك أشياء أومن بها :

أن الكثير من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تحتاج إلى تفسير وفهم ، وعلى ذلك يجب اللجوء إلى الكتب المتخصصة، ولا نتطوع بالتعليق عليها بينما نحن نسيء فهمها.

يمكن أن أقبل أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان يتحدث عن معلومة تتعلق بالطب فهو بالقطع غالبا يتناول ما كان متاحا في عصره ، لأن الطب كونه علم دنيوي فهو قابل للتطور والتغير باستمرار وطبعا هذا ما نعرفه جميعا ونراه في هذه الإنجازات التي كانت ربما على عهد الرسول أبعد حتى من الخيال ، ولا يمكن أن يكون الحديث النبوي دعوة إلى التجمد ، أو التقديس لما كان متاحا من وسائل التداوي البسيطة ، لأن الله والرسول يأمرانا بالأخذ بالأسباب ، بل إن في أحاديث النبي نفسه ما يدل على الحث على التداوي وأن الله ما خلق داء إلا وله دواء ، ولكن معرفته ليست متاحة للجميع في كل وقت

ولكن مع ذلك فأنا لا اقبل فكرة أن الرسول يمكن أن يتطوع بالإدلاء بمعلومة لم يحطه الله بها علما ، وعلى ذلك فإذا كان هناك تعارض صريح بين قول النبي وبين الحقيقة فإما أن يكون هذا بسبب سوء فهم للحديث النبوي ، هناك شيء خاف لا أعرفه أو أن نسبة الحديث إلى النبي غير صحيحة ، وليس أمامي احتمال ثالث

وهذا الكلام يختلف عن موضوع تأبير النخل ولا يتعارض مع كلامي السابق في أن المعلومة العلمية نأخذها من المعمل والميكروسكوب وليس من القرآن والأحاديث

فموضوع عدم الحاجة لتأبير النخل لم يكن معلومة يدلي بها ولكن كان مجرد رأي للرسول غير مبني على خبرة وتجربة ، هو اعتقد أو ظن كما يقول الحديث أن التأبير لن يفعل شيئا واتضح خطأ ظنه .

وكذلك فإن كلامي عن أن الطريق إلى المعلومة العلمية هو الأدوات العلمية والمنهج العلمي ، وليس البحث في القرآن أو الأحاديث النبوية لا يتعارض مع أنه أحيانا يتطلب توجيه نبوي خاص بسلوك دنيوي التعرض لمعلومة ذات طابع علمي ، ليست هي المقصودة بذاتها ولكنها تأتي في سياق التوجيه النبوي ، وفي هذه الحالة إذا كان التفسير والفهم صحيح فلابد أن تكون المعلومة صحيحة وإلا فنسبة هذا الحديث إلى النبي عليه الصلاة والسلام لابد أن تكون موضع نظر .

هناك مجموعة من الأحاديث ذكرها د. خالد منتصر في معرض تعرضه للسنة النبوية ، علق عليها بتعليقات بعضها مقبولة ، وبعضها تصور الفكرة المشوشة عن السنة التي بالطبع لن تكون أحسن حالا من فكرته المشوهة عن القرآن نفسه ، وما فيه من إعجاز .

يقول د. خالد :

وخذ عندك من هذه النوعية بعضا هذه الأحاديث، والتي نقرأ معظمها في صحيح البخاري ، وسأترك التعليق للقراء :

- لا عدوى ولا طيرة ويعلق بقوله : وأظن أنه يوجد اليوم كتب توزن بالأطنان تتحدث في الأمراض المعدية .

- التين يقطع البواسير وأظن أنه لا يوجد طبيب جراح واحد على ظهر الكرة الأرضية يكتب التين كعلاج للبواسير الآن.

– إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في أحد جناحيه داء والآخر دواء .

-أكل العدس يدمع العين ويرقق القلب ويذهب الكبر.

– ربيع أمتي العنب والبطيخ .

– الباذنجان دواء من كل داء.

– الهريسة تشد الظهر .

– من اصطبح كل يوم بسبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل.

– لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة وأعتقد أننا بعد قرن ونصف ما زال هناك أحياء على ظهر الأرض.

– الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء.

ويعلق سيادته على ذلك بقوله :

[هذه الأحاديث السابقة وغيرها من الأحاديث التي تخوض في الطب هي بنت زمانها ومكانها وبيئتها ولا يصح أن نلغى عقولنا أمامها ونصدق متنها ونتبناه لمجرد صحة السند ،ولست وحدي الذي يقول ذلك الكلام ولكن بعض رجال الدين المستنيرين قالوا مثله ولكن بسبب أن صوت الاجتهاد مغيب في هذه الأيام فإننا لا نلتفت إلى هذه الآراء الشجاعة ،فمثلاً الشيخ الجليل عبد المنعم النمر فى كتابه العظيم "الاجتهاد " في صفحتي 38 و 40 يفرق بين السنة الواجب إتباعها والسنة التي لا تثريب على تركها فيقول أن ما صدر عن الرسول –صلى الله عليه وسلم - في الزراعة والطب والطعام وما يحبه الرسول وما يكرهه وكيف يمشى ونومه ولبسه إلى غير ذلك من الأمور العادية كل ذلك من النوع الثاني الذي "لا يمنع أحداً من الاجتهاد فيها إذا وجد أنها لم تعد تحقق المصلحة التي أرادها الرسول لتغير الناس والأمكنة ..." ،ونفس المعنى يقوله محمد سليمان الأشقر أستاذ الشريعة بجامعة الكويت ،والقاضي عياض الذي قال في ترك العمل بالأحاديث الطبية " ليست في ذلك محطة ولا نقيصة لأنها أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل بها ،ولذا يجوز على النبي –صلى الله عليه وسلم - فيها ما ذكرنا -أي الخطأ والصواب –".

نعم ما صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام في الزراعة الطب والطعام ، وما يحبه وما يكرهه ، وكيف يمشي ونومه ، كلها أمور غير ملزمة بإتباعها ، ولكن الأحاديث التي ذكرها د.خالد هل ينطبق عليها هذا الكلام ؟

أولا : عندما يقول د. خالد أننا نقرأ معظم هذه الأحاديث في البخاري ، وعندما يريد أن يدلل على صحة ، كلامه ، فكان الواجب أن يلتزم بأن يكون كل ما ذكره من الأحاديث إن لم يكن في البخاري ، فلابد أن يكون صحيحا ، بل كان عليه أن يبين تخريج كل حديث كما يفعل كل باحث مخلص ، أما أن يأتي بأحاديث على عكس ما يقول معظمها موضوع ، يعني أحاديث مكذوبة على الرسول ، يعني لا ينطبق عليها مفهوم الحديث النبوي أصلا ، فما قيمتها في توضيح فكرته ؟

هنا على العكس ما سيراه القارئ ليس هو أن هذه الأحاديث غير ملزمة أو بنت زمانها ، ولكن سيكون انطباعه ، عن حديث عن هريسة تشد الظهر ، أو باذنجان فيه شفاء من كل داء ، أو عدس يرقق القلب ، وتبلغ المأساة قمتها في حديث عن ربيع أمة الإسلام الذي هو في العنب والبطيخ !! هو أن من ينسب إليه مثل هذا الكلام لابد أن يكون شخصا مغيبا، وحاشا للرسول أن يكون كذلك، تعمد د. خالد ذكر مثل هذه الأحاديث ، هي جزء من محاولاته التي لا تنتهي في تشويه صورة الأحاديث النبوية ، و بالتالي صورة النبي نفسه .

في في كتابه المنار المنيف للصحيح والضعيف للإمام شمس الدين بن القيم الجوزي صفحة 99 ذكر أن أحاديث مدح العدس والأرز والباقلاء والباذنجان والرمان والزبيب والهندباء والكرات والبطيخ والجوز والجبن والهريسة كلها باطلة

بل إنه علق على حديث الباذنجان بقوله : قبح الله واضعه ، وعلى حديث العدس بقوله إن الله وصفه في القرآن بأنه أدني بالنسبة للمن والسلوي الذي وصفهم بأنهم خير ، عندما طلب بنو إسرائيل من موسى استبدال الفوم والعدس والبصل بالمن والسلوى .

أما الحديث عن التين الذي يقطع البواسير والذي علق عليه سيادته بقوله: وأظن أنه لا يوجد طبيب جراح واحد على ظهر الكرة الأرضية يكتب التين كعلاج للبواسير الآن ، فهو أيضا حديث ضعيف

حديث : من اصطبح كل يوم بسبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل

تفسير الحديث في فتح الباري لابن حجر : قال الخطابي : كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لتمر المدينة لا لخاصية في التمر

حديث : الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء : هذا الحديث وإن كان البعض فهم كلمة من فيح جهنم على أنها حقيقة ، فهناك فهم آخر على أنها تشبيه لها فقط أنها كذلك ، أما

التوجيه النبوي بالتعامل معها بإبرادها بالماء ، فلا أظن أن للدكتور اعتراض عليه ، أليس هذا هو فعلا هو ما يفعله الناس ، كمادات الماء او الماء البارد ؟

أما حديث : لا يبقى على الأرض بعد مائة سنة ... فقد تعرضت له تفصيلا في فصل سابق

والآن إلى هذا الحديث الذي أريد أن أتناوله بالتفصيل :

- لا عدوى ولا طيرة والذي علق عليه بقوله : وأظن أنه يوجد اليوم كتب توزن بالأطنان تتحدث في الأمراض المعدية .

هذا هو تخريج الحديث :

لا عَدْوَى و لا طيرةَ و لا هامةَ و لا صَفرَ ، و فِرَّ مِنَ المجذومِ كما تَفِرُّ مِنَ الأسدِ

هذه الرواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وردت في صحيح البخاري ومسند احمد وأوردها الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة حديث رقم 7530 ص 1251

لا عَدْوَى و لا هامةَ و لا صَفَرَ ، و اتَّقُوا المجذومَ كما يُتَّقَى الأسدُ

الراوي: رجل من أهل رضى وقناعة من أبناء الصحابة وأولية الناس المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: 780

خلاصة حكم المحدث: صحيح

واستكمالا لهذا الموضوع لابد أن نذكر هذه الأحاديث :

لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ

الراوي: أبو هريرة المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 7810

خلاصة حكم المحدث: صحيح

قال العلماء : الممرِض : صاحب الإبل المراض ، والمصِحّ : صاحب الإبل الصحاح ، فمعنى الحديث لا يورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل صاحب الإبل الصحاح ، "

وماذا نفهم أيضا من هذا الحديث النبوي في شأن الطاعون :

إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تَخْرُجوا فِرارا منه . رواه البخاري ومسلم . ومسند احمد والنسائي ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 616

أليس عجيبا أن تتجاهل كل هذه الأحاديث التي وردت فعلا في البخاري بينما تذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة ؟

أظن أن الأمر واضح كل الوضوح أنه ليس المقصود بكلمة ولا عدوى أنه لا يوجد شيء إطلاقا اسمه أمراض معدية ، وإلا لماذا يطلب النبي أن نفر من المجذوم كما نفر من الأسد في نفس الحديث الذي يقول في أوله لا عدوى ؟ ويطلب منا ألا نورد الإبل المريضة على الإبل الصحيحة ، والأكثر من هذا التوجيه بشأن الطاعون الذي يأمرنا فيه بأنه إذا جاء في بلد فلا يجب على المقيمين فيه الخروج منه حتى لا تنتقل العدوى إلى مكان آخر وإذا كنا خارجها فلا يجب أن ندخلها ، يعني تطبيق احزم قوانين الحجر الصحي والوقاية من هذا المرض المعدي .

ومما يسترعي الانتباه حرص الإسلام على صالح الفرد تماما كما يحرص على مصلحة الجماعة فقد يتفهم إنسان وجوب عدم مغادرة بلد فيها الوباء منعا لانتشاره وحرصا على صحة الكثير من الناس الآخرين ، ولكن أن يأمر أيضا بعدم الدخول في بلد فيها الوباء مع أن المضار هو من يدخل فقط ولم يقل له أنت حر أن تفعل بنفسك ما تشاء ولكن نفسك أمانة في عنقك فلا توردها موارد التهلكة ، فهل ما زلت تفهم من حديث النبي أنه يعني نفي فكرة العدوى وانتقالها بالكامل ،

لا أدري إذا كان الأمر يتعلق بموضوع غاية في الأهمية مثل الأحاديث النبوية فلماذا لا يلجأ د خالد إلى التفاسير ليفهمها ، لأنه بكل المقاييس ليس أهلا أن يتعامل مع مثل هذه الأحاديث

هذا هو تفسير ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري لحديث لعدوى :

المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبعه، نفياً لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات للأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً، وإن شاء أبقاها فأثر.

هل يفهم د. خالد معنى هذا الكلام : معناه أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن في هذا الحديث ولا في غيره يريد أن يعطينا محاضرة في علم الأمراض ،ولا علم الميكروبات ، فهذه ليست وظيفته ، ولكن معناه أن هناك تناول آخر غير التناول العلماني الذي لا يعرف د. خالد منتصر سواه لموضوع الصحة والمرض، والتوجيه النبوي هنا هو تحديدا تصحيح لهذا المفهوم العلماني قصير النظر، فالمرض ليس فقط كما يراه هؤلاء العلمانيون مجرد أسباب وأعراض، وأدوية، وعلاج، وكتب بالأطنان تتحدث عن العدوى وطرقها، والميكروبات وأنواعها...الخ ، ولكن ما يوجه إليه الرسول هنا هو:

أن هذا كله عبارة عن أسباب ومسببات يمضي الله من خلالها مشيئته ، في أن يمرض هذا أو يشفى هذا ، مشيئة إلهية تحرك الكون كله من خلال أسباب خلقها الله وأودع فيها هذه القدرات ، الرسول يريد أن يقول ، كما قال الإمام أبن حجر العسقلاني إن المرض لا يعدي بطبعه بعيدا عن إرادة الله ، ولكن الله هو الذي شاءت إرادته أن يخلق للسل ميكروبا ، ينتقل بهذه الطريقة ويسبب هذه الأعراض التي يعاني منها المريض ويشفى إذا اتبع ذلك العلاج ، هو الذي جعل ميكروب الدفتريا يسبب مرضا له أعراض تغاير ما يسببه فيروس الكلب أوفيروس الكبد الوبائي .

موضوع المرض والصحة بالإضافة إلى طبيعته المجردة المادية البحتة ، فهو علاقة بين الإنسان وربه فالدين يخبرنا أن الله يبتلينا بالشر والخير فتنة ، فليس المرض وحده ابتلاء ولكن الصحة هي الأخرى ابتلاء ، علاقتنا بالله في الصحة أن نشكره عليها في كل وقت ، لا نقصر في المحافظة عليها ، أن نستغلها فيما يرضي الله ، أما في المرض فهو عدم التهاون والتراخي في طلب العلاج كما يجب أن يكون ، ليست هذه الدروشة ولا التمائم ولا العلاج بالقرآن ، فليس لهذا أنزل القرآن ، والصبر على المرض وتقبل أمر الله برضا لا يتعارض مع التداوي .

وعلى فكرة تقبل أمر الله والرضا والصبر هي أيضا وسائل للشفاء ، لأن التعافي من المرض يتأثر كما هو معروف علميا بالحالة النفسية ، وأي حالة نفسية تصاحب الإنسان أفضل من تلك التي تأتي من شعور الإنسان المريض بأنه في معية الله ، كنت أستمع إلى الدكتور احمد عكاشة وهو أستاذ الطب النفسي في كلية طب عين شمس ورئيس الجمعية العالمية للطب النفسي دورتين متتاليتين في حديث تليفزيوني فذكر أنه لوحظ أن مرضى الكبد الوبائي فيروس بي ، الذين يتقبلون مرضهم هم أسرع وأكثر في نسبة الشفاء من المتذمرين ، الرافضين ، وأظن أن هذا مرض عضوي تماما ويسببه فيروس ، ولا يقل عن هذا التوجه إلى الله بالدعاء ، لأن الله هو الشافي ، فالمرض من عند الله والشفاء هو أمر الله ، والأدوية أو الجراحة هي أسباب الله ،

عندما يقول الرسول : فر من المجزوم كما تفر من الأسد ، أو يحظر دخول إنسان ارض فيها وباء ، أو حتى يمنع صاحب إبل صحيحة إن يوردها على إبل مريضة ، فليس الموضوع مجرد إرشادات صحية ، ولكن توجيه ديني حكيم ، معناه أن صحة الإنسان أو

حتى صحة إبله وأنعامه ، هي أمانة في عنقه عليه ألا يقصر في صيانتها والمحافظة عليها ، لو فرط إنسان في هذا فكل ما سيحدث له من وجهة النظر العلمانية كما هي في الكتب أن يصاب بالمرض ويشقى ، ولكن من وجهة النظر الدينية فبالإضافة إلى هذا سيكون آثما يحاسب على تفريطه في حق نفسه .

توجيهات الرسول بشأن الصحة والمرض مثل توجيهاته عليه الصلاة والسلام في أي موضوع آخر ، هي توجيهات عميقة ، لها عمق ديني وراءها هو من صميم اختصاص الرسول ، ولكن لا يمكن فهمها من هذا المنظور العلماني المجرد البحت ، الذي لا يمكنه أن يصل إلا إلى المعلومة الظاهرية المتعلقة بهذه الحياة الدنيا ولا يرى ما وراءها ولا يرى ما يخالفها

من خلال تناول ديني فقط نفهم أن علينا أن نتوجه إلى الله بالدعاء ، لأن الله هو الشافي ، فالمرض من عند الله والشفاء هو أمر الله ، والأدوية أو الجراحة هي أسباب الله ، مثل هذه الأمور لا يفهمها الماديون والملحدون، عندما يقول الرسول مثلا :

" داووا مرضاكم بالصدقة " فليس معنى هذا أن الصدقة أصبحت بديلا عن المضادات الحيوية ، أو العلاج بالليزر ، أو المنظار ، ولكن توسل إلى الله أن تؤتي مثل هذه الأساليب مفعولها في الشفاء ، وعندما يدعو الحاج أو المعتمر لنفسه أو لغيره بالشفاء وهو يطوف حول الكعبة أو بعد شرب ماء زمزم فليس لأن في الطواف حول الكعبة أو ماء زمزم خواص شافية من السرطان أو غيره ، ولكن لأن الدين يخبرنا أن هناك أماكن وأوقات قدر الله أن تكون فيها الاستجابة ، ليس لأن الوقت أو المكان في حد ذاته به خصائص تجعل الدعاء أسرع في الوصول إلى الله ، ولكن لأننا ننفذ أوامر الله بتحري هذه الأوقات ،فنحن نعبد الله كما أمرنا هو وليس كما نرى بعقولنا .

وهذا هو مفهوم العبادة ، تنفيذ أوامر صحت نسبتها إلى الله أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فنصوم رمضان وليس أي شهر آخر ، يكون الصيام من الفجر إلى المغرب وليس العكس ، نصلي هذا العدد من الركعات ، وبهذه الكيفية ، تنفيذا لأوامر الله ، هذه هي فلسفة الحياة ، هي العمق الحقيقي لمن يريد أن يرى ويتأمل ويدرك ما وراء الظاهر ، ويعلم الغرض والهدف من وجوده في هذه الدنيا ، وطبعا لا ننتظر أن ندرك هذا من كتب الميكروبيولوجي أو علم الأمراض فليست هذه وظيفة مثل هذه الكتب والعلوم ولكننا نحتاج وبشدة مثل هذه التوجيهات النبوية وعلى ذلك فإن تناول مثل هذه الأحاديث من خلال هذه النظرة العلمانية لن يؤدي إلا إلى سوء فهم شديد . لن يرى فيها كالعادة إلا تغييبا ودروشة !

وطبعا السؤال المتوقع على هذا الكلام كالعادة هو : ماذا عن اليابانيين والملحدين واللا دينيين الذين لا ينظرون إلا هذه النظرة المجردة البحتة لموضوع الصحة والمرض ، لا نرى قصورا في شفائهم ،ولا تراجع نسبتها عن نسبته في المؤمنين الذين يدعون ويتوسلون ويتصدقون ،بل على العكس ربما كان حالهم أفضل كثيرا من حالنا ، مع أنهم أخذوا

بالأسباب المجردة ؟ والإجابة هي أن الشفاء من المرض مثله مثل أي شيء آخر يتحقق بالأخذ بالأسباب والأسباب هنا هي طرق العلاج والتداوي المعروفة .

الدعاء والعبادة والتوكل على الله والتقرب إليه بعمل الصالحات هي عبادات متعلقة بالحكمة من الابتلاء خيره وشره ، هي علاقة بين المؤمن وربه في السراء والضراء ، الله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع جميع عباده بنفس الطريقة ، عبد لا يعرفه ولا يؤمن به ويعيش حياته غافلا الدنيا هي كل همه وكل غايته ، ولا ينظر إلى المرض إلا هذه النظرة العلمانية البحتة : أسباب وطرق وقاية وطرق علاج ، لا يفهم حكمة الابتلاء فلا أمل في أن يحظى بالمنحة التي قدرها الله فيه لمن يقرن أخذه بالأسباب بالعبادة ، صبر ورضا ودعاء وتوكل وتوسل بالعمل الصالح ، هل يحرمه الله الكريم الحليم من نعمته وفضله من الاستفادة من هذه الأسباب التي يسرها وهدى عباده إليها في دنيا لا تساوي عنده سبحانه وتعالى جناح بعوضة ؟

، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لعبد مؤمن لديه التعمق والبصيرة التي تجعله على صلة بربه ، الله سبحانه وتعالى يهديه ويوجهه كيف يعبده ويتقرب إليه وكيف يكون المرض وسيلة تعمل في صالح ميزان الحسنات لأن الدنيا هنا ليست بالنسبة له نهاية المطاف ولا الغاية التي ليس بعدها غاية ، لا يتعامل الله مع من أدرك الغرض من وجوده في هذه الدنيا مثل هذا الذي قصرت مداركه عن الوصول لهذا الغرض .

الفصل السابع

حديث الذبابة

هذا الحديث يجب تناوله من أكثر من جانب ، من بينها جانب الإعجاز العلمي الذي سأرجؤه إلى النهاية ، ولكن بعد الإشارة إلى :

أولا : هذا الحديث لا ينطبق عليه القول بأنه يخص ما كان النبي يأكل أو يحب أو يكره أو طريقة لبسه أو مشيه ، ولكنه يتحدث عن توجيه نبوي يعتمد على معلومة علمية ، وعلى ذلك فلابد أن نتعامل معه باهتمام .

ثانيا : كما قلت سابقا : النبي عليه الصلاة والسلام لن يتطوع بالإدلاء بمعلومة تعتبر وقتها غيبية لم يحطه الله بها علما، وعلى ذلك فهناك احتمالان لا ثالث لهما بشأن هذا الحديث :

أن يكون هذا الحديث صحيحا، وعندها لابد أن تكون المعلومة صحيحة .

أن تكون المعلومة خاطئة علميا ، ولا أتصور إذا كان هذا ثابتا بطريقة أكيدة أن يكون الحديث صحيحا .

والحقيقة أن المختصين بعلم الحديث ، العلماء الذين يعلمون جيدا الحديث الصحيح والضعيف والموضوع ، يؤكدون بشدة على صحة الحديث ، وأنه ورد في صحيح البخاري ، حتى رغم كل هذا التناول المليء بالسخرية والاستهزاء من قبل هؤلاء الذين لا يدينون بالدين الإسلامي فيتخذون من هذا الأحاديث وكونها المصدر الثاني من العلم الديني في الإسلام الدليل على عدم مصداقية الدين نفسه ، بينما يرى البعض في التعلق بهذا الحديث والدفاع عنه السبب في كل هذا التخلف الذي نعانيه ، هذا كله لم يمنع العلماء من التمسك بصحة الحديث على الرغم من أن الجانب العلمي الذي يتعرض له ليس واضحا بطريقة تكفي ، بل إن العلم يبدو وكأنه ضده .

ولنعرض الحديث أولا :

حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وله عنه طرقٌ :

1- عبيد بن حُنين ، عنه ، أخرجه البخاري (6 / 359 و 10 / 250) ، وابنُ ماجه (3505) ، والدارمي (2/ 99) ، وأحمد (2/ 398) ، وابن المنذر في ((الأوسط) (1/ 281) ، والطحاوي في (المشكل) (4/ 283) ، وابن عبد البر في ((التمهيد) (1/337) ، والبيهقي (1/ 252) ، والبغوي في (شرح السنة) (11/ 259 ، 260) ، ولفظه عند البخاري : (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ، ثم لينزعه ، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء) .

2- سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عنه ، أخرجه أبو داود (3844) ، وأحمد (229/3 ، 246) ، وابن خزيمة (ج1/ رقم 105) ، وابن حبان (1243 ، 4226) ، والطحاوي في (

المشكل) (283) ، والحسن بن عرفة في (جزئه) (21) ، وعنه البيهقي (1/ 252) ، والخطيب في (التلخيص) (ق 69 / 2) ، والذهبي في (السير) (6 / 322) من طريق محمد بن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة مرفوعًا : (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم ، فإنَّ في أحد جناحيه داءٌ وفي الآخر شفاءٌ ، وإنه يتقي جناحه الذي فيه الداء ، فليغمسه كلَّه) .

.

لا يكف د. خالد منتصر عن ٌالإشارة إلى هذا الحديث ، يتحدث وكأن النبي في هذا الحديث يدعو إلى الاستشفاء بجناح الذبابة **!**، ويقول : ويصبح جناح الذبابة هو الشافي **!"** ويسخر ويتهكم ، ويتساءل لماذا لم نقم بإنشاء مصنعا للمضادات الحيوية من الذباب ؟

وقبل أن نناقش الحديث من الناحية العلمية ، هناك أمور في هذا الحديث يجب جلاؤها لأن الإساءة في فهم الحديث لا تقتصر على الجانب العلمي ، ولكن على حتى ما يعني الحديث أصلا :

أولا :

هل الحديث يدعو حقا إلى الاستشفاء بجناح الذبابة ؟

لماذا لا يستطيع د. خالد أن يحيط بالفكرة كلها في أي موضوع ؟، لماذا هو دائما أحادي النظرة؟ ، لماذا لم ينتبه إلى تأكيد النبي عليه الصلاة والسلام على وجود الداء في جانب من الذبابة، وأن ما يوجه إليه النبي هو كيفية التخلص من هذا الداء ، وليس الاستشفاء بجناح الذبابة هكذا في المطلق .

ثانيا :

بما أن الموضوع لا يتعلق بتوجيه ديني يحث على عدم التفريط في الشراب حتى ولو وقعت فيه ذبابة ، ولكن مجرد تعامل مع مشكلة حدثت ، مشكلة ستسبب أذى أو ضررا ، لمن يشرب من هذا الشراب ، فالبديهي أن هذا التوجيه يخص فقط من ليس لديه حل أفضل للتعامل مع المشكلة .

هذا الحديث لا يدعو الجميع إلى التخلص من الذبابة ثم الاستمرار في الشرب رغما عنهم ، مع ما يمكن أن يسبب هذا من اشمئزاز وقرف ، تتحدثون عن العقل ، فافهموا الأمور بالعقل :

إذا كانت لدي هذا الذي وقعت الذباب في شرابه رفاهية التخلص من الشراب كله فبالقطع هذا سيكون الحل المثالي النموذجي الذي يؤدي إلى التخلص من الداء بنسبة مائة في المائة ، هذا الإنسان لا يحتاج إلى توجيه نبوي يدعوه إلى هذا ، وبصرف النظر حتى عن الداء

،مجرد أن هذا الإنسان يشمئز من الاستمرار في شرب سائل وقعت فيه ذبابة ، لن يكون في أقل حاجة لمن ينصحه بالتخلص من الشراب كله إذا كان هذا في استطاعته ، بل أكثر من هذا حتى إذا كان الحديث يأمره بفعل هذا فسيكون عليه من الصعب جدا أن ينفذ هذا الأمر ، وهكذا لا يمكن لمثل هذا الشخص أن يكون معنيا بالحديث ، ولكن المعني به نوعية أخرى من البشر موجودة في الدنيا وبكثرة أيضا :

الله سبحانه وتعالى جعل الطعام الشراب ضرورة لحياتنا ، هما مصدرالطاقة التي لا تستغنى عنها أجسامنا لحظة ، ولكن الله الكريم لا يتعامل معنا بمبدأ الحاجة والضرورة فقط ، لم يجعل طعامنا وشرابنا مثل حبوب الدواء ، المرة أو التي لا طعم لها ولا نكهة ، ولا حتى صنفا واحدا من الطعام فيه كل ما هو ضروري ، ولكن مائدة سخية فيها ما لا يحصى من الأنواع والمذاقات والنكهات ، مما يجعل تناول الطعام والشراب متعة ، هذا هو حال معظمنا مع الأطعمة والأشربة ، بعضنا حتى لا يستطيع ان يتناول كوبا من الشاي به كمية من السكر أكثر مما اعتاد عليه ، مثل هذا لن يطلب الله أو النبي منه إذا وقعت ذبابة في طعامه أو شرابه ، أن يتخلص منها ثم يكمل شرابه ، ليس مطلوبا منه لمجرد أن ذبابة وقعت في شرابه ، أن يحول هذه المتعة التي كان يشعر بها أثناء تناوله الشراب إلى اشمئزاز وقرف ، ، ربما يؤدي إلى أن يفرغ بسببه ما في معدته ، هذا الشخص ليس بحاجه لتوجيه نبوي أن يتخلص من الشراب كله حتى إذا كان الموضوع يقتصر فقط على هذا الاشمئزاز ، فما بالنا إذا كان هناك أيضا داء انتقل إلى شرابه من الذبابة .

ولكن هذا الحال لا ينطبق على الجميع ، هناك من هو مضطر أن يشرب الشراب على أي حال ، كل ما سيفعله انه سيقوم بالتخلص من الذبابة نفسها ، مثل هذا الشخص تتقلص عنده أمور المتعة أمام تقلصات الجوع ، أو الفقر ، ومن هؤلاء أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث ، لنرى كيف يتحدث عن حاله هنا :

وفى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: (آلله -وفي رواية-: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع،

ومثل هؤلاء ما نراه في وسائل الإعلام في بلاد مثل الصومال يعانون من الجوع الشديد والجفاف حتى أن الطفل يموت على حجر أمه فتغمض له عينيه في وضع بالغ المأساوية ، فبماذا ينصح مثل هؤلاء المنكرون لهذا الحديث لمثل هؤلاء المساكين إذا وقع الذباب في شراب أحد منهم ؟ هل يقول له سارع بإلقائه ، ما هذا الاشمئزاز ، كيف تشرب شرابا وقعت في هذه الذبابة ؟

الحديث لا يدعو كما يروج د. خالد إلى الاستشفاء بجناح الذبابة ، لا يدعو إلى تصيد الذباب في الشراب لأنه فيه بركة الشفاء ، لا يحث الجميع على ضرورة غمس الذبابة في الشراب

ثم التخلص منها ثم الاستمرار في الشرب ، ولكن يقول إذا كان الإنسان سيتخلص من الذبابة ثم يستمر في الشرب لأنه لا يملك سوى أن يفعل ، فعليه قبل إلقاء الذبابة أن يغمسها للتخلص مما يمكن أن تكون قد أحدثته من أذى ، هذه هي الإضافة الوحيدة ، التي أضافها الحديث .

و عندما يبدأ النبي عليه الصلاة والسلام بالحديث عن داء فما يفهم من كلامه ، أنه يجب الاحتياط بقدر الإمكان أثناء الشرب حتى لا يقع الذباب في الشراب ، كما أنه يجب عدم التهاون في مقاومة الذباب لأنه يحمل مثل هذه الأضرار ، الكلام هنا لا تعارض بينه وبين العلم إطلاقا ، هو يقدم نفس المعلومة التي يعلمها الجميع عن الذباب ولا ينفيها ، ولا ادري إذا كانت معلومة وقت الحديث أم لا ، هو هنا يضيف إليها معلومة أخرى ، وهو وجود الدواء لمثل هذا الداء على نفس هذه الذباب ، و هذا ما يجب مناقشته وسأبدأ بمقتطفات من رد أحد أساتذة الطب وهو الدكتور أمين رضا رئيس قسم العظام الأسبق بكلية طب الإسكندرية على احد منكري هذا الحديث :

رفض أحد الأطباء الزملاء حديث الذبابة على أساس التحليل العلمي العقلي لمتنه لا على أساس سنده .

وامتدادًا للمناقشة الهادئة التي بدأتها هذه الجريدة أرى أن أعارض الزميل الفاضل بما يأتي :

1- ليس من حقه أن يرفض هذا الحديث أو أي حديث نبوي آخر لمجرد عدم موافقته للعلم الحالي . فالعلم يتطور ويتغير . بل ويتقلب كذلك . فمن النظريات العلمية ما تصف شيئًا اليوم بأنه صحيح . ثم تصفه بعد زمن قريب أو بعيد بأنه خطأ . فإذا كان هذا هو حال العلم فكيف يمكننا أن نصف حديثًا بأنه خطأ قياسًا على نظرية علمية حالية . ثم نرجع فنصححه إذا تغيرت هذه النظرية العلمية مستقبلاً ؟.

2- ليس صحيحًا أنه لم يرد في الطب شيء عن علاج الأمراض بالذباب ؛ فعندي من المراجع القديمة ما يوصف وصفات طبية لأمراض مختلفة باستعمال الذباب ، أما في العصر الحديث فجميع الجراحين الذين عاشوا في السنوات التي سبقت اكتشاف مركبات السلفا - أي في السنوات العشر الثالثة من القرن الحالي - رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب ، وكان الذباب يربي لذلك خصيصًا ، وكان هذا العلاج مبنيًا على اكتشاف فيروس البكتريوفاج القاتل للجراثيم .

على أساس أن الذباب يحمل في آن واحد الجراثيم التي تسبب المرض، وكذلك البكتريوفاج الذي يهاجم هذه الجراثيم . وكلمة بكتريوفاج هذه معناها " آكلة الجراثيم " ، وجدير بالذكر أن توقف الأبحاث عن علاج القرحات بالذباب لم يكن سببه فشل هذه الطريقة العلاجية ، وإنما كان ذلك بسبب اكتشاف مركبات السلفا التي جذبت أنظار العلماء جذبًا شديدًا . وكل هذا مفصل تفصيلاً دقيقًا في الجزء التاريخي من رسالة الدكتوراه التي أعدها الزميل

الدكتور أبو الفتوح مصطفى عيد تحت إشرافي عن التهابات العظام والمقدمة لجامعة الإسكندرية من حوالي سبع سنوات.

3- في هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود سم في الذباب . وهذا شيء لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلا في القرنين الأخيرين . وقبل ذلك كان يمكن للعلماء أن يكذبوا الحديث النبوي لعدم ثبوت وجود شيء ضار على الذباب , ثم بعد اكتشاف الجراثيم يعودون فيصححون الحديث.

-4في هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود شيء على الذباب يضاد السموم التي تحملها ، والعلم الحديث يعلمنا أن الأحياء الدقيقة من بكتريا وفيروسات وفطريات تشن الواحدة منها على الأخرى حربًا لا هوادة فيها ، فالواحدة منها تقتل الأخرى بإفراز مواد سامة ، ومن هذه المواد السامة بعض الأنواع التي يمكن استعمالها في العلاج ، وهي ما نسميه " المضادات الحيوية " مثل البنسلين والكلوروميستين

نزل الإسلام شرعة للعالمين الغنى والفقير فقد يحتاج الإنسان فى حال من الأحوال إلى هذا الماء الذى وقع فيه الذباب ولا يستطيع أن يسكبه فجاء الحديث ليوضح المخرج فى هذه الحالة .

ومع أن موضوع الحديث ليس استشفاء بجناح الذبابة كما فهم د. خالد إلا أنني وقبل أن أتعرض لما أستكمل به كلام د. أمين رضا بخصوص الحديث ، سأشير إلى معلومة أخرى ، اسمها الاستشفاء بيرقات الذباب ، والموضوع ليس مزحة أو جهل ولكنه حقيقة تناولها أيضا د. رضا في كلامه

فقد لوحظ أثناء ، الحرب العالمية الأولى شفاء وتعافي الجنود المصابين بكسور متقيحة على عكس المتوقع عندما كانت يرقات الذباب تتطفل على هذه التقيحات ، مما حدا بأحد العلماء بعد الحرب أن يبحث الموضوع ليكتشف أن هذه اليرقات تنظف الجروح تماما من الأنسجة التالفة المتعفنة التي تكون ملاذا للبكتريا والميكروبات ، فتسبب الوفاة ، وفي هذه الفترة وقبل اكتشاف مركبات السلفا ، كان الذباب يربى خصيصا في ظروف معقمة للحصول على اليرقات واستخدامه في التعامل مع التقيحات في الجروح والقدم السكري ، ولكن هذه الطريقة اندثرت بسبب اكتشاف مركبا السلفا والمضادات الحيوية

ولكن المثير للدهشة أن هذا الأسلوب في التعامل مع الجروح المتقيحة ، والقدم السكري وقروح الفراش قد عاد حديثا للظهور وفي بلاد مثل الولايات المتحدة أو كندا ، فرنسا ، وهناك الكثير من الأحاديث على الإنترنت يروي أصحابها كيف تم إنقاذهم م بتر بعض أعضائهم المصابة بعد استخدام تقنية يرقات الذباب ، وكيف أن هذه الطريقة قد نجحت حيث فشلت وسائل العلاج التقليدية بالمضادات الحيوية نتيجة لزيادة المقاومة لها ، بل يقال إن منظمة : food and drug administrationفي الولايات المتحد قد أقرت منذ عام

2004 استخدام يرقات الذباب لمعالجة قروح القدم ، قروح الفراش ، وجروح ما بعد العلمليات الجراحية

أما كيف يتم هذا فعن طريق قيام اليرقات بالتغذي على الأنسجة التالفة المتعفنة التي تكون مجالا لتكاثر البكتريا والفطريات ، كما أن هذه اليرقات أيضا تفرز مواد تساعد على التئام الجروح .

ومن يريد المزيد عن هذه المعلومات فليبحث في جوجل تحت عنوان : new interest in maggot therapy" " فليطلع بنفسه على الجديد في هذا ، وليعلم أن العلم لا ينتهي ولا يجب أن نرفض فكرة لمجرد أنها تخالف ما درجنا عليه .

الدكتور أمين رضا يقول إن العلم يتطور ويتغير بل ويتقلب كذلك ، وهذا ما حدث بالفعل في هذا الموضوع

لن أتحدث عن أبحاث أجريت في جامعات عربية لإثبات الحديث، ليس بسبب عدم الثقة في نتائج هذه الأبحاث ، ولكن لأن هناك غرض ديني من وراءها ، لا أريد الاعتماد إلا على نتائج جاءت من جهة محايدة ، العلم من اجل العلم .

والحمد لله وجدت ضالتي في هذه الأبحاث التي أجريت في جامعة ماكيوري في استراليا ، وقد أجرتها طالبة الدكتوراه جوان كلارك ، تحت إشراف د. مايكل جلينجز ،د. أندرو بيتي

وهذا هو عنوان كتابها المؤلف عام 2003 يحمل نتيجة هذه الأبحاث :

العنوان

Hypothesis Driven Drug Discovery: Antimicrobials in Flies

المؤلف

Joanne Clarke

الناشر

Macquarie University (Division of Environmental & Life Sciences, Department of Biological Sciences), 2003

عدد الصفحات

278 من الصفحات

وكانت هذه الأبحاث موضوع حديث بعض المجلات الأجنبية

وهذه بعض العناوين :

Science News

Home / Science News / Flies could hold key to new antibiotics

Flies could hold key to new antibiotics

By STEPHEN SHELDON, UPI Science News | Oct. 1, 2002 at 10:15 AM

2-A new buzz in antibiotic research

September 30 2002

By Garry Barker

Technology Editor

The surface of flies is the last place you would expect to find antibiotics, yet that is exactly where a team of Australian researchers is concentrating their efforts.

Working on the theory that flies must have remarkable antimicrobial defenses to survive rotting dung, meat and fruit, the team at the

ان ظهر الذباب هو آخر مكان تتوقعه ان تجد فيه علي مضادات حيوية , ومع ذلك ذاك هو المكان بالتحديد الذي يركز عليه فريق من باحثين استراليون

وذلك بناءا علي نظرية حتمية امتلاك الذباب مضادات للجراثيم فعالة للحفاظ علي حياتها في بيئة الروث واللحم أو الفواكه المتعفنة, والفريق من قسم علوم الأحياء بجامعة ماكوري يقوم حاليا بدراسة للتعرف علي خاصية تلك المضادات واختلافها في المراحل المختلفة لنمو الذباب

3-Humble fly may be super bug's match

May 12 2003

The Sun-Herald

كان ما دفعهم لهذه الأبحاث هو أن المضادات الحيوية المستخرجة ألان من الميكروبات والمصادر التقليدية تلقى مقاومة شديدة لمفعولها من الميكروبات والبكتريا الموجهه ضدها نتيجة لقدرة هذه الكائنات على التحور الجيني ، ولذلك فقد أصبحت الحاجة ملحة للبحث عن مصادر جديدة ، وكانت الفكرة التي وجهتهم هي أن الحشرات التي تحتك وتتعامل مع مثل هذه البكتريا والميكروبات لابد أن تكون مسلحة ضدها وإلا أبيدت ، وكان الذباب هو الحشرة النموذجية ، تقول جوان كلارك :

"Our research is a small part of a global research effort for new antibiotics, but we are looking where we believe no-one has looked before,"

بحثنا هو جزء صغير من مجهود بحثي عالمي للحصول على مضادات حيوية جديدة ولكننا نوجه أنظارنا إلى المكان الذي نعتقد أن أحدا قبلنا لم ينظر فيه .

قامت كلارك بدراسة الحشرات , مثل ذبابة الخراف و الذبابة المنزلية و ذبابة الخل , و تقول أنها استخدمت ذبابة الفاكهة كمعيار حاكم أو كمقياس

قامت كلارك بدراسة المواد المستخرجة من الأربع ذبابات على أربع أنواع من الميكروبات , كانديدا بيست , الاى كولاى , الجولدن ستاف , و بكتريا ألتربه المعتادة , و المعروف أن هذه الأنواع الأربعه من البكتريا تسبب العدوى للإنسان

اكتشفت كلارك أن الطور البالغ من كل نوع من أنواع الذباب أنتج شيئا تسبب فى منع باقى أنواع الميكروبات من النمو

واضافت السيدة جوان كلارك قائلة " أننا حاليا نحاول التعرف علي مكونات المضاد الحيوي لإنتاجه كيميائيا. ولأن المركب ليس مستخرجا من بكتيريا لن يكن سهلا للبكتيريا أن تكون مناعة ضد المضاد الحيوي (المستخرج من الذباب) ونأمل أن يكون لهذه المضادات فعالية علاجية لمدة طويلة

كانت أبحاث السيدة كلارك وفريقها على أربعة أنواع من الذباب منها الذبابة المنزلية والنتيجة أنها وجدث بالفعل مضادات حيوية على سطح جسم الذبابة ، آخر مكان يتوقع فيه كما تقول وجود مثل هذه المضادات ، ولأنها ليست بكتيرية الأصل فمن المتوقع أن البكتيريا لن يكون بإمكانها إنشاء أنظمة دفاعية لها قبل فترة طويلة ، ميزة تمتاز بها عن المصادر التقليدية ، ولكن الأمر كما تقول يحتاج إلى مجهود وتكاتف ، وتمويل

الحديث إذا لا يتحدث عن الاستشفاء بالذبابة ، ولكن مقدرة وضعها الله في هذه المخلوقات الضعيفة لتستمر وتجتاز عوامل الفناء ، لأنها لا تستطيع أن تكتشف وتبحث مثلنا ، ولأننا نتعرض لما تتعرض له هذه المخلوقات الضعيفة سواء أكانت بكتريا أو حشرات أو غيرها فالله سبحانه وتعالى الذي أعطانا القدرة على التعلم ، وعلم الإنسان ما لم يعلم هدانا كيف نستغل منحته لها فنحصل من خلال أبحاثنا ودراساتنا على ما تحصل عليه من الله هبة مباشرة ، هناك عمق وحكمة ، وتدابير غاية في الروعة ، ولكنها تحتاج لمن يفكر ويتدبر .

كل هذا مرة أخرى تطبيق للآيات القرآنية الكريمة : "الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى" الأعلى: ٢ – ٣، خلق هذه الكائنات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة ، أو هذه الحشرات البالغة الهوان ، ذبابة ، بعوضة ، ولكنه الخلق الذي ينبئ عن خالق عظيم قادر مبدع ، خلق فيه تسوية ، تصميم ، تخطيط ، حكمة ، قدر فيه كيف يستمر رغم كل ما يحيط به من عوامل الفناء والانقراض ، وهداه أين يحصل على ما يلزمه وسط كل هذا دون أن يضار ، بل قدر كيف يمكن للإنسان أن يزود نفسه هو الآخر بنفس وسائل التعامل مع مثل هذه العوامل المهلكة أو الضارة ، وهداه ولكن من خلال التفوق العقلي وقدرته على

البحث كيف يحصل من هذه الكائنات على ما تنتجه ، تدابير غاية في العمق والروعة والحكمة ، ولكن لن نراها إلا إذا فتحنا أعيننا وعقولنا ، إذا لم نستغل إمكانياتنا العقلية فقط إلى الوصول إلى المعلومة لنقتصر ما نجنيه منها على الثمرة الدنيوية ، ولكن نتعمق فيما وراء المعلومة ، هذا هو الاحترام الحقيقي للعقل ، أن تتعامل مع كل إمكانياته ، ولا يتحقق هذا إلا من خلال مقاييس دينية عميقة ، وليس من خلال هذه العلمانية التي لا ترى إلا القشور .

الفصل الثامن

بين الدين المتشدد والعلمانية

أوضحت في كلامي السابق كله ، كيف أن العلم الدنيوي ضرورة للوصول إلى الله على بصيرة وقناعة ويقين ، وكيف أن هذا الهدف الديني لهذا العلم الذي هو في الواقع خلق الله وآياته وسننه وقوانينه ، وليس العلم من اجل العلم هو غاية تعرض الكثير من آيات القرآن الكريم له ، وبينت كيف أنه في هذا السياق تأتي الدقة اللفظية القرآنية العلمية والتطابق اللفظي وعدم التعارض مع الحقائق العلمية التى أصبحت معروفة الآن ، وأن هذه الدقة اللفظية التي تأتي في سياق هذا الهدف الديني العظيم هي مفهوم الإعجاز العلمي .

إذا التعرض للإعجاز العلمي ، يعني التعرض للعلم من منظور ديني ، بمعنى الهدف العميق وراء المعلومة العلمية ، هو الذي يجعلنا لا نحصل منها على مجرد الفائدة الظاهرية الدنيوية التي ستنتهي عند آخر أنفاسنا ، وهي فائدة مشروعة تماما بل هي منحة الله لنا ، حتى أننا نكون مسئولين أمام الله إذا قصرنا في الحصول عليها بالطرق المشروعة وبما يرضي الله ، ولكن فقط نقرنها بالفائدة الباقية ، بعلاقة إيمان يقيني بمن ينتمي إليه كل هذا .

ولكن المتأمل لكتاب د. خالد منتصر " وهم الإعجاز العلمي " من أوله إلى آخره يجد أن ما يسيطر عليه هو هذا التفكير العلماني الذي يدافع عنه وبشدة حتى انه أفرد له بابا في كتابه ، يدعو إليه ويبشر به ، ويروج له بأسلوبه المعتاد في الترويج .

التفكير العلماني الذي لا يمكن فيه أن يرى ما وراء العلم إلا العلم نفسه ، وإلا الفائدة الدنيوية التي نحصل عليها من ورائه ، العلم والدنيا هما الهدف ، والغاية ، لأن العلمانية تحصر اهتمامها في هذا العالم

هذا الفصل التام بين العلم والدين ، هو في الحقيقة ليس ما يدين به العلمانيون فقط ويتبنونه ، ولكن الحقيقة أن الكثير من رجال الدين ، يتخذون موقفا عدائيا متشددا من العلم ، وكأنه ينتمي إلى الشيطان ،أو أنه من إبداعات البشر ، ربما كان عذر بعضهم في ذلك هو التناول العلماني للعلم الغالب على الدول المتقدمة علميا ، وكيف أن الناس في مثل هذه الدول قد تحولوا عن الدين نفسه بسبب هذه النظرة القاصرة للعلم .

وأنا قد سبق وأشرت أن الكتاب المقدس إذا اقتصر على ذكر العلم الديني فقط من عقيدة وتشريعات وأخلاق ومعاملات ، واعتمد على الترهيب والترغيب دون إقناع ، وتبصير ، فإن الناتج ، إما رجل دين متعصب متشدد ، أو رجل علماني ، علمه الديني إن كان موجودا فهو باهت ، وضائع المعالم .

د. خالد منتصر في كتابه يعرض لنا النموذج الأول ويكرر هذا العرض حوالي ثلاث مرات في كتابه ، لا أدري هل ليبين لنا ما يفعله الدين في طريقة التفكير أم ماذا ، للنظر ما يقول :

ولنقرأ سويا فتوى الشيخ الإمام عبد العزيز ابن باز حتى نحكم بأنفسنا

يقول الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية في عام 1976

(" القول بأن الشمس ثابتة وأن الأرض دائرة ومتحركة هو قول شنيع ومنكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل ويجب أن يستتاب وإلا قتل كافرا ومرتدا ويكون ماله فيئا لبيت مال المسلمين "

ونأتي إلى مسألة المنهج التي تحدثنا عنها كثيرا ونسأل إلى ماذا استند ابن باز في فتواه ، هل استند إلى رأي أهل العلم وهم في هذه الحالة علماء الفلك ؟ والإجابة للأسف لا فهؤلاء العلماء كفره ، ولكنه استند إلى القرآن الكريم والأحاديث وكتب السلف الصالح ، وهذا المنهج الذي يلوي عنق النصوص لاستخراج الحقائق العلمية ، طالما هاجمه الكثيرون حتى من بين علماء الدين أنفسهم ، أما عن الأدلة التي قدمها ابن باز فيما بعد سنة 1982فقد كانت كالتالي : أولا الدلالة على جريان الشمس والقمرفقد استند ابن باز إلى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : " وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى " " والشمس تجري لمستقر لها " " وسخر لكم الشمس والقمر دائبين " " فلا أقسم برب

المشارق والمغارب " ويقول ابن باز في تفسيره إن الجري في لغة العرب هو الانتقال من مكان لمكان فالشمس جارية أي سائرة متنقلة من منزلة ، وأما ما استمده من الأحاديث الشريفة لإثبات صحة فتواه هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما : أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي وارجعي حيث جئت ..الخ" ثم يضيف ابن باز أن الشمس سقفها ليس بكروي ولكن قبة ذات قوائم تحمله الملائكة ، ثم يؤكد الإمام ابن باز أنه كان من جملة الناس الذين شاهدوا بعيونهم وأبصارهم سير الشمس وجريانها قبل ان يذهب بصره وهو في سن التاسعة عشرة من عمره

كانت هذه عينة من الأدلة على جريان الشمس والقمر ، أما ادلة ثبوت الأرض فقد جمعها ابن باز في : أولا :

الآيات القرآنية مثل " جعل لكم الأرض قرارا " " جعل لكم الأرض مهادا " " الذي جعل لكم الأرض فراشا " ، " وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم " ومن تفسيراته أن كون الأرض فراشا مشروط بكونها ساكنة ، لأنها لو كانت متحركة ما كانت فراشا على الإطلاق ، وثانيا الأحاديث النبوية ومنها الحديث الذي يقول : " لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال عليها فاستقرت " ومن هنا استخلص ابن باز أن الحديث النبوي قد أثبت ثبوت الأرض ،وبذلك اكتملت ملامح فتوى تكفير جاليليو وتلاميذه ، والتي تنازلت عنها الكنيسة ولم يتنازل عنها ابن باز وتلاميذه حتى اليوم)

الحقيقة أني لا اعتراض لي على اعتراض د خالد منتصر على كلام الشيخ عبد العزيز بن باز ، ولكن علام يدل كل هذا ؟ لماذا يذكر د. خالد هذه القصة ؟

مأ افهمه هنا أن الشيخ ابن باز لم يكن موفقا في فهم هذا الموضوع تحديدا ، ولا يؤثر هذا على مكانته الدينية ،وعلمه الديني الغزير ، وأي إنسان عرضه أن يكون فهمه لموضوع ما ، فهما خاطئا، ، وعلى ذلك يجب ان نضع الأمور في نصابها ولا نحملها فوق ما تحتمل .

فرأي ابن باز رحمه الله لا يمثل الدين نفسه ، ولا التناول الديني للأمور العلمية ، علماء آخرون معاصرون لابن باز ، ولهم نفس المكانة العلمية رأوا شيئا آخر ، هذا هو كلام الإمام الشيخ ناصر الدين الألباني عن نفس الموضوع :

"نحن في الحقيقة لا نشك في أن قضية دوران الأرض حقيقة علمية لا تقبل جدلا . في الوقت الذي نعتقد ليس من وظيفة الشرع عموما والقرآن خصوصا أن يتحدث عن علم الفلك ودقائق علم الفلك وإنما هذه تدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث انس بن مالك رضي الله عنه في قصة تأبير النخل حينما قال لهم إنما هو ظن ظننته فإذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فاتوا منه ما استطعتم وما أمرتكم بشيء من أمور دنياكم فأنتم اعلم بأمور دنياكم .

فهذه القضايا ليس من المفروض أن يتحدث عنها الرسول صلى عليه السلام ، وإن تحدث هو في حديثه أو ربنا عز وجل في كتابه فإنما هي لبالغة أو آية أو معجزة آو نحو ذلك .

فلذلك نستطيع أن نقول أنه لا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما ينافي هذه الحقيقة العلمية المعروفة اليوم أو التي تقول أن الأرض كروية أو أنها تدور بقدرة الله عز وجل في هذا الفضاء الواسع .

بل يمكن للمسلم أن يجد ما يشعر إن لم نقل ما ينص على أن الأرض كالشمس والقمر من حيث إنها كلها في هذا الفراغ كما قال عز وجل (وكل في فلك يسبحون) وبخاصة إذا استحضرنا أن قبل هذا التعبير الإلهي بلفظة كل أنها تعني الكواكب الثلاث حيث ابتدأ بالأرض .. ثم الشمس ..ثم القمر .. فلفظة كل تشمل الآية الأولى الأرض ثم الشمس ثم القمر ...

هذا ظاهر في سياق الآيات ... كل هذا مع العلم أن علماء التفسير أعادوا اسم كل إلى أقرب مذكور وهو الشمس والقمر لكن ليس هناك ما يمنع أبدا أن نوسع معنى الكل فيشمل الأرض التي ذكرت قبل الشمس وقبل القمر.

هذا أقوله فإن صح فبها ونعمت ، وإن لم يصح فأقل ما يقال أنه لا يوجد في القرآن ـ كما قلت آنفا ـ ولا في السنة ما ينفي هذه الحقيقة العلمية .

أما ما يقال عن الآيات التي يذكرونها فهي في الحقيقة لا تنهض لإبطال هذه الحقيقة العلمية الكونية من جهة ، بل على العكس بعضها تكون حجة على المستدلين بها ....إلخ.

والخلاصة : ... لا يمكن أن يقال أنها ثابتة ...والقضية لا تحتاج إلا إلى شيء من العلم والإدراك الصحيح مع وجود الإيمان الكامل بقدرة الله التي لا يتصورها الإنسان ."

كانت مشكلة الإمام بن باز في عدم تقبله أو فهمه للمعلومة العلمية نفسها ، هو يرى أن دوران الأرض متناقض مع الاستقرار الذي نشعره فوقها .

الفارق بين الشيخ ابن باز والشيخ الألباني هو في الخلفية العلمية التي كانت عند الشيخ الألباني والتي جعلته يتقبل فكرة دوران الأرض وحركتها كحقيقة لا تقبل الجدل ، مما جعله يرى هذه الحقيقة في بعض آيات القرآن على الرغم من انه ليس من رواد الإعجاز العلمي ولا من سماسرته ! بل على العكس كان رأيه كما هو واضح من كلامه أن هذه الحقائق هي من أمور الدنيا التي لا يأتي القرآن بها إلا لبالغة أو آية ، وغياب هذه الخلفية بالنسبة للشيخ ابن باز والتي جعلته يسيء حتى فهم آيات القرآن ، أليس في هذا اكبر دليل على أن العلم والدين لا يمكن أن ينفصلا ؟

الحقيقة أن الفصل بين الدين والعلم هو مخالفة لمنهج الله في الوصول إليه ، فلابد أن تؤدي هذه المخالفة إلى دين متشدد ،متعصب ، ولا يفهم بعض آيات القرآن على حقيقتها ، يتحدث عن الحدود فقط والاستتابة والتكفير والارتداد .

ولكن هل هذه هي الصورة الوحيدة وهذه هي النتيجة الوحيدة للفصل بين الدين والعلم ؟

أنا اعرف واحد مفكر ، كل همه هو أن يقود الآخرين من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، كان يقول:

- إن القرآن يكرر كل الأخطاء العلمية الساذجة والمغلوطة في عصر نزوله ، ومع ذلك فهو كتاب سماوي محكم .

- وأنه يكرر أساطير الأولين فيتحدث عن خلق الإنسان من طين ، ومع ذلك فهو كتاب سماوي ومحكم - وآياته تقع في فخوخ لا يمكنها الفكاك منها بسبب تناقضها مع العلم الحديث ، ومع ذلك فهو كتاب سماوي ومحكم .

- ويستقي معلوماته عن أطوار الجنين من أفواه القابلات ، ومع ذلك فهو كتاب سماوي ومحكم

هذا هو الوجه الأخر الذي تحدثت عنه لعملة : الفصل بين الدين والعلم ،

الاتفاق بين الوجه الديني المتشدد و الوجه العلماني لعملة الفصل بين الدين والعلم هو في الخطأ في فهم الأمور ، في فهم كلا من الدين والعلم وكيف يجب أن يكونا ، أما الاختلاف بينهما فهو في :

رجل الدين المتشدد نظرته إلى العلم نظرة عدائية ،ولكن انتمائه الحقيقي وغيرته وتعلقه هو بالدين ، يخشى عليه من العلم ، يرفض المعلومة التي لا يراها لا تتفق مع كتابه الكريم ، لأن الأصل هو هذا الكتاب ، أما العلماني فانتمائه إلى العلم ولا يرى فيه إلا الهدف والغاية ، خوفه الحقيقي عليه من الدين ولذا نراه يتحدث عن العلم الذي يرتدي العمامة ، وجر النظرية من المعمل إلى المسجد ولا يرى إلا أن الدين هو السبب في التخلف العلمي .

بينما مقاييس رجل الدين المتشدد ، أو المتدين المتشدد مقاييس أخروية ، حديثهم عما يرضي الله وما يسخطه ، عن الحلال والحرام ، تقييمهم للأشياء على أساس مردودها الديني ، ولذا فالكثير منهم متعمق ومتخصص في العلم الديني

نرى العلماني ، مقاييسه دنيوية بحته ، الفوز بالدنيا هو الفوز العظيم ، المتقدم دنيويا ، في اعلي عليين ، حتى ولو كان كافرا زنديقا ، وعلى ذلك فهو لا يرى في المسلمين إلا أنهم مصابون بعقدة النقص بسبب تخلفهم العلمي ، ولا يتصور أبدا ولا يفهم أن شعور إنسان بانتمائه إلى دين يوقن انه الحق يكون مصدرا لفخره وشكره ، وإحساسه بأكبر نعمة منها الله عليه ، أو أن إنسانا يمكن أن يفضل أن يكون على الدين الحق ، من أن يكون ضالا دينيا ومتفوقا علميا بالطبع أنا هنا لا أعني إطلاقا أن التخلف يكون قرين الدين ، أو أن التقدم لا يمكن أن يأتي إلا من خلال بعد عن الدين فهذا كلام بالغ الخطأ ـ وهو ما سأناقشه فيما بعد ، أنا فقط أتحدث عن المعايير المختلفة التي يرى بها هؤلاء الذين يفصلون بين الدين والعلم ، فتكون النتيجة دين ليس في أفضل حالاته وعلم ضرره يفوق نفعه .

وأكرر لا يمكن أن يأتي الفصل بين الدين والدنيا بخير لا دينيا ولا دنيويا ، وهذا ما سيكون موضوع الفصل القادم

الفصل التاسع

الفصل بين الدين والدنيا

لا ينكر احد أن أوروبا وأمريكا تسبقانا علميا ، وتقنيا وديمقراطيا وكل ما يميز دولة حديثة بقرون ، وبالنسبة لأوروبا دائما ما يقرنون هذا التقدم بنجاحهم في التخلص من سيطرة الكنيسة على الدولة ، فالكنيسة في العصور الوسطى كانت تحارب العلماء ، وتحكم على بعضهم بالحرق ، لأنهم في نظرها يأتون بما يخالف الكتاب المقدس ، هذه أمور معروفة ، ما أكثر ما قتلت بحثا وكلاما ، وحثا لنا أيضا على أن نحذو حذوهم ، معللين كل تخلفنا الحضاري الآن بأننا ما زلنا نعيش فيما كانت تعيش فيه أوروبا في عصورها المظلمة ، نحكم الدين في الدنيا وفي العلم ، تسيطر علينا هذه الأفكار الدينية ، التي تحول بيننا وبين الأخذ بكل ما استجد من علوم ولم ننجح بعد في التخلص من هذا الارتباط الديني الدنيوي

في نظر د. خالد منتصر أننا لن نلحق بركب الحضارة أبدا ما دمنا لا نزال نتحدث في فوائد البنوك ، وفي الحجاب ،

أفاض في كتابه " وهم الإعجاز العلمي " في بيان الفتاوى التي ما زلنا نتعلق بها ، فتاوى ابن باز عن دوران الأرض ، وموضوع الطب النبوي ، وبول الإبل ، والحجامة وحبة البركة ... الخ

تناول د. خالد منتصر كالعادة كما أراه مليء بالخلط والتشويش وافتقار الدقة ، وللحق فهذا ليس كلامه وحده ، ولكن غيره يتحدثون مثله ، ولكنه يبرع في إلقاء كل هذا التخلف على الدين ، وكأننا لو قصرناه على ركعتين في المسجد ، سننطلق كالصاروخ ، كل عقدتنا في الحياة ، سببها الدين ، القرآن ، الأحاديث التي ولى عهدها ومضى ولكننا مازلنا نتعلق بمخلفات الماضي ، ولنناقش هذا الأمر بشيء من الموضوعية .

هناك فارق بين السماء والأرض بين التناول الخاطئ للدين وآيات القرآن ، والتعنت ، والتشدد ، والانغلاق ، والتجمد باسم الدين ، الذي أوضحت أن سببه الحقيقي هو في مخالفة منهج الله ، في استخدام العلم الدنيوي في الوصول إلى الله كما وجهنا الله نفسه في كتابه الكريم ، وبين تطبيق الدين من خلال فهم حقيقي له يعتمد على هذا المنهج الإلهي الحكيم ، وإذا كان هذا المنهج عبارة عن وصول إلى الله من خلال خلقه ، الذي هو لا شيء سوى هذا العلم وهذه السنن الرائعة ، فكيف يقال إن الدين هو سبب التأخر العلمي الذي نعانيه .

إذا كان رجال دين القرون الوسطى في أوروبا يرون في العلم نفسه خروجا عن منهج الله ، ومخالفة لكتابه المقدس فلا أدري إن كان هذا نابعا من تعنت وتشدد وتجمد ديني ناتج عن سوء فهم ، أو أن هذا هو حقيقة الأمر ، فلست أدعي علما بالكتاب المقدس ، ولكن أقول فقط أن مثل هذا التعنت موجود في كل دين ، ولكن يبقى أن حقيقة الحال مختلفة لدينا عنهم تماما كما أوضحت ، والمقارنة هنا عمياء ، والنصيحة المترتبة عليها إن لم تكن مغرضة فهي خرقاء .

: قبل عصر النهضة كان في أوروبا علماء عظماء مثل كوبرنيكس وجاليليو ولا فوازيه ، وكان هناك آباء الكنيسه ، رجال الدين المتعنتين ، الذين حاربوا العلم والعلماء بشدة واتهموهم بالهرطقة ، وحكموا على بعضهم بالموت ، وكاد هذا يكون مصير جاليليو مخترع التليسكوب لأنه تحدث عن دوران الأرض واضطر للتراجع ، خوفا على حياته ، كانت هذه الأفعال حربا على العلم ، عائقا في سبيل التقدم ، فكاد لابد من فصل الكنيسة عن الدولة وتقليص سلطتها على السلطة الدينية ، فأي تشابه مع حالنا الآن يبيح تطبيق ما يدعو إليه من هذا الفصل الديني الدنيوي ؟ هل نحن لدينا علماء مثل جاليليو ، وهل لدينا سلطة دينية مسيطرة تعوق ، تقدم العلم والعلماء ، ليس عندنا هذا ولا ذاك فمن يريد أن يفصل من عن من !؟ ما هو دور الدين في التخلف الذي نعيشه ؟، وما هو الفصل الذي يريده ؟

والدليل أن مشكلة القرون الوسطى في أوروبا لم تكن موجودة أبدا في عصر الازدهار الإسلامي الحضاري ، لم نر مثل هذا الصراع بين العلم والدين ، إذا كان القرآن نفسه يتحدث عن آيات كونية للدلالة على ما ورائها ، إذا كان ابن عباس رضي الله عنهما الصحابي الجليل المعاصر لنزول القرآن كان يفسر بعض آيات القرآن تفسيرا علميا ، حسب العلم المتاح ، فيتحدث عن الرحم وغشاء المشيمة .

وحتى بالنسبة لما كان يفعله رجال الكنيسة في القرون الوسطى ، لو أخذناه بشيء من التحليل والعمق ، لوجدنا أن الحقيقة فيه تختلف عن الفكرة الشائعة ، أنا لا أرى أن المشكلة بين العلم والدين قد بدأت ، بالخلط بينهما ، نتيجة لسيطرة رجال الدين على مقاليد الدولة بما فيها العلماء وما يصلون إليه ، ولكن لو تأملنا سنرى أن اصل المشكلة هي الفصل بين العلم والدين ، الموقف العدائي للعلم والعلماء من قبل الكنيسة ، وتكفير كل من يأتي بمعلومة يقولون إنها تتعارض مع الكتاب المقدس ، أو اعتبار الكنيسة أن العلم فقط هو العلم الديني ، وأن شئون الدنيا لا يجب أن تكون محل اهتمام ، وهو ما بدأت به المشكلة ، لا يمكن أن يعني إلا فصلا تاما بين العلم والدين .

هذا الفصل كما أوضحت يخالف منهج الله سبحانه وتعالى في الوصول إليه ، وعلى ذلك فأول ضحاياه ، لن يكون سوى الدين نفسه ، دين لا يستقي القناعة به والإيمان به على بصيرة من آيات الله الكونية العظيمة ، وسننه وقوانينه ، التي هي لا شيء أبدا سوى العلم ، لن يكون في أحسن حالاته ، وهذا ما كان يحدث بالفعل في القرون الوسطى ،

لم تكن الحرب على العلم والعلماء هي السمة الوحيدة للقرون الوسطى التي كان يسيطر فيها رجال الدين على مقاليد الأمور ، ولكن كان هناك حربا واضطهادا دينيا في أسوأ صورة

كانت هناك محاكم التفتيش التي استمرت لقرون ، والتي قيل بسببها ، "من الصعب أن تكون مسيحيا وتموت على فراشك "

وكان هناك صكوك الغفران ، التي يبتزون بها العامة ، هل كانت هذه الأمور حقيقة من صميم الدين المسيحي ؟ قطعا لا ، ولكن هذه هي طبيعة الدين المخالف لمنهج الله .

وعلى ذلك فأنا لا أنظر إلى التقدم الذي حدث في أوروبا بعد تقليص سلطات الكنيسة ، وحصر سلطة رجال الدين داخل جدرانها ، على انه كان بسبب فصل الأمور الدينية عن الأمور الدنيوية ولكن :

استبدال فصل ديني دنيوي أصبح المسيطر فيه هم رجال الدنيا العلمانيون البعيدون عن أمور الدين ، أدى إلى تهميش الدين وتحجيمه ، وانطلاق التقدم العلمي التقني ، كالصاروخ ، لفصل ديني علمي كان المسيطر فيه هم رجال الكنيسة ، فكان الدين والعلم معا هما الضحية .

وإذا كان الفصل الديني العلمي له هذا الأثر السيئ على الدين ، فهل أصبح العلم هكذا في أفضل حالاته ؟

الحقيقة أن هناك نوع من الخلط الشديد يعاني منه د. خالد منتصر بهذا الخصوص ، ففي كتاباته نرى أنه لا يستطيع أن يفرق بين العلم نفسه ، وبين التقنيات المترتبة على بعض الاكتشافات العلمية وعلاقة الدين بكل منهما ، وهذا نموذج من كلامه :

وكل القضايا العلمية المعلقة والتي تنظر الإجابات الشرعية لن تجد إجابتها عند رجال الدين لسبب بسيط هو أن من عرضوها منتظرين الإجابة ، قد ضلوا الطريق فالإجابة عند ميكروسكوب العلم وليس تحت عمامة الفقيه

الحقيقة أن هذه الكلمات القليلة تصور مشكلة د. خالد أبلغ تصوير ، فهو يتحدث هنا عن المشاكل العلمية المعلقة ، ولا أدرى ما ذا يعني بها تحديدا ، هل هي معلقة من ناحية المعلومة العلمية نفسها التي لم يقل العلم فيها كلمته الأخيرة ؟ لا يمكن لأحد أن يدعي أن الطريق إلى استكمال المعلومة يأتي عن طريق الدين ، أو عمامة الفقيه كما يقول ، لم يزعم أحد أن مسئولية رجال الدين هي الوصول للحقيقة العلمية .

أما إذا كان يعني بالمشاكل العلمية المعلقة هو التطبيق العملي لبعض التقنيات مثل الاستنساخ أو تأجير الأرحام ، أو نقل الأعضاء فالموضوع مختلف تماما :

د. خالد منتصر لا يستطيع أن يفهم أنه بينما العلم الديني هو المقابل للعلم الدنيوي وأنه لا يجب أن نخلط بينهما في هذه المنطقة وبالتالي في طريقة الوصول إلى المعلومة في كل منهما كما أوضحت ذلك جيدا ، فإن الحديث عن هذه التقنيات العلمية ليس كذلك .

التقنية العلمية : هي تطبيق وسلوك ، وتصرفات بشرية ، مثلها مثل أي سلوكيات بشرية أخرى ، يمكن أن ترضي الله أو تسخطه ، وعلى ذلك فالمفروض أن يقول الدين كلمته فيها ومن صميم اختصاص رجال الدين أن يصدروا الفتاوى بشأنها ، فقط يجب أن يكون من يتصدر لمثل هذه الفتاوى على علم عميق بجوهر الدين ، وعليه أن يستشير أهل الذكر من العلماء الدنيويين ، والناس من حقهم ، بل من واجبهم الديني أن يصلوا إلى الحقيقة بهذا الخصوص من خلال سؤال أهل الذكر

من يؤمن بالله سبحانه وتعالى ، وبالبعث والنشور ، والحساب والثواب ، والعقاب ، يفهم جيدا أننا لن نحاسب أمام الله إلا عن سلوكياتنا في هذه الدنيا نفسها وليس أي شيء آخر ، حسابا على مستوى مثقال الذرة ,هي الهبأة أو النملة ، فهل يكون لديه أي معنى لكلمة : " ما شأن الدين " هنا ؟ ما هو هذا الدين الذي لا شأن له بأي شيء نأتيه في هذه الدنيا ؟

من يرى أن الدين لا شأن له بالبنوك أو الحجاب الذي لا يراه إلا نفاقا اجتماعيا ، أو بكل ما نسلكه في هذه الحياة فهو يدين بدين غير ديننا الذي نعرفه ، وعلى ذلك فليس من حقه أن ينتقد دينا لا يفهمه وليس هو على ما يبدو هو ما يدين به .

هل يستطيع د. خالد منتصر أن ينكر انه ليس كل ما يأتي به العلم خير ؟ ، فهل من مصلحة العلم ألا يكون هناك معايير ، ومقاييس لما يجب أن يكون عليه ؟

من يقول ، ولماذا يتعين أن تكون هذه معايير دينية ، لماذا لا تكون هناك قوانين دنيوية ، تحدد ما يجب وما لا يجب أن يكون ، أقول له ، ولماذا تقبل هذه القوانين إذا أتت من خلال بشر أمثالنا ونرفضها إذا كانت من طريق الله الذي سنحاسب أمامه ، إذا كان المبدأ واحد ، فلماذا نقبله دنيويا ، ونرفضه دينيا ؟

أي تقنية من التقنيات يمكن أن ترضي الله أو تسخطه أو حتى تؤدى بطريقة ترضي الله وبطريقة تسخطه ، ولا يمكن كمؤمنة بالله سبحانه وتعالى وبنسبة كل شيء في هذه الدنيا إليه أن أتصور أن الدنيا لن تكون في أحسن حال إلا من خلال ما يرضي الله فقط ، وهذا شيء لا يمكن أن يفهمه من يقول ما شأن الله ، وما دخل الله ، وما شأن الدين .

بالطبع ما يرضي الله سبحانه أن تستغل العلوم الذي أتاحها لنا فيما يحقق الخير للبشرية ، ما يرضيه أن تستخدم علوم الكيمياء والبيولوجي ، والذرة ، والفيزياء ، في الصناعة ، وفي الطب ، وفي الزراعة ، وفي تيسير الحياة ، وما يسخطه ، أنها تستغل في إنتاج كل هذا الكم من الأسلحة الكيماوية ،والبيولوجية ، والذرية ذات القدرات التدميرية الرهيبة ، والتي لا يبتلى بها إلا الأبرياء المساكين من الأطفال والمسنين ، الذين لا حول لهم ولا قوة ، والتي ينفق على الأبحاث فيها وعلى إنتاجها ،البلايين من العملات في عالم يموت فيه الآلاف جوعا وفقرا ، ومرضا

ألا يستطيع د. خالد أن يرى أن عجلة التقدم الرهيبة هذه تسحق تحتها كل المساكين ، والضعفاء والمطحونين حتى من أهل هذه الدول المتقدمة نفسها ، كما رأينا من هذه الاعتصامات والاحتجاجات التي اجتاحت أمريكا ومعظم دول أوروبا ، كاشفة عن حقيقة الوضع فيها ، ناهيك عن الدول المتخلفة ،المعدمة ، التي لا يتورع المسئولون من أصحاب هذه الحضارة المعاصرة من امتصاص دمائهم بدلا من الأخذ بأيديهم .

ألا يستطيع د خالد أن يدرك أن هذا الرعب ألذي تعانيه البشرية ، من هذه التلوثات الكيماوية ، والبيولوجية ، والذرية ، هي نتاج علم ، لا رابط فيه ولا ضابط ، ولا أخلاق ولا دين ، وأن البشرية قد ابتليت بسببها بأمراض لم تكن تعرفها ، ما فعلته أمريكا في العراق ، وما فعلته إسرائيل في غزة ، قنابل عنقودية ، وفسفورية ، ويورانيوم مستنفد ، ما زالت تعاني منه مناطق عراقية ، والنتيجة ، أطفال مشوهون ، وسرطانات ، وآلام ، ولكن د. خالد لا يرى ولا يحدثنا إلا على الخلايا الجذعية ، والليزر ، وكيف أننا عالة على مائدة الغرب العامرة ، ولا تسمح له بصيرته أن يرى كيف أننا أكثر من هذا ضحايا لمصائبهم وكوارثهم التي يبلوننا بها ، وأنهم بينما يقدمون لنا نتائج أبحاثهم في تطوير تقنية الأطراف الصناعية التي لن تصل أبدا إلى إبداع الطرف الطبيعي ، فإن تكنولوجيتهم هذه هي المتسببة في إمداد العالم بما لا يحصى من فاقدي هذه الأطراف ، وخصوصا من

الأطفال الفقراء المساكين ، وأن ما يقدموه لنا من تطور في مجال الزراعة ،والصناعة والطب ، يفوقه ، ما يمدوننا به من هذه الوسائل التدميرية ، التي تتطور بصورة أكبر

هل يفهم د. خالد منتصر الآن معنى الآية الكريمة :

"ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الروم: ٤١

عندما تقول الآية الكريمة ، ليذيقهم بعض الذي عملوا ، فليس لهذا إلا معنى واحد : وهو أن ظهور الفساد في البر والبحر هو نتيجة ، ما قدمت أيدي الناس ، الدكتور دائم الاعتراض على نظرية العقاب الإلهي ، والأدلة التي يسوقها ، هي أن من يتعرضون لبعض الابتلاءات ليسوا دائما ممن يستحقونها ،والحقيقة أن طريقة فهم د. خالد المتجمدة السطحية ، لا تفهم أكثر من هذا ، كما أن طريقة البعض المتجمدة أيضا تجعلهم يطبقون هذا المبدأ على كل شيء ، والموضوع أعمق من هذا ، قد تكون الكارثة ، عقوبة ، قد تكون مجرد اختبار وابتلاء من الله ، فالله كما يقول في كتابه يبلونا بالخير والشر فتنة , وقد تكون تذكرة ، لنتذكر قدرة الله كما يقول في آية" وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " الأنعام: ٤٢ - ٤٣

ولكن ما افهمه أكثر من آية سورة الروم ، أن ظهور الفساد في البر والبحر ليس عقوبة على مخالفة منهج الله ، ولكن بسبب مخالفة منهج الله نفسه ، التقدم في الأبحاث والعلوم وتطبيقاتها ، بعيدا عن أي اعتبار ديني ، وبدون أي معايير أخلاقية دينية أيضا ، (لأن الدين هو حسن الخلق) ، لا يؤدي إلا إلى ظهور الفساد ، وفي البر والبحر ، والله بعدما يقول : ليذيقهم بعض الذي عملوا يقول : لعلهم يرجعون .

ألا يرى د. خالد وغيره كيف تحققت كلمة " يرجعون " هذه ؟ من يشك في هذا فلينظر إلى كل هذه المعاهدات والقوانين الدولية لتحريم، وتجريم استعمال هذا السلاح أو ذاك يلتزم بها من يلتزم ، ويخالفها من يخالف .

الفصل العاشر

هل الإعجاز العلمي يعتمد على التلاعب بمعاني الكلمات ؟

حرصت هنا على نقل كلام الدكتور خالد كله لأبين مثال آخر من الضلالات التي يعاني منها والاستغراقات المنفصلة عن حقيقة الأمر ، تماما مثل فهمه المقلوب لمعنى الإعجاز العلمي على أنه استنباط واستخراج الحقائق العلمية من القرآن ، حتى أنه يضع هذه العبارة المخجلة : العلم يرتدي العمامة في صدر كل صفحة من صفحات كتابه ثم يستغرق ويستطرد ويتعجب ويستهزئ ويبني كل حججه على هذا الفهم العجيب ، هذا هو حال د. خالد منتصر

يقول د. خالد منتصر :

"أخطر خلل في ممارسة أصحاب بازارات الإعجاز العلمي هو كيفية التعامل مع اللغة ، فهم يتعاملون مع اللغة على أنها مطية لتفسيراتهم الوهمية ، وعجينة تتشكل في أيديهم حسب الرغبة فتارة تصبح الكلمة لها معنى وتارة يحملونها معنى آخر تماما لم يكن على البال أو الخاطر إلا بال وخاطر أصحاب فضيلة وفخامة البيزنس الإعجازي ،..."

ما معنى لم يكن على البال أو الخاطر؟ ، عن أي بال وخاطر يتحدث حضرة الطبيب ؟ عن بال وخاطر منزل القرآن سبحانه وتعالى ؟، وإن كان التعبير هكذا لا يليق ،سأفترض أنه يقصد أن الله لم يعن هذا المعنى الذي ذهب إليه الإعجازيون ، أم عن بال وخاطر مفسري القرآن أو قرائه عصر نزوله ، لن أناقش المعنى الأول إلا من خلال تعرضي للموضوع كله ، أما المعنى الثاني ، فعدم إدراك المفسرين القدامى لهذه المعاني هو مفهوم الإعجاز العلمي .

ويقول :

فاللغة أصلا وببساطة هي كود أو شفرة ، أو منظومة صوتية أو دوال صوتية وكتابية نعبر بها عن أنفسنا ، فلو قلنا كلمة شجرة مثلا كان هذا الصوت الذي نطقته هو المعبر عن هذا الشيء ذي الجذع والأوراق الخضراء ...الخ ولكي تصبح اللغة ذات وظيفة محددة وغرض واضح ولكي تنجح في توصيل المعنى وتساهم في تواصل البشر ، كان لابد أن يتوافق هؤلاء البشر في بقعة ما على أن هذا الكود الصوتي هو الذي يدل على هذا الشيء بالذات ، فلا علاقة بين الصوت شجرة وبين الشجرة الفعلية سوى اتفاقنا وإلا أصبح هذا الصوت المنطوق عبثا وهراء في الفضاء لا معنى له ، ولو كنا قد اتفقنا كعرب على أن الشجرة اسمها زعريط مثلا ، كان هذاالزعريط هو المنطبع في الذهن

إذا فهمنا اللغة بهذا الفهم السابق شرحه سهل علينا كشف حقيقة العبث اللغوي الذي يمارسه الإعجازيون ، فكلمات القرآن الكريم كانت موجودة في قاموس العرب حين نزل القرآن عليهم ، وإذا لم تكن لهذه الكلمات دلالة عندهم في ذلك الحين لكان القرآن تحول إلى مجموعة ألغاز وأحاجي لغوية و لكان معطلا عن الفهم ، ومن ثم الإيمان به ، وحتى الكلمات البسيطة التي لم تكن موجودة في قاموسهم ولم تكن لها مدلولات حينذاك ، تولى الرسول شرحها مثل كلمة سقر مثلا وهي تدل على شيء غيبي لمكان في جهنم ، وعلينا

حين نحاول فهم وتفسير القرآن أن نفهمه ونفسره من خلال هذه الوظيفة اللغوية وهي التوضيح وليس التلغيز والتعجيز لأن القرآن نزل باللغة العربية وليس بلغة الاسبرانتو ، وهو رسالة ومن أولى شروط الرسالة أن تكون واضحة ، وبلغة محددة ،

اولا :

هذا الحديث ، هو كلام مغرق في النظرية ، عبارة عن قالب متجمد من الفهم ، صاحبه بعيد جدا عن حقيقة الأمر

فدكتور خالد منتصر في كل كلامه لا يستطيع أبدا أن يفرق بين كتاب ألفه إنسان منذ أربعة عشر قرنا ، كان محكوما فيه بعلوم وثقافة ، بل ولغة عصره ، موجه فقط إلى معاصريه ممن يحملون نفس هذه المفاهيم والثقافة ، واللغة ، وبين كتاب سماوي منسوب إلى الله تعالى موجه إلى الناس في كل زمان ومكان

ثانيا : كما أوضحت سابقا : صحيح أن جميع آيات القرآن الكريم ليس لها إلا هدف واحد هو الهداية الدينية ، ولكن هذه الهداية الدينية ، ليست عبارة عن شيء واحد ، ليست كلها عبارة عن علم ديني : عقيدة وشريعة ، وأخلاق ومعاملات ، ولكن منها أيضا ما هو دعوة للإيمان بالله على بصيرة وقناعة ويقين .

هذه الدعوة التي يتوجه بها الله إلى عباده ، من خلال القدرة التي أودعها إياهم بل أفردهم بها في الوصول إلى الخالق من وراء خلقه ، تعتمد على استبصار الجزء الخفي من المعلومة على ضوء الجزء المعلوم منها ، في الوصول إلى اليقين بعالم الغيب من خلال آيات الله في عالم الشهادة ، هذه الآيات ، ليست سوى هذا العلم الدنيوي المعجز ، الذي تختلف النظرة العلمانية التي يمثلها د. خالد منتصر والتي لا ترى وراء العلم إلا هذا العالم ، عن النظرة الدينية العميقة وراءه التي لا يمكن أن يفهمها د. خالد منتصر ، والتي هي وظيفة القرآن .

ثالثا : د. خالد منتصر لا يفهم ولا يمكنه أن يفهم إعجاز كتاب سماوي ، منسوب إلى الله ، موجه إلى الناس في كل زمان ومكان ، يعتمد في الوصول إليهم ، على علمهم وثقافتهم ومعارفهم لهذا الكون التي تختلف اختلافا بينا بين إنسان وآخر ، فكيف يمكنه الوصول إلى الجميع ؟ ، هل من سمات مثل هذا الكتاب أن يوحد لغة الخطاب إلى كل المخاطبين ؟ ، أم أنه من دلائل إعجازه أنه يخاطب كل إنسان حسب علمه وثقافته ؟

.

الكثير من الآيات التي تتحدث عن عجائب خلق الله يمكن لكل إنسان أن يفهمها حسب ثقافته ، مثل وصف الله للرحم بالقرار المكين ، أو الحديث عن توسع السماوات والأرض

ثم إني كما أوضحت سابقا أن الغرض الرئيسي من وجود آيات ذات طابع علمي ليس في الدقة القرآنية التي تأتي في السياق ، ولكن في استخدام هذا العلم الدنيوي للوصول إلى الله

، وأن هذه الدقة مجرد فائدة إضافية يدركها من أدركها ، وتفوت من تفوت ، لأنه لا يزعم أحد أن الجميع يفهمون القرآن ويأخذون منه بنفس القدر ، ولكن بما تسمح به إمكانيات كل إنسان .

مثلا ذكرت قبلا ، كيف أن العرب القدامى كانوا يتعاملون مع مفهوم النطفة والعلقة ، من خلال فهم لغوي بحت وكيف أنه في ظل ما استجد من تيسيرات علمية أصبحنا ، بل أصبح من الواجب علينا ، أن ندرك التطابق اللغوي العلمي لهذه الكلمات ، وأنه في كلا الحالين الغرض الديني وراء المعلومة هو المطلوب .ولكن أعطى هذا التطابق فائدة إضافية لمن أدركوه .

رابعا : الآيات التي تتحدث عن العلم الديني ، العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات ، هي آيات عبادة لابد أن تفهم وتدرك من الجميع ، إذا لم أعرف معنى قل هو الله احد ، تشوه إيماني ، إذا لم أعرف ضرورة الصلاة والصيام ، أو المواريث حينما احتاج إليها ، أو كافة المعاملات أو العبادات ،كان لهذا أثر مباشر على ديني وعبادتي التي هي الهدف من وجودي ، هذه ثوابت ، لو لم أدركها كلها ، كان على الأقل أن أتجه إلى من هم من أهل الذكر الدارسين الذين يمدون من احتاج إليهم ولكن :

الأمر يختلف بالنسبة للآيات التي تتحدث عن الكون وإبداع الله فيه ، هذه الآيات هي طريق يسلكه المؤمن للوصول إلى الله ، طريق إلى الإيمان بالدين وليست هي الدين نفسه ، وعلى ذلك فهي متنوعة ، ومختلفة لتناسب كل عصر وثقافة بل وإنسان ، يسلك كل إنسان فيها الطريق الذي يناسبه ، إذا لم يعلم إنسان معنى آية ، في ظلمات ثلاث ، أو وأوحى ربك إلى النحل فلن ينقص إيمانه ، لديه من الآيات الأخرى ما يكفي الغرض ويزيد ، في عصر نزول القرآن مثلا كان العرب على دراية وتذوق شديد للغة القرآن التي هي حقا لسان عربي مبين ولكن ليس كلام الله ككلامهم ، ومن هنا وصل بعضهم إلى الله ، نحن الآن في عصر العلم ، الله يحدث أصحاب هذا العصر بهذه اللغة التي هم على دراية أكثر بها ، فهم ليسوا على نفس درجة التذوق اللغوي لآيات القرآن الكريم مثل العرب القدماء ، والعرب الذين أنزل القرآن في عصرهم كان لديهم توجيه يعرفونه جيدا ، وهو ترك ما لا يفهمونه أو الاجتهاد في فهمه اجتهادا مشروعا من أخطأ فيه فله أجر ومن أصاب فله أجران ، المسألة إذا ليست تلغيزا ولا تشفيرا ، ولكن كتاب يأخذ كل إنسان منه ما يكفيه ، وما يمكنه ويترك ما لا يمكنه لأنه موجه إلى غيره .

خامسا : ما هو مفهوم العلم نفسه ؟ هو كل معارفنا ، وثقافتنا ،وعلمنا بهذا الكون الذي نعيش فيه ، هذا العلم لا احصل عليه ابتداء من خلال المعمل والميكروسكوب والأدوات العلمية والمنهج العلمي ، ولكن الله يمدنا بما لا يحصى من المعارف منه في صورة قاعدة ضخمة منها من خلال حواسنا المجردة وفي مقدمتها السمع والبصر ، أنا لا أبحث عن البلاستيدة الخضراء التي لا أصل إليها إلا من خلال الميكروسكوب إلا في ورقة خضراء في شجرة أدركتها حواسي أولا .

لا يتساءل العلماء عن تركيب هذه الذرة التي هي أبعد ما تكون عن قدرات العين البشرية إلا كتفصيله لهذا العالم الذي لم أدركه إلا من خلال هذه العين

والله سبحانه وتعالى كما يسر لنا الوصول إليه عن طريق الاحتكاك المباشر لحواسنا المجردة لآياته المعجزة التي لا حصر لها ، يسرها أيضا من خلال إضافات وعمق لهذه الحواس هدى الله من خلالها عباده ، ليصلوا إلى ما هو مفرد في الدقة والصغر من هذه الآيات ، وما هو سحيق في البعد ، وما هو بعيد عن قدرات العين البشرية لاختراق الحواجز المحيطة به ،أو للرؤية في الظلام ، وكل إنسان حسب ما هو متاح له وعلى ذلك فعندما يقول الله في هذه الآية الكريمة : "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ " الغاشية: ١٧

نرى أنه

: أولا النظرة التي يدعونا الله لننظر بها إلى الإبل تختلف عن النظرة التي يتناولها كتاب علمي متخصص في الإبل ، فبينما يتناول هذا الكتاب المعلومة بطريقة علمية مجردة ، بحتة ، العلم من اجل العلم وتطبيقاته الدنيوية ، القرآن هنا يقول كيف خلقت ، فهو يدعونا لنرى الخالق وراء خلقه ، ولا يتم هذا إلا من خلال هذا العقل الإنساني المتميز ، القادر على استشراف ما وراء المعلومة الظاهرة .

ثانيا: هذه الدعوة للنظر والتدبر موجهه إلى كل من البدوي الذي يقطع الصحراء على ظهر ناقته ، وإلى عالم البيولوجي المتخصص في الإبل ، في هذا الخلق العظيم المعجز مما يمكن إدراكه بالحواس المباشرة ما يكفي لإقناع هذا الإعرابي ، بهذا الخالق العظيم العليم القادر المبدع ، فقط يستخدم عقله كما يجب ، ينظر بعمق إلى ما وراء هذا الخلق ليرى الخالق ، وعندما يستخدم هذا العالم المتخصص ميكروسكوبه ليرى كيف يتوافق شكل كرات الدم الحمراء مع طبيعة حياة هذا الخلق الذي اقتضت قدرة كبيرة على إدخال كمية من الماء إلى دورته الدموية عندما يشرب قبل هذه الرحلة الطويلة التي سيحرم من الماء خلالها فلا يؤدي ذلك إلى انفجار كرات الدم كما قد يحدث لغيره من المخلوقات ، أو كيف تهيأت كليته لإخراج الأملاح في صورة أكبر تركيزا بكثير من قدرة الكلى البشرية توفيرا واقتصادا في الماء الذي لا يجب أن يفقد ، وغير ذلك ، ألا ينطبق على كل هذا قول الله " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، حيث النظرة يمكن أن تكون بالحواس المجردة أو بالأدوات التي يسرها الله لتزيد من قدرة وسعة هذه الحواس .

هذا العالم لن يصل إلى ما وصل إليه هذا الإعرابي إلا إذا استخدم عقله مثله ، عرف كيف يستخدم قدرات هذا العقل ليرى الخالق خلف هذا الخلق المعجز .

ولكن إذا كان كل ما يفعله هذا العالم المتخصص هو فقط الدراسة والبحث من اجل العلم فقط ، فقد عطل هذه القدرات العقلية في مجال الوصول إلى الله عن قناعة وبصيرة ويقين وهذا ما يفعله العلمانيون من أمثال د. خالد منتصر ، الذين يفصلون تماما بين العلم والدين ، فلا يمكن لهم أن يروا رسالة للعلم غير ما يقدمه لنا في هذه الدنيا ، في مثل هذه

الموضوعات لن تجد هؤلاء يتحدثون إلا عما وصلت إليه العلوم الغربية ، في مجال الهندسة الوراثية أو الاستنساخ ، أو أي تقنية علمية ، وبعدها يبدؤون في المقارنة بين تخلفنا وتقدمهم ، فمازلنا نتعامل مع الإبل هذا التعامل البدائي ، بينما الغرب يفعل كذا وكذا ، وهذا هو في الحقيقة موضوع كتابه كله ،

هو لا يفهم ولا يريد أن يفهم أن الموضوع ديني خالص ، موضوع يوجه إليه كتاب سماوي ، علمانيته تفرض عليه ألا يرى وراء العلم إلا هذا العالم والدين بالطبع لا يمنع بل يحث على التعامل مع كل خلق الله أفضل تعامل ، أفضل استغلال لما أودعه الله في هذا الخلق ، وما يسره لعباده أن يصلوا إليه ، ولكن لا يكون هذا هو كل همهم ومبلغ علمهم

النظرة الدينية هي النظرة العميقة الشاملة التي لا يتعارض فيها خير الدنيا مع خير الآخرة ، هي التي تصل إلى الحقيقة التي ميز الله الإنسان وأفرده بقدرته إلى الوصول إليها ، هي الاستخدام الأمثل للسمع والبصر بالعمق العقلي وراءه في مجال الدنيا والدين ، أما العلمانية فهي النظرة القصيرة المحدودة التي لا ترى إلا هذا العالم ولا تقيم البشر فيه إلا على أساس حالهم فيه ، هي نظرة لا تصلح لإنسان يؤمن بعالم شهادة ، وعالم غيبي بعد الموت ، ولكن عالم واحد ينتهي بعده كل شيء ومع انقضاء آخر نفس للإنسان .

واستمر في عرض تعليقات د. خالد العبقرية

وأدق اللغات في العالم هي لغة العلم التي تتحول أحيانا من فرط دقتها وتجريدها ، إلى رموز ومعادلات ، ولا ينفع معها ما يدعيه الإعجازيون من أنهم يستخدمون التأويل أو المجاز ، في إثبات الإعجاز العلمي وهذا خلط كبير ويفتح أبواب البلبلة أمام المسلمين لأننا من الممكن أن نقوم بتأويل أبيات شعرية مثلا على أنها إعجاز علمي نتيجة هذا الخلط بين وظيفة اللغة في الأدب والمسموح فيه بالمجاز والتأويل وبينها في العلم وهو المحدد الواضح الذي لا يحتمل استعارة أو كناية أو تأويلا فحيث ينبغي استعمال لغة محددة لا أستطيع أن أقول أنني كنت اقصد كذا تأويلا فمثلا عندما أصدر ، لشخص أن يقفز من النافذة وتنكسر رقبته وأدفعه حينها لا أستطيع أن أدعي أمام البوليس أنني كنت أقصد أن يقفز من نافذة قلبي ووجداني **!!!** وسأقوم بتجربة سريعة من الممكن أن تجربها عزيزي القارئ في أشعار وكتابات أدبية أخرى لتعرف قدرة التأويل عند الإعجاز يين ولتصبح من سماسرة الإعجاز العلمي في الشعر ولكنك للأسف لن تصبح ملياردير ا مثل حزب الإعجاز الزغلولي ، لأن الشعراء فقراء والأخطر أنهم مدانون في كتب الفقه ، فمثلا يصف شاعرنا العظيم المتنبي الحمى في البيت الشهير الذي يقول :

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام

وبعد قراءة هذا البيت من الممكن تدبيج واختراع عدة أبحاث في جامعات بوركينا فاسو وجزر القمر والإسكيمو ، تتحدث عن أن أغلب أنواع الحمى تتصاعد حدتها في الليل ، وبهذا نثبت أن المتنبي لم يكن كاذبا حين ادعى النبوة

بعد كل ما قلت أعتقد أني لست في أي حاجة لتعليق على مثل هذا الكلام !

ويعرض د. خالد منتصر آية تصور تلاعب الإعجازيين في اللغة لتفسيرها على هواهم :

" فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ " الأنعام: ١٢٥

ويعلق : الإعجاز الآية أخبرتنا بالحقيقة العلمية أنه كلما ارتفع الإنسان في السماء انخفض الضغط الجوي ، وقل الأكسجين وصعب التنفس ،

المعنى الحقيقي في قاموس العرب : يصعد في " كذا " بتشديد الصاد تعني محاولة على مشقة ، في عمل مستحيل فالمراد من الآية هنا هو تشبيه ضيق صدر الكافر ، بضيق الشخص الذي يحاول الصعود إلى السماء ، فلا يستطيع لأنها عملية مستحيلة ، ولا علاقة لها بما يقوله الإعجازيون أنه صعد إلى السماء فعلا

د. خالد لا يعرف سوى هذا القاموس المجهول المسمى بقاموس العرب ، والمفروض طالما أن الإنسان يريد أن يصل إلى حقيقة معنى كلمة أو بمعنى أصح يفند ادعاءات الآخرين فيما تعنيه هذه الكلمة أن يبحث في مصادر مختلفة ، حتى يقدم الدليل الدامغ على أنهم يختلقون المعني ويتوهمون ما لا أصل له ، أما أن يبحث في مصدر واحد ويعتبره المرجع الوحيد ويتهم الآخرين بالغش والتدليس فهذا دليل على عدم الموضوعية والتجرد .

عموما هذه نتيجة البحث عن معنى كلمة يصعد بتشديد الصاد في كل من لسان العرب وهو القاموس الأشهر ، المعجم الوسيط :

لسان العرب :

قال الأَزهري: والاصِّعَّادُ عندي مثل الصُّعُود. قال الله تعالى: كأَنما يَصَّعِّد في السماء. يقال: صَعِدَ واصَّعَّدَ واصَّاعَدَ بمعنى واحد.

(المعجم الوسيط) ..

(تصعد) يتصعد ويصعد تصاعد وفي الشيء مضى فيه على مشقة وفي التنزيل العزيز) كأنما يصعد في السماء

لسان العرب يقول الإصعاد مثل الصعود ، والمعجم الوسيط يقول : مضى فيه على مشقة ، هذا هو المعنى اللغوي للكلمة وإذا كان بعض المفسرين قد ارتأى في التفسير أن المعنى هو تكلف صعود السماء وهو عمل مستحيل فهذا لأن هذا هو التفسير الأقرب لحال العرب وقتها ، فلم يكن احد يعلم أن هذا الأمر يمكن حدوثه ،كما أن معلومة صعوبة التنفس كلما ارتفع الإنسان في السماء لم تكن معلومة ، والغرض من المثال هو بيان صعوبة ومشقة الإيمان على الشخص الذي لا يريد الهداية ، وهذا المعنى يتحقق تماما في التفسير الذي يعترض عليه حضرة الطبيب ، والأمر قابل للاجتهاد ، وموضوع تشكيل اللغة حسب الرغبة وعلى خلاف ما تعارف عليه العرب تكذبه القواميس التي ذكرتها ، ثم أليس غريبا أن تجتمع ألفاظ الصعود والسماء وحرج الصدر ، ألفاظ تتطابق مع الحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة الآن تماما ،ثم يقال إن هذا تأويل يضر باللغة ، السبب الوحيد المنطقي من وجهة نظري لرفض هذا التطابق اللفظي مع الحقيقة العلمية هو أن يكون صاحب الكلام بشر ينتمي إلى عصر تكون فيه مثل هذه الحقيقة غيب محض ، هنا فقط يحق لنا أن نقول إن مثل هذا التطابق مجرد تصادف ، وإذا تصادف في حالة فقطعا سيأتي في كل حالة أخرى مخالفا مخالفة صريحة لكل ما أصبح الآن معلوما كحقائق ، أما أن يكون الكلام في كتاب الله خالق السماوات والأرض ومجري سننها وقوانينها والعليم بأدق دقائقها فلماذا كل هذا التعنت ، والتعسف في الإنكار ؟

يا حضرة الطبيب التفسير الذي تعترض عليه يلقى قبولا أيضا ممن لا علاقة لهم بالإعجاز وقضاياه فهذا الشيخ ابن عثيمين، حيث فسرها بقوله: "يعني: كأنه حين يعرض عليه الإسلام يتكلف الصعود إلى السماء، ولهذا جاءت الآية: {يَصَّعَّدُ}، بالتشديد، ولم يقل: يصعد، كأنه يتكلف الصعود بمشقة شديدة، وهذا الذي يتكلف الصعود لا شك أنه يتعب ويسأم.

ولنفرض أن هذا رجل طلب منه أن يصعد جبلا رفيعًا صعبًا، فإذا قام يصعد هذا الجبل، سوف يتكلف، وسوف يضيق نفسه ويرتفع وينتهب، لأنه يجد من هذا ضيقًا".

إلا أنه قال بعد ذلك: "وعلى ما وصل إليه المتأخرون الآن، يقولون: إن الذي يصعد في السماء كلما ارتفع وازداد ارتفاعه، كثر عليه الضغط، وصار أشد حرجًا وضيقًا، وسواء كان المعنى الأول أو المعنى الثاني، فإن هذا الرجل الذي يعرض عليه الإسلام وقد أراد الله أن يضله يجد الحرج والضيق كأنما يصعد في السماء".

الشيخ ابن عثيمين لا يرى فيه تشكيلا للغة حسب الطلب ، ولا يشعر بكل هذا الامتهان الذي تعاني منه لغتنا العربية على يد هؤلاء السماسرة الإعجازيين مثلما يفعل طبيبنا الخبير باللغة العربية الغيور على لغة الأجداد !

مثال آخر :

هنا يتحدث الدكتور منتصرفي كتابه عما يقوله الإعجازيون كما يسميهم في تفسير هذه الآية :

" والأرض بعد ذلك دحاها "

"الإعجاز : أثبت القرآن من 1400 سنة أن الأرض ليست كروية فحسب بل إنها بيضاوية كبيضة النعامة أو الأدحية ، المعنى الحقيقي في قاموس العرب : دحا الأرض أي بسطها ومدها ، أما الأدحية التي يزعم سماسرة الإعجاز أنها أشارت لأحدث البحوث الفلكية التي أثبتت الشكل البيضاوي للأرض فهي لا تعني بيضة النعامة ولكنها تعني مبيض النعامة أي المكان الذي تبيض فيه وسمي كذلك لأن النعامة تدحوه برجلها أي تبسطه ، أي تبسطه وتوسعه فكيف يكون بقدرة قادر دليلا على الشكل البيضاوي ، ولو سلمنا مع الإعجازيين بأنها بمعنى البيضة، فسنوقع أنفسنا في فخ شائك ومطب خطير ، وهو أننا سنجد أنفسنا مطالبين بإثبات أن الشعراء كانوا يملكون في أشعارهم إعجازا علميا ، والخطر انه سيأتي البعض ويطلبون منا أن نعتبر الشعر الجاهلي كتابا سماويا ينافس القرآن حاشا الله ، وإلا فليرد الإعجازيون ويفسروا هذا البيت الشعري ، الذي قاله شاعر عربي قبل عصر النبوة ، وهو زيد بن عمرو بن نفيل ، تقول البيات :

أسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوت على الأرض أرسى عليها الجبالا

وإذا سايرنا الإعجازيين في استنتاجاتهم الوهمية ، علينا وقتها أن نمنح هذا الشاعر لقب نبي ، ونطلق على شعره الشعر المقدس المنزل لأنه يحتوي على إعجاز !!!

د. خالد منتصر يعتقد أننا هكذا قد أصبحنا في مأزق ! ، إما نقر ونعترف بأن الآية أو كلمة دحاها تعني أن الأرض مستوية وهي فكرة مخالفة قطعا لما هو معلوم من كروية الأرض ، أو نزعم أنها مطابقة للمعارف الحديثة ، وفي هذه الحالة علينا أن نقبل بسبب هذا البيت الشعري الذي أورده والذي توفي صاحبه قبل نزول القرآن أن هذا الشاعر أيضا شعره منزل لأنه يحتوي على إعجاز .

هذه الكلمات تصور خلط شديد وسوء فهم وتناول سطحي جاهل لأكثر من فكرة:

أولا سواء أكان معنى دحاها :هو بسطها ومدها ، كالأدحية وهي مبيض النعامة أي مكان وضع البيض الذي تدحوه أي تبسطه وتمده وهو ما اعتقد انه هو المعنى الصحيح للكلمة بدون تحميل المعاني غير ما تحتمل ، أو كان حتى بمعنى جعلها كالبيضة فالأمر لا يختلف علميا ، أي من حيث توافق اللفظ القرآني وعدم تعارضه مع ما هو معروف الآن عن كروية الأرض على عكس ما يعتقد د. خالد منتصر ، القرآن حتى في غير هذه الآية قد أكد على بسط الأرض ومدها :

"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا " البقرة .....(22)

و"هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ..... " الرعد(3)

"وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ " الحجر(19)

"وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"|ق (7)

"وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا " الشمس(6)

ولكن هل تتعارض فكرة بسط الأرض ومدها مع ما هو معلوم كحقيقة بدائية مفروغ منها من كروية الأرض ؟ الحقيقة أن التأكيد على بسط الأرض ومدها في كل هذه الآيات لا يعني وبدون تحميل الأمور ما لا تحتمل سوى التأكيد عل كروية الأرض ، وليس كما فهم د. منتصر على أنها مسطحة ، كيف ؟ لأن مد الأرض والمقصود هنا هذا الكوكب الأرضي بحجمه الهائل ، لأن الله في الآيات يتحدث عن الأرض التي هي مقابل السماء ، وليس على بقعة من الأرض لا يكون تاما ومطلقا إلا إذا كان الشكل كرويا ، لو كانت الأرض مسطحة ما انطبقت عليها كلمة ، دحاها أو طحاها أو مددناها ، لأن الامتداد مهما كان اتساع الأرض سيكون محدودا ، وفي غير الشكل الكروي سيكون هناك أيضا محدودية في الامتداد لوجود حواف حادة .

منذ قرون وقبل أن يدرك العامة موضوع كروية الأرض وعندما بدأت الكشوف الجغرافية ، كان الناس يتهيبون هذه الكشوف ويتوقعون أن ينتهي المطاف بالمستكشفين إلى الوقوع في هوة عميقة لأن الأرض مسطحة وبالتالي محدودة الامتداد ، فما الذي جعلهم يقلعون عن هذه الفكرة ، هو إدراكهم أن الأرض كروية وبالتالي امتدادها لا ينقطع ولا يوجد هوة سحيقة .

فلماذا لم يقل الله بصريح العبارة أن الأرض كروية، لماذا يستخدم هذا التعبير الذي يحتاج لفهم وتعمق ؟

أولا : لأنه ليس الغرض من هذه الآيات إعطاؤنا معلومة علمية عن كروية الأرض ، القرآن كتاب دين وليس كتاب جغرافيا

ثانيا : ثانيا : القرآن لا يستخدم مصطلحات علمية من المتعارف عليها حديثا ولكنه يأتي بأوصاف مطابقة للحال ، فالقرآن لا يستعمل تعبير كروية الأرض وهو الوصف العلمي لشكل الأرض ، ولكنه يستخدم ويؤكد على امتداد الأرض وهو وصف حقيقي لحال الأرض لا يتعارض مع الحقيقة العلمية بل هو مترتب عليها ، لأن المهم هنا هو ما ترتب على هذه الكروية من نعمة هذا الامتداد المطلق الذي يسر للعباد أن يسيروا في الأرض كيفما شاءوا ، لا يعوقهم سوى الحواجز الجغرافية كالجبال والبحار .

الأعرابي البسيط يقرأ هذه الكلمات القرآنية الدقيقة ، لا يراها متعارضة مع ما يراه من امتداد الأرض اللانهائي أمامه ،ويرى فضل الله في هذا ، ذلك الفضل الذي يلفت الله سبحانه وتعالى نظره إليه ليعمق صلته به ، ولا يهمه أن يفكر أكثر من ذلك ، الإنسان الذي لديه مزيد من العلم وعنده خلفية علمية يعلم من خلالها أن الأرض كروية عندما يفكر

ويتدبر يجد أن السبب وراء هذا الامتداد الذي يلفت الله نظره إليه هو كروية الأرض التي يعلمها كحقيقة مؤكدة ويرى أن التعبيرات القرآنية لا تتعارض أبدا مع الحقيقة العلمية التي يعرفها جيدا ،

الله يأتي بهذه الآيات من قبيل التذكير بنعمة الله على البشر وعلمه وقدرته ، وطبعا ما سأتوقعه هنا من طريقة تفكير د. خالد هو أن هذه الكروية لا تخص الأرض التي نعيش عليها وحدها ولكنها تخص جميع الأجرام السماوية من كواكب ونجوم لا يسكنها أحد، وهذا حقيقي ، الكون كله صممه الله سبحانه وتعالى وفق قوانين وضعها انطبقت على كل أجرامه ، وكان يمكن أن يضع لها قوانين أخرى كما شاء ، ويجعلها في أي شكل أراد ، وانطبق على الأرض ما انطبق على غيرها من قوانينه سبحانه وتعالى وخصها وميزها بميزات فريدة جعلتها وحدها أهلا لاستضافة كل هذه الأشكال التي لا تحصى من الحياة ، وعلى رأسها الإنسان الذي فضله الله على غيره من خلقه تفضيلا

نأتي هنا إلى المشكلة الأخرى، وهي هذه الأبيات الشعرية التي تذكر تحديدا كلمة "دحاها " وبالنسبة لدكتور خالد طالما أن هذه الأبيات قد قيلت قبل نزول الآية ، وإذا كانت الآية تحتوي إعجازا فلابد أن نسلم بوجود الإعجاز فيها أيضا ، بل إن هذا الإعجاز قد سبق الإعجاز القرآني

الحقيقة أن د. خالد منتصر يكرر هنا ما يقال في أو ربما يأخذ عن المواقع الغير إسلامية واللادينية والعلمانية والإلحادية هذه الفكرة البالغة السذاجة والضحالة أن القرآن يأخذ بعض أفكاره أو كلمات آياته من أشعار العرب قبله ، هذه الأبيات التي ذكرها هي بعض ما يتم تناوله في هذه المواقع ، والتي أعتقد أن احتيال د. خالد منتصر لعرضها هنا وإن كان ظاهر قوله الاعتراض على معنى كلمة دحاها كما يقول الإعجازيين إلا أنه لتأكيد هذه الفكرة .

والرد هنا يشمل الرد على الجميع عامة ، وعلى هذه الأبيات خاصة :

كل هذه الأبيات الشعرية المنسوبة إلى شعراء جاهليين كانوا قبل الإسلام هي أبيات مقطوعة السند لا يوجد دليل واحد على صحة نسبتها لمن تنسب إليهم، ولا يمكن التعامل معها كدليل على أي شيء .

فالمعروف عند المتخصصين في الشعر أنه يوجد ما يسمى بالانتحال ، أو النحل ، وهو أن تكون كلمات القصيدة قد ألفت في وقت متأخر ثم تنسب إلى احد شعراء الجاهلية ، أو السابقين على الإسلام والسبب غالبا هو العصبية القبلية ، للتباهي بأشعار القدماء ، أو أن الرواة كالعادة في أي شيء يروى قد أضافوا أو افتروا ما لم يكن موجودا من هذه الأشعار ، وهذه الظاهرة لا تقتصر على الشعر العربي ولكن توجد في حضارات أخرى كالحضارة اليونانية .

هذا الكلام تناوله وتحدث عنه المستشرقون مثل ما رجليوث ، العرب مثل طه حسين في كتابه : " في الأدب الجاهلي " :

ـ يقول مرجليوث: ان ما في هذا الشعر الجاهلي لا يمثل الجاهليين الوثنيين ولا من تنصروا منهم، فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الآلهة المتعددة، انما يعرفون التوحيد والقصص القرآني وما فيه من كلمات دينية اسلامية مثل الحياة الدنيا، ويوم القيامة، والحساب، وبعض صفات الله.

2ـ كما أن اللغة ذات وحدة ظاهرة وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها في العرب، ويقول: ولو أن هذا الشعر كان صحيحاً لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية، كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة أما موضوع القصائد فقد استنتج منه أن اتفاق القصائد الجاهلية في التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرر في كل قصيدة، أمر يدل على أنها نظمت بعد نزول القرآن لا قبله.

أما طه حسين فعبر عن رأيه بقوله : أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين وأكاد لا أشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي).

كالعادة المعلومة عند د. خالد ناقصة وساذجة ويبني عليها أمورا عميقة، تماما مثل موضوع نسبة خلق الإنسان من طين إلى أساطير الأولين، فتكون النتيجة حجج وبراهين أوهي من بيت العنكبوت وليس خيط العنكبوت.

أما بالنسبة لهذه الأبيات المنسوبة لزيد بن عمرو تحديدا فالمتأمل لها لا يجد كبير عناء في إدراك:

كلمة أسلمت وجهي، كلمة مستحدثة بعد الإسلام تماما، لأن تعبير الإسلام لم يكن معروفا، ولكن كان دين إبراهيم يعرف بالحنفية، وقد نسب إلى زيد بن عمرو قوله: لم يبق على الحنفية أحدا غيري.

هذه الأبيات وردت في سيرة ابن هشام وهو كتاب مشهور عنه انه مليء بالأشعار المكذوبة

الحقيقة أن ما استوقفني في الأبيات التي أوردها د. خالد في كتابه هو عبارة: فلما استوت على الأرض، فما هي التي استوت على الأرض ؟ عما يتحدث ؟ عن الأرض، فماذا نفهم من أن الأرض استوت على الأرض ، هل هذا كلام عقلاء ؟ وبالرجوع للكتاب المذكور وجدت أن أصل الكلام : استوت على الماء وليس على الأرض ، وطبعا الأرض لم تستو على الماء ، ولم يقل القرآن هذا أبدا ، بل على العكس قال : أخرج منها ماءها ومرعاها ن بمعنى أن كل ماء الأرض جاء من داخلها ، وهو ما يتفق مع بعض النظريات العلمية

ولكن استواء الأرض على الماء كانت فكرة خاطئة عند العرب حتى بعد القرآن حيث أشار إليها بعض المفسرين من قبيل استكمال المعلومة القرآنية ، ويبدو أن الموقع الذي نقل عنه د. خالد قد أدرك هذا الخطأ الذي يتعارض مع الفكرة التي يروج لها فاستخدم كلمة الأرض بدلا من الماء ، ونسى أن الكلام في الأصل عن الأرض !

الفصل الحادي عشر

فوبيا العلم أم فوبيا الدين :

صور الدكتور خالد في كتابه فوبيا العلم ما تعانيه الشعوب العربية من أصناف من الجهل والأفكار العتيقة والخزعبلات المتداولة ، وكيف يقع هؤلاء فرائس للدجالين والمشعوذين والنصابين والمحتالين من كل صنف ولون ،الكلام في معظمه حقيقي وواقع لا يمكن لأحد إنكاره ، أما الذي أختلف معه فيه فهو هذا التشخيص لهذه الحالة والذي أسماه بفوبيا العلم ، العنوان الذي اختاره لكتابه .

وكلمة فوبيا كما هو معلوم تعني الخوف المرضي ، الذي يؤثر على صاحبه ويعوق سير حياته ، لا أتفق مع مؤلف الكتاب أن السبب وراء هذا التخلف والجهل هو الخوف المرضي من العلم ، لماذا ننفق هذه الأموال على أعمال الشعوذة والدجل ؟، لماذا يقع الناس ضحايا لهذا الذي يزعم أنه توصل إلى استخلاص قطرة تعالج المياه البيضاء في العين ، من العرق استنتاجا من واقعة شفاء عين سيدنا يعقوب عليه السلام بعدما القوا عليها قميص ابنه نبي الله يوسف عليه السلام ، أسوأ استغلال ممكن لآيات القرآن الكريم ولسذاجة الناس.

لا أقتنع إطلاقا أن السبب وراء هذا هو فوبيا العلم ، ولكن التعايش ،والانسجام ، والتآلف ، والعشرة الطويلة مع الجهل ، الالتصاق بالجهل لا أظن أنه راجع إلى خوف واعي أو غير واعي من العلم والاستنارة ، وهذه هي آفة الجهل وآفة المعلومة الناقصة وآفة الفكرة السطحية ، المعلومة الخاطئة أو الناقصة في الطب هي التي تسبب الكوارث ،الجهل هو وجود المعلومة بصورة خاطئة ، الأمية هي غياب المعلومة ، الأمي ليس لدية ما يتمسك به ولكن يكون تربة صالحة لزرع أي شيء فيه خزعبلات أو أفكار صحيحة ، ولما كان الصنف الأول هو الأكثر توفرا فالأمية سرعان ما تتحول إلى جهل .

صعب جدا أن تقتلع فكرة معششة في ثنايا مخ صاحبها تدور في جسمه مع دمائه ، المتعلم المستنير يمكن أن يغير فكره أو رأيه إذا ما بدا له خطؤه أو ما هو أصوب منه ، المعلومة ليست بهذا الالتصاق ، لأن صاحبها يبحث عن الصواب ، أما الجاهل فلا يرى أي صواب إلا فيما يعتنق ، عابد الأصنام الذي درج على هذه العبادة من الصعب جدا أن تحوله عنها ، عابد البقر قد يكون عالما بيولوجيا يدرك جيدا أن هناك من الكائنات ما يفوق معبوده بكثير فضلا عن أنه هو ذاته لا يمكن مقارنته بما يعبد ، عابد الشمس ربما يدرك أنها ليست أكثر من نجم من بلايين النجوم بعضها اكبر منها بكثير ، كانت حجة الكفار دائما عدم استعدادهم لترك ما وجدوا عليه آباءهم ، هذه هي المشكلة.

وعندما ترتبط هذه الجهالات بجهالات أخرى لها طابع ديني تكون الطامة الكبري ، وعلى الرغم من أن الخزعبلات والترهات هي سمة تفكير الطبقات الدنيا من المجتمع إلا أن الأمر لا يقتصر عليهم ، الغريب أن هذه الأفكار تزحف علي الطبقات الراقية المتعلمة ، الإحصاءات تقول أننا ننفق مليارات الجنيهات على أعمال الدجل والشعوذة ، وهذه مأساة بكل المقاييس . ،

هذا هو فهمي للمشكلة ، الجاهل لا يعترف أصلا بوجود العلم ، ليس خوفا منه ولا تحسبا ولكن حبا في الجهل واعتقاد راسخ في بركته ، لا اعتقد أن في العلم والاستنارة ما يخشى

منه ، الموضوع أن هذه الخزعبلات والأوهام هي علم بالنسبة لصاحبها المشكلة إذا في استبدال العلم الحقيقي بهذا الجهل هي في الالتصاق بالجهل ، فض هذا الاشتباك هو الخطوة الصعبة ، وبعدها يكون على استعداد لتقبل المعلومة الصحيحة ، أما الشخص المدلس الذي يتاجر بهذا الجهل ويستغله فهو إذا كان يخشى العلم فهي خشية كل مخادع يبيع الوهم ، لكل ما يؤدي إلى كساد بضاعته ، خوف لا ينطبق عليه وصف فوبيا ، وعلى ذلك لا أرى وراء كل هذا الجهل والتخلف شيء يمكن أن نسميه بفوبيا العلم .

أما الدين فشيء آخر ، الإيمان بوجود إله ينسب إليه كل دقيقة في هذا الكون ، والإيمان بوجود حياة أخرى يحاسب فيها الإنسان على كل ما قدمت يداه خيرا كان أو شرا ، يترتب عليه تغيير شامل وعميق في أسلوب حياة الإنسان ، استشعار المسئولية الثقيلة أمام الله تتحكم في كل تصرفات الإنسان وتقيدها .

الإنسان الذي يؤمن بحياة أبدية بعد الموت يعيش حياته أسير الخوف من هذا المصير الأبدي المجهول الذي قد يكون نعيم مقيم أو عذاب أليم ، كل هذه أسباب تجعلنا نتفهم لجوء البعض إلى إنكار كل هذا ، والقرآن عبر عن هذا في قول الله تعالى : " بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة .

الإنسان الذي يريد أن يعصر اللحظة لاستخراج كل ما يمكن من متعة فيها ، لا يريد أن يعكر عليه صفوه دين يقيد متعته فيحلل هذا ويحرم هذا ، أو يشعر بأن متعته الحالية سيدفع فاتورتها الغالية بعد موته ، مثل هذا الإنسان الذي تكون الدنيا فقط هي كل همه ومبلغ علمه ، لا يحب تذكيره أبدا بالموت ، ولا يتحمل توجيه مثل هذا السؤال إليه ، ماذا لو مت واكتشفت بعد ها أن الدنيا التي عشتها لم تكن هي كل شيء ولم تكن نهاية المطاف ، وأن هناك فعلا ثواب وعقاب وعندها لن تكون أمامك فرصة أخرى وستكون خسارتك هي الخسران المبين الذي لا يقارن بأي ضرر دنيوي مهما كان قدره وعمقه ، السؤال منطقي ويتطلب اهتماما لا نظير له في اتخاذ قرار الإيمان أو الكفر ، ولكن الرد دائما يكون استهزاء وسخرية واستخفاف بعقلية المؤمنين ، كما سجل القرآن :

"إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30 وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ " المطففين: ٢٩ – ٣١

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ " البقرة: ١٣

والمتابع للمواقع اللادينية يلفت نظره هذه اللهجة المغرقة في الاستهزاء والسخرية ، مع أنهم ليسوا في حاجة أن يفعلوا ، إذا كانوا على قناعة حقيقية بما يعتنقون ، فما شأنهم بالآخرين ؟ محاولة نفسية لإعطاء أفكارهم الموقف الأقوى ، فكل هؤلاء المؤمنين واهمون ، مقلدون ، محدودوا التفكير والذكاء ، أما هم فهم الأعلم والأكثر إدراكا للحقيقة.

لماذا يعمد المروجون لفكرة التطور الداروينية التي تفسر وجود هذا الكون ونشأة الحياة فيه تفسيرا يلغي فكرة وجود الإله الخالق كما سأوضح في حديث لاحق إلى كل هذه التلفيقات ، واصطناع الأدلة على التطور التي خدع بها العلماء لعقود ، لماذا يصرون على إقحام فكرة التطور إقحاما على مشاهدي الأفلام الوثائقية ، لماذا يضطهدون و يطردون من ينكرون التطورمن وظائفهم .

ما الذي يدعو لكل هذا ، لماذا هذا التعصب الدارويني ، ولماذا المبالغة في السخرية والاستهزاء والاستخفاف من كل من يعتنق فكرا إيمانيا ، ولماذا قبل كل شيء رفض التعامل مع القضية بموضوعية؟

لا أستطيع أن أتجاهل أن وراء هذا خوف من الدين ، ومن فكرة الإيمان ، ربما البعض من هؤلاء لديه ميول مادية بحتة بسبب طريقة تفكيره أو نشأته ، أكيد الكثير من هؤلاء الملحدين والزنادقة على حد تعبير طبيبنا على قناعة بما يعتنقون ، وهي قناعة لا يمكن أن تكون مبنية على فكر عميق على الأقل هذا ما أعتقده بصفتي مؤمنة إيمانا مستبصرا عن قناعة تعتمد على ما لا يحصى من الأدلة التي نراها في كل مكان وفي كل لحظة .

ولكن الكثير أيضا من هؤلاء يعانون من خوف مرضي ومن فوبيا الدين أو الإيمان ، الكثير أيضا لا يريد أن يقيد نفسه بأوامر أو نواهي في دنيا يريد التمتع فيها بكل لحظة ، ولا يريد أن يعكر صفو متعته فكرة حياة أبدية بعد الموت فيها ثواب وعقاب ، عذاب ونعيم ، دافع قوي يجعلنا نتفهم وجود مثل هذه الفوبيا ، هذه الفوبيا هي التي يخشى منها على العلم وليس ما دعاه د. خالد بفوبيا العلم والذي لا أر فيه أي نوع من الفوبيا ولكن ضلالات لا تضر إلا صاحبها غالبا ولا يمكن أن تؤثر على العلم نفسه ، لأن مثل هؤلاء الناس لا شأن لهم بالعلم ولا تأثير لهم عليه ، أما المشكلة الحقيقية ، فهي تلك الفوبيا التي تجعل نظرية مثل هذه لا يمكن أن تصمد للعلم الحديث ولو للحظة والتي كان من المفروض أن تدفن قبل أن تولد ومع ذلك نجد الكل يتعاونون عل إدخالها غرف الإنعاش غرفة بعد أخرى ويحاولون بعث الأنفاس فيها، لأنهم مع الأسف هم العلماء الذين يتباهون أحيانا بأن عدد الاكتشافات التي تنتمي إلى ملحديهم تفوق التي تنتمي إلى مؤمنيهم ، فهل هناك خطر على العلم مثل هذا ؟

طالما أن العلم الدنيوي والعلم الديني ينتميان لنفس المصدر وكلاهما هداية الله لعباده ، أحدهما عن طريق الوحي ، والآخر عن طريق تيسير الأسباب المادية ، وطالما أن كليهما يعتمد على العقل عندما يكون متجردا ، منحة الله العظيمة ، وطالما أن الوصول إلى أحدهما هو الطريق للوصول للآخر ، في ظل هذه الظروف النموذجية يكون العلم في أحسن حالاته ، لا يخشى على العلم إلا عندما نفصله عن مصدره الحقيقي عن موجده ومنشئه ومبدع سننه ، الذي خلق هذا الكون فسواه وقدر فيه عوامل تقدمه وترقيه وهدى عباده إليها ثم ننسبها إلى الأوهام والتزييفات والأكاذيب ، عندما يتعهد الله في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بأنه سيريهم آياته في الآفاق

وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، ما الذي سيرونه في الآفاق وفي أنفسهم ، أليس هو علوم الدنيا في عالم الشهادة ؟ الله يصفها بأنها آياته ، وأنه هكذا يتبين انه الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟" فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ" يونس: ٣٢

الفصل الثاني عشر

العلم والإيمان أم العلم والدروشة ؟

يقول د. خالد منتصر في كتابه " وهم الإعجاز العلمي " :

" يعد برنامج العلم والإيمان من أهم البرامج التي تحظى بنسبة مشاهدة عالية نظرا لجودة الأفلام المعروضة و أيضا للجاذبية التي يتمتع بها د. مصطفى محمود والذي يعلق عليها ،ولكن للأسف بدأ البرنامج في حلقاته الأخيرة قبل التوقف ، يعاني من شيزوفرينيا خطيرة ،

فالفيلم شيء والتعليق شيء آخر تماما ، فالفيلم يقظة علمية والتعليق غيبوبة درويشية ، ما إن ينتهي عرض الفيلم حتى ينهال الدكتور مصطفى محمود ذما وتقريعا في الغرب (الذي هو للعلم صانع هذا الفيلم) ، وهجوما على منهج هذا الغرب المادي ، المليء بالشذوذ ، والمتحفز لكل ما هو إسلامي ، إذا تكلم عن مرض فهو يتكلم بشماتة عن أن هذا العلم لم يصل إلى دواء ناجح لهذا الداء ، ويقارن بين قدرة الإنسان العلمية وقدرة الله العلوية ، وإذا تحدث عن اختراع يعلق بأن هذا الاختراع يروح فين وسط الهبات الربانية ، مقارنة غريبة والأغرب انها لم يطلبها منه احد ، فقد تبرع بها من تلقاء نفسه ، فالخالق عز وجل حث الإنسان على العلم ، والسعي في الأرض ، والاكتشافات والاختراعات هي السيطرة على الطبيعة ، ومحاولة للرقي بالإنسان ..."

"البرنامج تمويل نفطي فلابد من شتيمة الاشتراكية "

"ولأن اسم البرنامج العلم والإيمان ، فلابد من تقديم هذه السلطة العلمية المرشوشة ببعض البهارات الفقهية لكسب البسطاء وتغييبهم "

ما هو العلم ؟هو معرفتنا وثقافتنا عن هذا الكون الذي نعيش فيه .

هل هذا الكون ينتمي إلى خالق عظيم ؟أم إلى الصدف والعشوائية ؟

إذا كان هذا الكون ينتمي إلى خالق فالمفروض منطقيا ان كل تفصيلة وكل معلومة نعرفها عنه تقودنا إلى الإيمان بهذا الخالق، فما هو مجال الدروشة هنا عندما يقترن العلم بالإيمان ؟

موضوع البرنامج هنا ليس هو الإعجاز العلمي الذي يعني دقة اللفظ القرآني علميا ، ولكن مجرد ربط هذا الكون بخالقه ففيم اعتراض د. خالد منتصر إذا كان يؤمن بنسبة هذا الكون إلى الله ؟

كلام د. خالد منتصر يصور بكل جلاء ويجسد طريقة تناوله وفهمه العلماني للأمور، من أول العنوان ، اعتراض على اقتران العلم بالإيمان ، هو لا يرى ولا يفهم أن يكون وراء العلم أي إيمان ، من يزعم ذلك فلابد أن يكون هدفه هو كسب البسطاء وتغييبهم ، ولذلك فهو لا يرى في الغرب صاحب العلم إلا كل يقظة واستنارة ، أما التعليق وراء هذا العلم الغربي فإذا كان له طابع ديني فلا يمكن أن يوصف إلا بأنه غيبوبة و دروشة.

د. خالد منتصر في كلامه كله لا نجد منه إلا نقدا متواصلا للمسلمين وأحوالهم ، ظلام دامس لا يمكنه أن يرى فيه أي بصيص من نور ، أما الغرب فلم أسمعه أو أره أو اقرأ له مرة أي انتقاد له ، والسبب هو أن الزاوية التي لا يستطيع أن يرى إلا من خلالها الأمور هي زاوية محدودة للغاية ، زاوية قصيرة النظر ، لا تستطيع أن ترى وبالكاد إلا تحت قدميها ، العلم من اجل العلم ، العلم وليس وراءه إلا هذا العالم ، هذه الدنيا هي الغاية

والهدف ، من أدركها فقد أدرك الخير كله ، نال الفوز العظيم ، ومن قصر عن نيل شيء منها فلابد أن يكون مصابا بكل عقد النقص والشعور بالدونية .

ليس هناك متعة ولا راحة إلا فيما تقدمه لنا هذه العلوم والتقنيات ، طريقة التفكير المادية ،التي لا تستطيع أبدا أن تدرك أن الإنسان روح وجسد ، ولا تدرك أن سعادة الإنسان الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل دين يحقق هذا التوازن بين كليهما ، وأن هذا التخلف الذي نعانيه والذي ينعيه علينا د. خالد منتصر ، لا علاقة له من قريب ولا بعيد بنظرتنا العميقة لما وراء هذا العالم ، ولكن لأننا قصرنا في الأخذ بالأسباب والمسئول عن ذلك كما أوضحت لم يكونوا في يوم من الأيام رجال الدين ، ولا المدروشون المغيبون الذين يربطون بين العلم والدين !ولكن المسئولون من كل اتجاه فكري آخر ، والذي يشارك الكثير منهم د. خالد تفكيره العلماني وهم غالبا من أساتذة الجامعات الذي لا يتحرك أحدهم إلا واللاب توب معه و الذين هم من المفروض أنهم من أكثر الناس علما وتواصلا مع ما تأتي به العلوم الحديثة .

ما نفهمه من كلمات د. خالد منتصر ، أنه لا يفهم لماذا هذه المقارنات التي يعقدها د. مصطفى محمود بين علم الإنسان ، وعلم الله ، والتي يجريها كما يقول تطوعا لم يطلبها أحد منه ، وكأنه من المفروض عليه ككاتب ومفكر ألا يتناول أي موضوع إلا بناء على طلب .

ولا أدري من الذي طلب من د. خالد هذه المقارنات التي يكف عن عقدها بين حالنا وحال الغرب ، ومن الذي طلب منه تأليف كتابه ، وهم الإعجاز العلمي ليتعرض فيه لمصداقية القرآن نفسه خلف ستار الإعجاز العلمي . لماذا يعترض د. خالد ولا يتفهم ما يفعله الآخرون إذا كان هذا هو عين ما يفعله

من يقرأ للدكتور خالد منتصر في كل مرة يتحدث فيها عن د. مصطفى محمود ، يشعر وكأن هناك ثأرا مبيتا بينه وبينه ، د. مصطفى محمود الذي يسبق اسمه أحيانا بكلمة المفكر الفيلسوف ، وأحيانا بكلمة العالم ، لا يرى فيه هو أو لا يحب أن يصوره لنا إلا على أنه شخص مغيب يضحك على عقول السذج والبسطاء ،شخص لا يمكنه أن يرى أن المخترعات والمكتشفات ما هي إلا محاولة للرقي بالإنسان حيث حثنا الله على العلم وعلى السعي في الأرض وهذا كل ما يفعله الغرب الذي ينتقده ، يتكلم د.خالد وكأننا جميعا مغيبون فاقدي الأهلية في الحكم على الأمور ، وهو وحده اليقظ المستنير .

فإذا انتقد د. مصطفى الاشتراكية في برنامجه ، فليس هناك سبب وراء ذلك إلا أن البرنامج تمويل نفطي كما يقول ، فلابد أن يفعل ذلك مداهنة لأصحاب النفط ! هكذا يقدح قدحا مباشرا ، زورا وبهتانا ، في ذمة وامانة د. مصطفى محمود الذي لم يعرف عنه يوما انه كان يتظاهر بقبول ما لا يقتنع به حقيقة مثل البعض ، بل على العكس ما أكثر ما أثارت تصريحاته الصادمة التي لم يكن يحجم أبدا عن إعلانها الهجوم عليه من كل ناحية ، كالعادة، افتراءات لا يكف د. خالد عن رمي كل من يختلفون معه بها .

فالحقيقة أنه لا يطيق أن يرى إنسانا يتناول المعارف العلمية بطريقة تخالف طريقته العلمانية المجردة ، د. خالد لا يتمتع أبدا بنظرة موضوعية تتقبل الرأي ، الآخر ، طريقته في عرض الأمور التي تخلو من النضج تعتمد على انه يرفع من يوافقه في الرأي إلى أعلى عليين ، ويحط من قدر من يخالفه أسفل سافلين ، حتى لو اضطر أن يعرض كلامه بطريقة تفتقر إلى الأمانة العلمية ، كما بينت في موضوع بيت العنكبوت و خيط العنكبوت .

والآن د. خالد يصور في كلامه د مصطفى محمود وكأن هناك شيء بينه وبين العلم البشري نفسه ، وكأنه يسره ويسعده أن يرى هذا العجز الإنساني في كثير من القضايا العلمية حتى إنه : إذا تكلم عن مرض فهو يتكلم بشماتة عن أن هذا العلم لم يصل إلى دواء ناجح لهذا الداء !

مالا يفهمه د. خالد منتصر أن الذي ينتقده د. مصطفى محمود ليس هو العلم نفسه ، لا يمكن لإنسان محايد موضوعي أن يظن هذا في الدكتور مصطفى محمود ، د. مصطفى نفسه شخص موسوعي المعرفة ، ولكن ما ينتقده هو هذه النظرة العلمانية البحتة التي لا يستطيع هذا الغرب الذي يعجب به د. خالد أشد الإعجاب أن ينظر إلى العلم ولا يتناوله إلا من خلالها .

هذه النظرة بدلا من أن تجعل العلم هو الوسيلة إلى تعميق صلة الإنسان بربه والإيمان به عن قناعة وبصيرة ويقين ، كما هو مفروض ، على العكس من ذلك فصلت العلم عن خالقه ومبدعه ومنشئه فأدت إلى البعد عن الله وانتشار الإلحاد والزندقة ، هذا النقد لهذه النظرة العلمانية السطحية ، هي من صميم عمل وهدف برنامج اسمه العلم والإيمان ، الموضوع إذا ليس شيزوفرينيا كما يشخصها د. خالد منتصر .

والذي يشك في هذا عليه أن يشاهد فيلم " المطرودون ، غير مسموح بالذكاء " expelled no intelligence allowed " الذي يحكي عن التعصب الدارويني ، الذي لا ينسب هذا الكون إلا لنشوء وارتقاء جرى بعيدا عن الله سبحانه وتعالى ، وكيف أنه يتم اضطهاد كل من يذكر كلمة الله في درس أو موضوع علمي .

د. مصطفى محمود إذا لا يتصنع معارك لا أساس لها ، ولا يجيب على أسئلة غير مطروحة ، والقرآن نفسه أبلغنا طويلا قبل عصر الانفتاح العلمي الكبير الذي نعيشه ، أنه سيأتي وقت قبل نهاية الدنيا ستأخذ الأرض فيه زخرفها وتتزين : "...حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" يونس: ٢٤

والآية تخبرنا أنه بدلا من أن يؤدي ذلك إلى التقرب إلى الله وتعميق الإيمان به ، ورؤية الله وراء كل هذه المعارف والتيسيرات ، بالعكس سيصاب الإنسان بالغرور ويبتعد عن الله

، ويظن أنه قد أصبح قادرا على أن يفعل ما يريد ، وأن كل ما كان ينسبه إلى الله قد عرف الآن سببه ، غرور قاتل مهلك .

يا دكتور خالد : يجب أن تفهم أن العلم إذا لم يؤدي إلى التقرب إلى الله ، واليقين به عن بصيرة ، أدى إلى الكفر والإلحاد والزندقة ، أو على الأقل أدي إلى الخلط والبلبلة والتيه ، وعلى ذلك فبرنامج يدعو إلى الإيمان من وراء علم هو فعلا ما نحتاجه ، هو ليس دروشة ولا تغييب .

ولا تقول ، لماذا علينا أن نقارن علم الإنسان بعلم الله ، لم يقل أحد ، ولم يقل أحد ، لأنك أنت نفسك تعرضت لكل هذه البلبلة ، والتصدع والتشقق ، حسب ما رويت أنت نفسك بسبب آية ويعلم ما في الأرحام ، هل نسيت ؟

ألم تعتزل أقرانك وتتصدع نفسك عندما اكتشفت أن السونار والسائل الأمينوسي يخبرنا بشيء من علم الله عما في الأرحام ، ألم تقارن أنت نفسك هذه المقارنة الساذجة بين النوعين من المعارف نتيجة للفصل التام الذي تعانيه بينهما ، والذي أدى بك في النهاية لتكفر بإعجاز علمي ليس له أي ذكر في الآية ، فترى أنه مجرد وهم صنعته عقدة النقص عند المسلمين .

وإذا كانت طريقة تقييم د. خالد منتصر للأمور ولأحوال الناس تعتمد على هذه النظرة المجردة للعلم ، وهي نظرة أراها كما أوضحت محدودة ، نظرة تعتمد على طريقة التفكير العلماني ، فاسمحوا لي أن أقدم في هذه السطور النظرة التي وراءها عمق ديني كما أفهمه أنا ولا ادعي أني امثل فيه الدين أو المسلمين ، لنرى في هذا الخصوص أي النظرتين هي الأعمق ، أو أي النظرتين هي الأصلح لإنسان يؤمن بعالمين ، عالم غيبي وعالم شهادة ، يؤمن ببعث ونشور ، وحساب وعقاب ، وقبل ذلك كله يؤمن بنسبة هذا الكون الرائع لخالق قادر عظيم مبدع :

الغرب هو الذي يبحث ويكتشف تفاصيل هذا الكون العجيب المعجز ، يكتشف قوانينه وسننه ، يطبق هذه المعارف في صورة تقنيات رائعة تفيد البشرية وتيسر الحياة على الأرض ، وتزيد كما هو المفروض من استمتاع الإنسان بحياته ووقته ، لن أتحدث عن الجانب الآخر لهذه المخترعات والمكتشفات ، ولكن سأقول إن ما ننعم به نحن هنا في بلادنا من كل أنواع المعارف والتقنيات الحديثة في كل المجالات هي من صنع الغرب وإبداعاته ، نحن لا ننكر ولا نستطيع أن ننكر هذا ، العلماء كلهم تقريبا في كل مجالات العلوم ينتمون إلى جنسيات أوروبية أو أمريكية .

ولكن كوني أشعر بالامتنان الشديد والتقدير العظيم لهذا الغرب الذي يتحفنا بكل هذه الإبداعات يوما بعد يوم لا يمنعني أن أنظر إلى الأمور نظرة عميقة لأضع الأمور في نصابها :

أولا :

لماذا يتقدم هؤلاء ، ونتخلف نحن ، السبب أن التقدم لابد أن يكون له أسبابه والتخلف أيضا ، هذا الكون متاح للجميع ، أن يعمل الجميع فيه عقولهم وإمكاناتهم ، ويأخذوا بالأسباب التي يسرها الله لهم ، الله سبحانه وتعالى رب الجميع ، رب المؤمن والكافر من يعترف بوجوده ، ومن لا يعترف ، وهذه الدنيا التي نحياها هي فقط مجال عطاء هذه الربوبية ، من يعمل أكثر يحصد أكثر ، الله لم يبلغنا في آية أنه سيقصر عطاءه الدنيوي على المؤمنين به فقط .

"كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا " الإسراء: ٢٠

أقول هذا للرد على بعض الذين يزعمون أن كون معظم المخترعات والمكتشفات لم تأت إلا على أيدي علماء ملحدين لا يؤمنون بالله أصلا ، أو أن هذا الغرب العلماني الذي لا يتعامل إلا مع العلم المجرد هو الأكثر تقدما هي حجة في صف الإلحاد أو العلمانية .

ثانيا :

ليس معنى أن يكون العالم الذي يكتشف أو يخترع إنسان غربي أوروبي أو أمريكي يتناول الأمور بطريقة علمانية بحتة ، ولا يرى ما وراء هذا الذي يكتشفه آو يخترعه ، فلا يقر بوجود إله خالق ينسب إليه كل هذا ، ولا يشعر أن كل ما وصل إليه لا يمكن إلا أن يكون من خلال توفيق هذا الإله وتيسيره ، بل يطبق مبدأ أوتيته على علم عندي ، أن علي أنا أن أتعامل مع أتحفني به نفس تعامله ، وأنظر إليه وإلى علمه نفس النظرة التي ينظر هو بها أو تنظر بلاده بها .

بل على العكس تماما ، كون الله يطلعه ، ويمكنه من التعامل مع بعض ما لا أراه انأ إلا آيات الله العظيمة في هذا الكون ، ثم لا يستطيع أن يصل إلى ما وراء ذلك ، يجعل من حقي ألا أرى فيه في هذا الخصوص إلا إنسانا مغيبا غافلا لا يتعامل إلا مع الظاهر .

لأن ما لا يعلمه د. خالد أو يفهمه ، أن تناول العلم مهما كان عمق المعلومة العلمية نفسها ، مهما كانت أهميتها ، مهما كانت روعة التقنية التي أحصل عليها من ورائها بهذه الطريقة العلمانية البحتة ، هو تعامل لا يؤدي إلا إلى الحصول على الفائدة الظاهرية السطحية من ورائها ، لأن الفائدة الحقيقية هي الفائدة الباقية الخالدة ، هي الفائدة التي تعمق إيماني ويقيني وتمدني بالبصيرة لأرى من ينتمي إليه هذا كله ، هي أن أرى الله وإبداعه وراء هذا كله

الله يذكر هذا صراحة في آية قرآنية كريمة :" يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ " الروم: ٧

علم الظاهر هو العلم الذي يقتصر على الحياة الدنيا ، يرقى بها بيسرها ، يزيد من متعتنا فيها ، ولكنه علم لا يصل إلى الآخرة ، هو غفلة ، وغيبوبة بالنسبة للهدف الذي يذكر الله في كتابه الكريم أنه ما خلقنا إلا من أجله

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الذاريات: ٥٦

وعلى ذلك فهناك مقاييس أخرى يمكن تقييم أحوال البلاد والعباد على أساسها خلاف النظرة التي لا يعرف د. خالد منتصر سواها ، د. خالد لا يفهم إلا أن الفيلم الذي يعلق عليه د مصطفى محمود صناعة غربية فعلى د مصطفى أن يشعر بعظيم الامتنان لأصحابه ، يسبح بحمدهم ، ويمتدح كل هذا العلم والتكنولوجيا ، أما أن يشتمل التعليق على نفس هذا الفيلم كل هذا النقد لأصحابه ، فلابد أن يكون وراء هذا غيبوبة ودروشة ومحاولة كسب البسطاء السذج !

هناك إذا نظرتان للموضوع لا نظرة واحدة ، نظرة علمانية لا ترى العلم إلا مجردا بحتا لا هدف وراءه إلا هذا العالم وما يحققه فيه ، هذه النظرة لا تصلح إلا لإنسان لا يؤمن ولا يعترف إلا بهذا العالم .

ونظرة مختلفة تماما أراها هي النظرة العميقة للأمور التي لا يمتنع فيها أن يأخذ الإنسان بكل ما يقدمه العلم من فائدة مشروعة ، ولكن الفائدة الكبرى هي التي تمس الناحية الإيمانية ، وتعينه على اليقين والإيمان بما وراء هذا العالم ، وبمن تنتمي إليه وحده كل تفصيلة ودقيقة في هذا الكون المبهر

وعلى هذا هل يصدق أو يقتنع د. خالد بأسبابي عندما أقول له أني بينما أشاهد بكل الاستمتاع الأفلام الوثائقية البالغة الروعة لقناة البي بي سي والمعلق الشهير ديفيد اتنبرو يعلق عليها تعليقاته الممتلئة علما وثقافة فيما يخص ما لا يحصى من المخلوقات في البر والبحر ، في الكهوف والتلال ، ما هو متناه في الصغر وما هو عظيم الكبر ، وتصف دقائق حياتها ، وتفصيل تكيفها معها، وانبهر بكل هذا المجهود والتكنولوجيا في التصوير ، وأقدر أصحابه في هذا المجال كل التقدير، لا يمنعني هذا أن أشعر بالإشفاق من اجل طريقة تناولهم لكل هذا .

عظمة تجعل الحجر ينطق ويؤمن ، ومع ذلك فهم في حقيقة الأمر غافلون عن أفضل ما يقدمه لهم كل هذا العلم والإبداع ، بل على العكس ، هذا المعلق الشهير كل همه أن ينسب كل ما يتحدث عنه ويعلق عليه إلى تطور ليس ليد الله فيه أي فضل ، فنراه يقحم كلمة التطور هذ ه في كل كلامه يريد أن يفرضها على ذهن فهم المشاهد فرضا ، ألا يستحق مثل هذا الإنسان أن نرثي من أجل هذا الفضل الحقيقي الذي يحرم نفسه منه ، في الوقت الذي أستطيع أن أصل انأ إليه من وراء علمانيته ،

لا اعتقد أن د. خالد منتصر لن يصدقني في هذا القول، الذي لن يفهمه إلا على أنه نوع من الغيبوبة والدروشة التي لابد أن يكون أمثالي مصابا بها .

والحقيقة وأنا هنا أتحدث عن علماء الغرب ، أو عن أهله عموما من الملاحدة والزنادقة ، الغارقون في فضل الله تعالى ولكنهم لا يدركون ذلك ، أنهم على الرغم من كل هذا العلم والتقدم ، فعلا يعانون من غيبوبة وغفلة

إذا كانت هناك حقيقة أزلية أبدية ، لن تتأثر بمن يؤمن بها أو لا يؤمن ، وأنا هنا لا أحدد أن هذه الحقيقة هي وجود الله أو ما يعتقدون ، وإذا كانت هذه الحقيقة أيا ما كانت ستفرض نفسها علي فرضا ، بعد حياة قصيرة ، وأن هناك احتمال واحد في المليون أن ما يقوله أصحاب الفكرة الأخرى صحيح وأن العاقبة على من لا يؤمن بها ستكون وبيلة كما يدعون ، ألا يستحق هذا منا لكي نكون واقعيين في أهم مسألة على الإطلاق تستحق هذه الواقعية ، أن نكرس اكبر اهتمام للوصول إلى هذه الحقيقة كما هي ولكن ليس كما نحبها أن تكون ؟، أن نسخر هذا العقل الذي يفعل المستحيلات في مجال الاكتشافات والاختراعات ، لنصل إلى ما وراء هذا كله ؟ ولنبدأ بالتشكك فيما نرى ونعتقد ، ونفترض وجود احتمال أي نسبة ضئيلة لما يقوله الآخرون ، ولنتذكر أن الموضوع لا يمكن أن يكون ثقة بنسبة مائة في المائة في صحة ما نعتقد ، ولكنا لا نعير الأمر كبير اهتمام ، والدليل أن بعض العلماء مثل انتوني فلو بعد كل هذه الشراسة في الهجوم على فكرة وجود الله وعلى مدى خمسين عاما ، ومن خلال العديد من المؤلفات ، عاد فأقر بوجود الله ، لم يره إلا من خلال نفس هذا العلم الذي كان يستخدمه في الإنكار وألف كتابه ، يوجد إله ، ولكن الاكتشاف كان متأخرا جدا ، فلم يمهله العمر أن يصل إلى ما يريده هذا الإله منا ، وهذا أمر ، لن يقدمه له سوى كتاب مقدس ، لو كان لجأ إليه من البداية واهتم ، لوفر عليه كل هذا العناء .

هل يمكن أن تفهم يا دكتور خالد بعد كل هذا لماذا يوجه دكتور مصطفى محمود في برنامجه الشهير " العلم والإيمان " كل هذا النقد إلى الغرب صاحب المكتشفات والمخترعات ؟ .

الفصل الثالث عشر

ثالثة الأثافي

لا تنتهي محاولات د. خالد منتصر لتشويه صورة د. مصطفى محمود ، وتأكيد ما يرميه به من وصف المدلس النصاب الذي يريد أن يكسب السذج البسطاء ويغيبهم ، ،والحقيقة أن السبب وراء كونه يرى الصورة هكذا ، ويفهم كلام د. مصطفى محمود بهذه الطريق العجيبة ، ولا يجد فيه إلا تدليس ونصب وخداع هو ما يصوره هذا النموذج الذي سأعرضه الآن من الفارق الضخم بين عمق تفكير د. مصطفى محمود الذي يليق بمفكر

فيلسوف مثله كما يراه ، معظم الناس وبين الضحالة والسطحية ، والفهم المحدود جدا لإنسان تفكيره علماني لا يستطيع أن يرى ما وراء الصورة ، بين من كل اهتمامه هو العمق ، ورؤية الصورة كاملة ، ومن لا يستطيع أن يصل إلا إلى القشرة السطحية ، ومع ذلك فهو حتى لا يدرك هذا ويتعرض لما هو أكبر بكثير من إمكانياته ، حتى إنه يتعرض للقرآن نفسه فلا يجد فيه إلا تكرار لما كان شائعا من أربعة عشر قرنا من أفكار علمية ساذجة ومغلوطة ، ونقل من أساطير الأولين !

لنرى ما يقول د. خالد منتصر في كتابه " وهم الإعجاز العلمي " :

أما ثالثة الأثافي فهي استنباطاته العلمية من سورة آل عمران :

"أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ " آل عمران: ٨٣

فقد توصلت عبقريته الإعجازية إلى ما لم يخطر على عقل بشر ، فقد استنبط منها كل هذه القوانين ، قانون الضغط الأسموزي وقانون التوتر السطحي ، وتماسك العمود المائي والتوازن الأيوني ، وقانون التفاضل الكيميائي بين هرمون وهرمون ، وقانون رفض الفراغ والفعل ورد الفعل ، وضع أنت كل ما تريد من علامات تعجب ، وأرجوك أخبرني قارئي العزيز ، كيف توصل هؤلاء العباقرة الأفذاذ من هذه الآية ، كل هذه القوانين دفعة واحدة ، ولك مني مليون جنيه بدون اتصال بزيرو تسعمية ، وذلك إذا فهمت وأفهمتني ، فأنا كما يقول المثل الشعبي غلب حماري

عندما قرأت هذه الكلمات في كتاب وهم الإعجاز العلمي ، أصبت بحيرة شديدة ، هل فعلا يمكن لأي إنسان أن يدعي أن مثل هذه القوانين يمكن استنباطها من هذه الآية القرآنية ذات الطابع الديني الخالص ، والتي هي ليست من الآيات التي أشرت إليها والتي تدعو إلى الإيمان بالله على بصيرة مشيرة إلى ما في خلق الله من إعجاز ، ومخاطبة هذه القدرة التي أودعها في عباده لرؤية الخالق وراء خلقه ، هذه القوانين التي من المؤكد أنها فضلا عن أنها لا تنتمي إلى الآية بصلة ، فهي قوانين متفرقة لا يوجد بينها أي رابط .

ولكن حيرتي زالت وحلت محلها دهشة عميقة عندما وقعت على ما ذكره د. مصطفى محمود تحديدا بهذا الخصوص في كتابه : " القرآن محاولة لفهم عصري " : في فصل منه بعنوان "أسماء الله " أي أن العنوان يدل على أنه موضوع ديني خالص ، كان في هذه الكلمات يتحدث تحديدا عن صفتا الحي والقيوم ، موضوع لا علاقة له من قريب أو بعيد باستنباطات علمية ،لنرى ماذا قال د. مصطفى محمود :

ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها

الكل يسجد لله من لا يسجد طوعا يسجد كرها ، لأن الكل يجري على سنن الله الطبيعية التي أقامها ، ويخضع لقوانينه التي رسمها ، قلب المؤمن وقلب الكافر كلاهما يخضع للقوانين

الفسيولوجية ، التي أبدعها الخالق ، كلاهما ينبض خاضعا لنفس القوانين ، وكذلك تنبض كل خلية في كل جسد ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

"أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ " آل عمران: ٨٣

الكل اسلم لقوانين الإلهية التي تجري على سننها الحياة ، ونعرف الآن الكثير من هذه القوانين مثل :

قانون الضغط الإسموزي

قانون التوتر السطحي

وتماسك العمود المائي

والتوازن الكهربائي والأيوني في المحاليل

وقانون التفاضل الكيميائي بين هرمون وهرمون ، فيكون الواحد منهما حاكما على الآخر

وقانون رفض الفراغ ، وقانون الفعل ورد الفعل

والكثير من غيرها مما تجري الحياة على وفاقها ، ويطيعها كل مخلوق ، ويسلم لها طوعا وكرها

الله وقوانينه قائم على كل شيء من الذرة إلى الفلك ، به وبقوانينه تقوم الحياة ، فهو " قيوم " هو" الحي" الذي به الحياة

هل يمكن لأحد أن يفهم من هذا الكلام أنه استنباط لقوانين طبيعية من آية قرآنية ؟ ،

د. خالد منتصر يقول تعليقا على كلام د. مصطفى أن عبقريته الإعجازية قد توصلت إلى ما لم يخطر على عقل بشر ، وفي الحقيقة أن هذا الفهم العبقري للدكتور خالد منتصر لهذه الكلمات هو الذي يمكن أن يوصف بأنه لم يخطر على عقل بشر ، هو فهم أبعد ما يكون عن الحقيقة :

فالدكتور مصطفى يتناول هذه الآية تناولا دينيا خالصا لا علاقة له بالعلم من قريب أو بعيد ، يتناولها تناولا عميقا متأملا ، الآية تتحدث بكل وضوح كيف أن كل خلق الله في السماوات آو في الأرض ، مؤمنين وكافرين ، بإرادتهم أو رغما عنهم قد أسلموا لله ، هكذا تقول الآية ، ولكن شرح د. مصطفى لهذه الفكرة هو أن الجميع بلا استثناء يخضع لكل القوانين التي خلقها الله ، كما يقول ، قلب المؤمن مثل قلب الكافر تجري عليه نفس القوانين الفسيولوجية التي أبدعها الخالق ، لأن المؤمن ذو النظرة العميقة يدرك أن كل هذه القوانين وهذه السنن هي ، خلق الله وتدبيره الذي يمضي من خلاله مشيئته التي تحكم الكون كله ، وأنها تسري على جميع خلقه ، لا يمكن لكائن أن يخرج عنها ، هو هنا فقط

يستعرض مجموعة من مثل هذه القوانين ، ليست هي المقصودة بالذات ، ولكن الموضوع يشمل كل ما في هذا الكون من قوانين ، هذه الفكرة طبعا أصلا تخالف ما تعارف عليه الدارونيون ، من أن كل هذا الكون بما فيه من هذه القوانين التي تنظمه هي فعل الصدفة والعشوائية ، ولا أدري كيف يأتي نظام من فوضى ، أو يأتي قانون صدفة والكلمتان متناقضتان أشد التناقض ، فضلا عن كل هذه القوانين التي لا تحصى في كل مجالات الحياة .

د. مصطفى محمود يقول هنا طالما أن هذه القوانين هي سنن الله في الخلق ، وطالما هي تسري على الجميع ، وطالما ليس بإمكان احد أن يخرج عنها فهكذا الكون كله اسلم لله سبحانه وتعالى طوعا أو كرها ، من أسلم لله فآمن به وعبده وتوكل عليه ، وأقر بنسبه كل ما في الكون من الذرة إلى المجرة ، ورأى أن كل هذه القوانين هي صنع الله الذي أحسن كل شيء صنعا فقد أسلم لله طوعا .

من أنكر الله ولم ير في كل ما حوله من آيات معجزة إلا صنع التطور والصدفة ، من عظم الدارونية ونظر إليها على أنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورأى انها تقدم البديل العلمي عن فكرة الخالق بينما هو يتشكك في الكتب المقدسة ، من سخر من فكرة وجود الله ، وأنشأ المواقع التي تدعو إلى الإلحاد والكفر ، من ظن أنه بالعلم قد أصبح قادرا على أن يفعل ما يشاء ، وأن كل ما كان ينسب إلى الله قد أصبحنا الآن نعرف سببه ، وكأن هذه الأسباب أيضا ليست مخلوقة ، من ظن في النهاية انه هكذا أصبح حرا ، قد تحرر من أسر هذه الأفكار الدينية العتيقة ، وأنه يمكن أن يعيش حياته كما يشاء بدون أي قيود دينية على تصرفاته ، الحقيقة التي يدركها المؤمن الذي يقدس القرآن ويفهمها من هذه الآية هو أن كل هذه الحرية المزعومة هي وهم و سراب وخداع ، وأن مثل هذا الإنسان في الحقيقة محكوم بقوانين الله التي لن يستطيع أن يخضع لغيرها ، وأن دقات قلبه التي لا تجري إلا وفق قوانين الله وسننه وأنفاسه التي تتردد بين جنبيه وفق نظام معجز هي دقات وأنفاس أيضا معدودة ومقدرة في علم الله بالنبضة والنفس ، فالله وحده هو الذي يقدر ويقرر إلى متى سيظل هذا العبد يخضع لهذه القوانين ، واللحظة سيكف فيها عن الخضوع لها ، وهي لحظة لن يكون لإنسان أي ذرة من الإرادة فيها ، وهكذا يسلم لله من في السماوات والأرض طوعا وكرها .

وعلى الرغم من أني أرى أن كلام الدكتور مصطفى محمود واضح ، ليس فيه غموض يبرر هذا اللبس الفظيع الذي نراه في كلام د خالد ، إلا أني حاولت تبسيط الأمر أكثر ، على أمل أن يستطيع طبيبنا أن يرى الأمور على حقيقتها ، وأن يكف على تصور أو تصوير كل من يرى رابطا بين العلم والدين مجرد مغيب مدلس ، هذا إذا كانت الحقيقة وحدها كما هي ،وليس كما يريدها أن تكون هي فعلا ما تعنيه .

الفصل الرابع عشر

مشروع نقل الأعضاء

قبل إقرار مشروع نقل الأعضاء كان الدكتور خالد منتصر حزينا لانتصار التيار المتخلف الذي كان ضد إقرار هذا المشروع ، وحتى بعد إقراره نراه في أحاديثه التليفزيونية حزينا أيضا من اجل هؤلاء الذين حرموا من فرصتهم في الحصول على عضو حيوي سليم يجدد أملهم في إنقاذ حياتهم ، بسبب هذا التعنت والتخلف والانغلاق ، الذي يحمل رقاب أصحابه ذنب كل هؤلاء

من المعروف أن هناك أبعادا كثيرة طبية، وأيضا دينية ، وربما اجتماعية أيضا لا يمكن إنكارها وراء مثل هذا المشروع، لابد من بحثها ودراستها من قبل أصحاب الذكر في كل مجال.

فالمشكلة في نقل عضو سليم من إنسان إلى آخر، هو ضرورة أن يتم نقل هذا العضو، ومازال قلب صاحبه ينبض، ومازال صاحبه لم يلفظ أنفاسه الأخيرة، وإلا فقد هذا العضو صلاحيته، لأنه سيموت بموت صاحبه وتوقف قلبه ولكن

هذا الإنسان من وجهة النظر الطبية كما يقول هؤلاء المتخصصون ، هو في حكم الميت ، لأنه فعلا وإن لم يلفظ آخر أنفاسه ، فهو في الطريق إلى هذا ، لأن قد مات موتا إكلينيكيا بما يعني موت جذع المخ ، وهنا لا يكون هناك أي أمل في استمرار حياته أي أنه موته قد أصبح محسوما كما يقول الأطباء

ولهذا السبب يحدث هذا الاعتراض، فالمعترضون يرون أنه ليس من الدين ولا الرحمة ولا الإنسانية أن ننزع عضوا حيويا حيا ، من إنسان لا زال على قيد الحياة ، وبذلك نحكم عليه بالموت المؤكد

والرد عليهم يقول ، إن هذا الموت المؤكد هو فعلا ما ينتظر هؤلاء سواء انتزعنا هذا العضو منه آو لم ننتزع ، فلماذا نحرم إنسانا آخر لديه أمل أو فرصة في الحياة إذا ما نقل إليه هذا العضو ، أليست هذه أيضا رحمة وإنسانية ، وخصوصا أن معظم دول العالم قد أقرت هذا المشروع بما فيها دولة مثل السعودية أكيد الاعتبار الديني هو الاعتبار الأعلى ، ولذلك فهؤلاء يرون الرفض عبارة عن تعنت وتجمد ديني أو باسم الدين

أنا لن أناقش الأمر من الناحية الدينية ، أو الطبية ، فلست من أهل الذكر في أي منهما ، وإن كنت على عكس الدكتور خالد أتفهم أن يكون للدين رأي ، بل رأي مهم في هذا الموضوع ، وأن الأمر ليس كما يصوره مجرد إقحام للدين في موضوع لا يخصه ، فهذه سلوكيات إما أن تكون ترضي الله أو تسخطه ، إما أن تكون حلالا أو حراما ، وكلمة حلال وحرام لا يمكن أن ننظر إليها في أي وقت كما يحلو للبعض أن يفعل على أنها قد عفا عليها الزمن ، وأن علينا أن ننطلق في كل ما يعن لنا بدون رابط ولا ضابط ، ولكن هذه الكلمة هي التي يجب أن تحكم كل سلوكياتنا ، فقط ليس تعنتا ، وتشددا ، وتجمدا ، ولكن تفهما لروح الدين وهدفه العظيم في إرضاء الله و المحافظة على النفس البشرية

وعلى هذا فهذا الرأي الذي اعترض على نقل الأعضاء إن كان متعنتا كما يصفونه ، وإن كنت أتفهم الدوافع الطيبة وراءه ، فإنه يرد عليه بحجة دينية أقوى ، عموما ليس هذا هو الموضوع الذي أحب أن أناقشه ، أنا أبحث الأمر من زاوية أخرى :

إذا كنا حريصين كل هذا الحرص على عدم حرمان هؤلاء الذين لديهم فرصة في الحياة إذا ما تم نقل عضو حيوي إليهم عوضا عن العضو الذي تلف وأعطب، أليس من الأولى أن يكون حرصنا المضاعف أولا على صيانة هذه الأعضاء ، أليس من الإنسانية ، بل من حق الناس جميعا أن يتمتع جميع الناس بأعضائهم التي وهبها الله لهم .

سيقول البعض ، ولكن لابد أن يكون الإنسان عرضة لفقد أو تلف بعض هذه الأعضاء ، أنا لا أتحدث هنا عما يحدث للكثير منا قضاءا وقدرا ، بطريقة لا يمكن تجنبها ، ولكني أتحدث عن هذا الكم الهائل من هذه الأعضاء التي يفقدها المصريون بسبب الإهمال الجسيم ، وعدم الاهتمام ، وعدم احترام الإنسان أصلا ورخصه في عين المسئولين عنه أمام الله

هل تأخير صدور قانون إباحة نقل الأعضاء من إنسان في حالة موت إكلينيكي ، ولذا أصبح في غير حاجة لأحد أعضائه الهامة إلى آخر في حاجة ماسة لهذا العضو لكي يتم إنقاذ حياته ، هو السبب في وجود كل هذا العدد من كلا الفريقين ؟ حتى قيل إن المصريين هم الذين يمثلون العدد الأكبر من الجنسيات التي يتم زرع أكباد لها في الصين ؟

هل المشكلة كلها فيمن ضاعت عليه فرصة إنقاذه بسبب هذا التشدد الديني ، أم أن المشكلة تكمن أساسا في كل هذا الإهمال والاستهانة بالنفس البشرية في مصر ؟

هل يعقل أنه بينما في بلادنا يعاني الآلاف من المواطنين المساكين من تدمير أكبادهم نتيجة للتلوث وإلقاء مخلفات المصانع المهلكة ، في النيل ، أسر بأكملها مصابة بفشل كبدي قاتل ، وليس أمام الباقي إلا الاستسلام لما يتوقعونه ، فليس أمامهم حل آخر بعد ما حفت أقدامهم على مكاتب المسئولين ، وليس أمامهم مكان آخر أكثر أمانا ينتقلون إليه ، مساكين بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، مساكين في كل تفصيله من المأساة التي يعيشونها، أو ضحايا أحداث الطرق عندنا أو ما يطلق عليه نزيف الأسفلت ، عدد لايستهان به من القتلى والمصابين يوميا ، ضحايا تفوق ضحايا الحروب ، لأسباب مختلفة أكثرها ممكن تجنبه لو كان هناك أقل نسبة من اهتمام حقيقي بأرواح البشر ، أو هذه البلهارسيا الفتاكة المنتشرة في كل قرى مصر في طول البلاد وعرضها ، أو هذه السحابة السوداء التي تغطي سماء بعض المحافظات، وما تحمله معها من نذر تدميرية لآلاف من مثل هذه الأعضاء الحيوية الذين يحرصون على زرعها ،أو عوادم السيارات أو دخان المصانع الذي يلقى في الجو فيفسده ،ويفسد معه صحة ما لا يعلمه إلا الله من خلقه ، أو المبيدات البالغة الضرر التي توقف استخدام الكثير منها ولكنها ما زالت عندنا مباحة ،أو المحاصيل التي تروى بالصرف الصحي دون أي معالجة ، ناهيك عن الإهمال الجسيم الذي تعاني منه معظم مستشفياتنا خاصة الحكومية منها ، والفقر المدقع وارتفاع ثمن الدواء والعلاج ، وانتشار المخدرات ، والمنازل الآيلة للسقوط والتي لا يمكن إحصاؤها ، ونفجع

بحوادثها المتكررة وضحاياها التي لا تنتهي ، زيادة عن المعاناة النفسية والضغط العصبي الذي أصبح سمة تجمع بين نسبة لا يستهان بها من أبناء هذا الوطن .

عوامل لا حصر لها ، مفعولها أكيد لا يمكن لأحد أن يتجاهله أو ينكره في إتلاف وإفساد وتدمير آلاف بل ملايين من أكباد وكلى وقلوب ورئات المواطنين المصريين ، هل يعقل أنه بينما نعاني من كل هذا يكون كل ما نحاول فعله هو أن نحارب بشدة لاستصدار قانون يبيح زرع كبد لمريض ، علينا أن نحاول إنقاذه

عندما ترى أحد ضحايا الطرق في بلادنا حيث الطريق ضيق وغير مرصوف وغير آمن ، ثم سائق وسيلة النقل يحمل في عنقه كل مرة أرواح عدد من المواطنين ومع ذلك فهو أحد مدمني المخدرات أو الحشيش ، هذا عادي جدا في ظل قانون لا يجرم ولا يعاقب ، في وسيلة مواصلات لا تقل سوءا كل هذا التخلف و الاستهتار والامتهان والاستخفاف بحياة هذه الضحية طوال المشهد ثم في خاتمة المشهد تظهر فجأة الناحية الإنسانية واحترام النفس البشرية التي من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا على أشدها فيكون كل ما باستطاعتنا فعله هو أن نبادر بالحصول على رئة أو كبد أو قرنية أو كلى هذا المسكين قبل أن يلفظ أنفاسه ليلتقطها آخر كان سبب حاجته إليها نوع آخر من الاستخفاف والاستهتار به كإنسان وكمواطن

ولكن هؤلاء لا يرون إلا من خلال هذه الزاوية الضيقة ، لابد أن يكون هناك سبب ديني ، لا يكف د. خالد عن التباكي عن هؤلاء الذي ضاعت عليهم فرصة الحياة بسبب التشدد الديني الذي أسماه التيار المتخلف ، وكأن هذه الأسباب كلها التي تؤدي إلى كل هذه الكوارث ، هي التيار المتقدم ! ،وكأن أهل هذا التيار المتخلف هم المكلفون المسئولون ، فيتعلق برقبتهم ذنب موت كل هؤلاء الضحايا لتأخير صدور القانون ، بينما المسئولون عن كل هذه الأسباب التي لا يوجد أي تيار أو اعتبار ديني فيها بل إن غياب الدين والضمير هو السبب الرئيسي وراءها كلهم معافون مرفوع عنهم القلم !

لو كانت الإنسانية التي يتمسحون بها هي التي تهمهم ، لكانت كل صولاتهم وجولاتهم وحروبهم ، مسخرة في سبيل التخلص أو حتى تقليص هؤلاء الضحايا أصلا ، وكأنهم وقد اكتفوا بهذا القانون يهاجمون من يعرقله ويصمونهم بالتخلف قد أصبحوا تقدميين .

قانون نقل أعضاء حديث ، وسط بهارسيا متفشية ومزارع تروى بصرف صحي دون معالجة ، قمة التقدم والإنسانية والمحافظة على كرامة الإنسان المصري! ، وقمة الإنسانية أيضا أن يكون المستفيد بهذا القانون فقط هو الإنسان الذي يملك مثل هذه التكاليف الباهظة للعملية والذي لا أنكر عليه أي حق في الحياة والعلاج ، ولكن ماذا عن الآخر الفقير المعدم ، الذي لا تستطيع إمكانيات الدولة ومخصصاتها المتواضعة لموضوع الصحة أن تمد زميله في الفقر بشريط للصرع ، هل سيستفيد مثل هذا المسكين من إقرار القانون ؟ أم أن حاله

هذه لا ترشح أمثاله إلا أن يكونوا إلا من فريق المتبرعين بأعضائهم فقط ، فإذا كانوا من الجانب الآخر فهل يختلف الأمر بالنسبة لهم في ظل القانون أو غيابه ؟ طالما أن الكارثة ليس وراءها سبب ديني فمن يهتم ؟

مرة أخرى لست ضد هذا إذا لم يكن هناك مخالفة دينية، ولست أكره أبدا أن يتم إنقاذ حياة شخص مشرف على الهلاك ، ولكن ما يصيبني بالعجب هو حالة انفصام الشخصية والازدواجية وازدواجية المعايير التي نعاني منها ، واعتبار أن مؤشر التقدم هو إجازة مثل هذا القانون وتمريره بينما لا يمكن لمن لديه أقل قدر من البصيرة والتقدير إلا أن يرى أنه حتى لو أجزنا عشرة مشاريع مثل التي يحزن سيادة الطبيب عرقلتها بينما ما نزال نعاني في القرن الواحد والعشرين من كل هذه العوامل التدميرية لصحة المواطن المصري أن يصفنا أي شخص بالتقدم .

يا سيادة الطبيب الدول التي تقارن نفسك بها يأتي تطبيق مثل هذا القانون متوجا جهودها للمحافظة على صحة وحياة مواطنيها الثمينة جدا ، هي تفعل كل ما يمكن عمله من البداية للمحافظة على صحة وسلامة جميع أعضاء البشر فيها فإذا حدث وتلف كبد أو كلى أو قلب أو خلافه لإنسان هناك كان هناك فرصة لإنقاذه بنقل عضو من شخص آخر في حكم الميت ، هؤلاء الدول ليس لديهم كل هذا الكم من الإهمال وغياب الضمير وهوان المواطن ورخصه ، لديهم قوانين يتم احترامها من الجميع ، قبل أن تقارن بين تقدمهم وتخلفنا بقبول وتفعيل قانون مثل هذا قارن بين تقدمهم ونخلفنا في ما تراه في مستشفياتك وشوارعك وطرقك ومياه شربك ومحاصيلك ، ومدارسك ، ومساكن المساكين الذين أصبحوا أغلبية ، هذه العوامل التي أدت من البداية إلى تدمير ما لا يحصى من الأعضاء البشرية ؟ ، يعني نفسد الأكباد بالملايين ثم نتباكى على عدم التصريح بنقل بضعة أكباد ، أليس هذا شيء مضحك مبكي

ولابد ما دمنا قد تصدينا ونصبنا من أنفسنا مدافعين عن التقدم ومهيمنين ومقيمين للقوانين التي تجاز والتي لا تجاز أن نكون منطقيين وواقعيين في تفكيرنا ،مخلصين في مشاعرنا وآرائنا فنسلك السلوك الطبيعي الذي سلكه غيرنا ممن سبقونا على طريق التقدم الحضاري ونبتعد عن هذا التفكير اللولبي الأعرج اللامع من الظاهر الكئيب في حقيقته وعندما نستطيع فعل كل هذا ونقطع كل هذه الأشواط التي تفصلنا عن العالم المتحضر ، عندها فقط يحق لنا أن نبحث عن المزيد ونصف ذلك التيار بالمتخلف وهذا بالمتقدم ، أما أن يكون التخلف هو ما نمرح فيه ونرزح تحته بكل صوره وتفاصيله ثم لا يشقينا فقط إلا عدم إجازة مثل هذا القانون ولأسباب دينية ! فهذا ما قصدته من الخلط والازدواجية وازدواجية المعايير ، وانفصام الشخصية ، الدعوة للتقدم يجب ألا تتجزأ بل يجب أن تبدأ من القاع من الجذر وليس القمة ، أليس كذلك ؟

الفصل الخامس عشر

هل العلم علماني ؟

هذا الموضوع يتعلق بالعلمانية التي يروج لها د. خالد منتصر والتي سأتعرض لها بصفة عامة في فصل قادم :يقول د. خالد منتصر : والعلم بطبيعته زماني لا يزعم لنفسه الخلود بل الحقيقة الكبرى فيه هي قابليته للتصحيح ولتجاوز ذاته على الدوام ، وهو ايضا مرتبط بهذا العالم لا يدعي معرفة أسرار غيبية أو عوالم غيبية خافية ، ومن ثم فهو يفترض أن معرفتنا الدقيقة لا تنصب إلا على العالم الذي نعيش فيه ، يترك ما وراء هذا العلم لأنواع اخرى من المعرفة دينية كانت ام صوفية فالنظرة العلمية عالمانية بطبيعتها

د. خالد يريد أن يقول إن هناك نوعان من العلم والمعرفة ، العلم والمعارف الدنيوية ، مثل علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات ...الخ والعلم الديني المتعلق بعلاقتنا بالله والغيبيات ، ؟ فما معنى قوله : النظرة العلمية عالمانية بطبيعتها ؟ هل يعني فقط أنها لا تتعلق بالغيبيات ولكن فقط بالعالم الذي نعيش فيه ؟ لا يوجد خلاف على هذا ،ولم يقل احد إن للعلم أي علاقة بالغيبيات ، فلماذا تعبير العالمانية هذا الذي يصر على استخدامه ؟

هل يريد أن يقول إن هذه العالمانية تعني أن أسلوب الحصول على المعلومة العلمية هو أسلوب بعيد تماما عن الكتب المقدسة والأحاديث النبوية لأن الأخيرة هي التي تختص بالغيبيات أما المعلومة التي تتعلق بحياتنا في هذا العالم فسبيل الوصول إليها فقط البحث والدراسة والمعمل والميكروسكوب ؟ أيضا كما اوضحت كلا من القرآن والسنة النبوية المطهرة يوجهاننا إلى التماس المعلومة العلمية الدنيوية من نفس هذه الوسائل وليس من القرآن ولا من السنة ، فالله يقول : قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ولم يقل انظروافي القرآن لتعلموا كيف بدأ الخلق ، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام المعروف بتابير النخل والذي يقول فيه أنتم أعلم بأمور دنياكم ، ومن المعروف أن مصدر العلم

الدنيوي هو الخبرة ،والتجربة وليس الوحي الذي يختص بالغيبيات ، التماس المعلومة حسب التوجيهات الدينية يأتي من البحث والدراسة ، إلى هنا والتطابق تام بين النظرة الدينية وهذه النظرة التي يسميها طبيبنا عالمانية إلى العلم ، وهي نظرة لا يمكن أن تؤثر سلبيا على العلم ولا التوصل للحقائق العلمية ، ولكن بعد ذلك كل شيئ مختلف :

اولا :

لا يمكن لإنسان أن يزعم ان ما يأتي به المعمل والميكروسكوب كله خير ، التقدم الهائل في مجال الطب ، علاج الأمراض المستعصية ، التقنيات التي يسرت تشخيص الأمراض ، ومعرفة نوع الجنين ، وعلاج عيوب الإبصار ، وحتى نقل الأعضاء لإنقاذ حياة إنسان ، الأجهزة التعويضية ...الخ قد قابلها من ناحية أخرى انتشار عدد من الأمراض المهلكة التي لم تكن معروفة ، ويكفي ما أحدثته قنبلتا هيروشيما ونجزاكي من كوارث معروفة ، ظلت البشرية تعاني منها لأجيال عديدة ، وما زال الرعب النووي يسيطر على العالم ،التقدم في وسائل التدمير قد فاق بمراحل التقدم في وسائل التعمير ، ما يتم تعميره في شهوروسنين يمكن هدمة في لحظات ما رايناه في العراق ،او في أفغانستان عند دخول الجيوش الأمريكية كان يفوق التصور والتخيل والضحية لم تكن سوى المدنيين العزل المقهورين والمقموعين .

وسائل التدمير البيولوجية والكيماوية ، ألم تخرج من المعمل والميكروسكوب ، هذه طبيعة العلم العالماني ، الذي لا يرى إلا هذا العالم الذي نعيش فيه ، وانا لا أعني بهذا الدول التي تدين بالعالمانية ، بل حتى أي دولة تسمي نفسها أو تجد من يسميها بالدولة الدينية ، وتتعامل مع العلم من خلال هذه الزاوية العالمانية .

لماذا تنفق بلايين الدولارات على ابحاث تخرج لنا هذا الكم من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية التي تمتلئ بها مخازن بعض الدول في عالم يموت فيه ما لا يحصى من البشر جوعا ؟

هذه الأسلحة التي تصيب من يتعرض لها بأنواع من الآلام والتشوهات لا يمكن أن توصف والضحية كالمعتاد مدنيين مساكين بؤساء لا حول لهم ولا قوة ولا ناقة لهم ولا جمل فيما يحاربون من اجله .

لماذا تضطر القوانين العالمية إلى تجريم وتحريم استخدام مثل هذه الأسلحة الفظيعة ، أليس تقييدا وتحديدا لطبيعة مثل هذا العلم العالماني التي لا تميز بين ما يحقق خير البشرية وشرها .

تخيل أن الباحث الذي يتعامل مع المعمل والميكروسكوب شخص يؤمن بالغيبيات ، و يؤمن أن العالم الذي نعيش فيه ليس هو نهاية المطاف ، وأن مصيرنا في العالم الأبدي متوقف عما نقدمه في هذا العالم ، وأن المطلوب منا والذي سنحاسب عليه ممن يعلم السروأخفى حساب على مستوى الهبأة والذرة هو تماما ما يحقق فقط الخير للبشر جميعا

ويرفض أقل ضرر يقع على لا أقول إنسان ولكن أي كائن حي ، وأن الإنسان يمكن ان يظل يحصد ثواب وثمرة ما قدمه للبشرية من خير حتى بعد موته ، فهل هذا في صالح العلم أم ضده ؟.

كما قلت ، الدين يوجهنا إلى بل يحثنا على التماس العلم والمعرفة حيث يمكن أن نجدها ،ليس في الآيات القرآنية ولا في الأحاديث النبوية ولكن من خلال المعمل والميكروسكوب ، ولكن يضع لنا القيود والشروط التي تجعلنا نحصد خير العلم ونتقي شره ، نعم العلم نفسه لا يتعامل مع الغيبيات ، ولكن من خلال إيمان بهذه الغيبيات فقط يمكن توجيه العلم لصالح البشرية كلها .

ثانيا :

الكون الذي نعيش فيه مصمم بطريقة تجعله قابلا لتحقيق التقدم والتطور في طريقة الحياة التي نحياها ، والإنسان سيد هذا العالم يختلف عن جميع الكائنات الأخرى بانفراده بالقدرة على التعامل مع هذا الكون بالطريقة التي تخرج ما يحقق هذا التقدم والتطور ، كل هذا تطبيقا للآيات القرآنية الكريمة " الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى " فالله هو الذي سوى هذا الكون بطريقة قدر فيها كل هذه الأسباب التي من خلالها نتحول إلى عصر البخار ثم الكهرباء ثم الذرة ، هو الذي خلق كل هذه القوانين التي لا تحصى ، هو الذي اودع وسوى كل هذه الأسرار في كل ذرة من خلقه ، ومن خلال سبر غور هذه الأسرار قدر الله أن تتحقق خلافة الإنسان على الأرض منذ سلم آدم عليه السلام مقاليد هذه الخلافة فعلمه الأسماء كلها .

فما هو العلم ؟ هل هو شيء آخر غير معرفة كيف سوى الله هذا الكون العظيم بطريقة مقدر فيها إمكانية استغلال هذه التسوية لتحقيق التطور في كل اساليب الحياة من عصر إلى عصر ، وان كل اكتشاف او اختراع ما هوإلا هداية الله لعباده حين يأخذون بالأسباب التي يسرها لهم للتعامل مع كون بهذه الكيفية ؟

ألم يبدأ عصر البخار بملحوظة صغيرة كيف يتسبب البخار في رفع غطاء الإناء ؟ أليست هذه هداية الله لعباده لإدراك القوة التي أودعها الله في بخار الماء وهداية الله لهم لاستغلال هذه القوة في اختراع القاطرة البخارية والمراكب البخارية وغيرها ؟ أليس من تسوية هذا الكون وجود هذه الأمواج الكهربية وهذه الموجات المغناطيسية وهذه العلاقة بينهما التي مقدر فيها إمكانية استغلالها لتصنيع الدينامو والموتور .

أليس من هداية الله لعباده ان يتمكن فريق من العلماء من اكتشاف العلاقة وفريق آخر من تطبيق الاكتشاف ؟ من يؤمن بأن الله هو الذي خلق كل ما في هذا الكون فسواه وقدر فيه كل ما يمكن التعامل معه بطريقة تؤدي إلى التطور والتقدم وهدى فريق من عباده لاكتشاف هذه الأسرار وفريق لاستغلالها يوقن انه لا تعارض ولا تناقض بين الدين والدنيا ، لأن هذه هي الكيفية التي خلق الله عليها دنيانا .

ولكن إذا كان كل تقدم وكل تطور وكل اكتشاف لا يحدث إلا بإرادة الله وهدايته لأن الكون كله تحكمه إرادة واحدة ، فليس كل استغلال يرضي الله ، فالله الذي سوى هذا الكون جعل المادة والطاقة صورتين لشيء واحد وهدى عباده لمعرفة هذه الحقيقة ،وقدر إمكانية تحويل المادة إلى طاقة ، وهدى عباده إلى اكتشاف الكيفية ، هكذا كانت إرادة الله ، ولكن هذه الكيفية يمكن أن تتم بطريقة ترضي الله فيها الخير والفائدة ، وطريقة تسخطه سبحانه وتعالى فيها الهلاك والقتل والتشويه فالذرة يمكن ان تستخدم في التدمير أو في تيسير حياة الناس ، والعلم يمكن ان ينتج الأسلحة الفتاكة أو الدواء الشافي ، فإذا تحرينا ما يرضي الله فهل هذا في صالح هذا العالم أم ضده ؟

النظرة العلمانية البحتة التي تعني فصل العلم عن الدين أو فصل الخلق عن خالقه لا تقبل إلا من إنسان لا يعترف بوجود هذا الخالق ولا بوجود هذه النسبة بين هذه السنن الكونية وموجدها ، ولا أتفهم كيف تغيب هذه الحقيقة عن إدراك د. خالد الذي لا أشك في دينه ، هذا لو نظرنا إلى الموضوع من الناحية الدنيوية أو من زاوية علاقة العلم بهذا العالم الذي نعيش فيه ، ولكن هناك بالقطع زاوية أخرى لا يجب أبدا أن تغيب عن إدراكنا لأنها تتعلق بالحكمة في وجودنا في هذه الحياة .

الله سبحانه وتعالى ما خلقنا إلا لنعبده كما يقول في كتابه الكريم " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " هذا هو الهدف من وجودنا في الحياة ، النظرة العالمانية إلى العلم تتجاهل هذه الحقيقة ، أو على الأصح لا تعترف بها ، كما ان هذا العالم الذي نعيش فيه هو المجال الذي يعمل فيه العلم العلماني كما يصفه د . خالد ولا يتعامل مع الغيبيات أو الأمور الدينية فهو أيضا لا يرى في هذا العالم إلا الهدف الأوحد والدنيا هي الغاية التي ليس بعدها غاية .

هذه النظرة تصلح أن تنتمي إلى إنسان لا يؤمن بحياة بعد الموت ولا يؤمن بغيبيات ولا يرى إلا هذا العالم الذي نعيش فيه ولكن ، إذا كان الإنسان يؤمن بوجود إله خالق وحياة بعد الموت يقف فيها أمام هذا الإله الذي يعلم السر وأخفى ليحاسبه على مستوى مثقال الذرة أي الهبأة أو النملة حسابا يتوقف عليه مستقبله النهائي الأبدي فلابد أن تكون نظرته إلى العلم أعمق واحكم ، الإنسان المؤمن لابد أن ينسب الخلق إلى خالقه ، والسنن الكونية إلى مبدعها ومنشئها ، يرى الله وقدرته وعظمته ولطفه وكرمه وحكمته وعلمه وخبرته وسعته وإبداعه وراء المعلومة فيخشى الله ، هذا هو التعامل الواجب مع العلم هنا ، هنا فقط يوصف مثل هذا الإنسان بأنه من العلماء من وجهة نظر القرآن الكريم كما يقول الله تعالى : "إنما يخشى الله من عباده العلماء " أيا ما كان مستوى المعلومة التي يرى الله فيها ، الإنسان الذي لا ينظر إلى العلم إلا هذه النظرة المادية البحتة المجردة هو إنسان من وجهة نظر القرآن لا يعلم إلا ظاهر الأمور حتى ولو كان أعلم علماء عصره ، يعلم ظاهرا من الحياة الدنيا علما يعينه على أن يتعامل مع الأمور الدنيوية كأفضل ما يكون يتقدم ، يرقى ، يحسن طرق العيش وييسرها ، يدمر ويفتك إذا رغب ولكن يغفل تماما عن كل ما يمت إلى الآخرة بسبب ، ينتهي كل فائدة وكل نفع على الأكثر عند آخر نفس من أنفاسه في حياته البالغة القصر ، هذا ما يقدمه العلم العلماني حسب وصف الطبيب .

عندما يقول د. خالد العلم علم ، لا يوجد علم صيني أو أمريكي ، أقول له نعم ، ولكن يوجد ما وراء هذا العلم ، نظرة إيمانية تعمق صلة الإنسان بمن ينتمي إلي هذا العلم ، ونظرة إلحادية ، لا ترى أي قوة إلهية وراء كل هذا فتشجع على الإلحاد والكفر ، ونظرة تحرص على تطبيق كل هذه المعارف فيما يرضي الله فتحقق الخير للإنسانية ، ونظرة أخرى ليس لديها هذا المقياس

النظرة الدينية التي لا تعوق الإنسان بل تحثه على التماس العلم والمعرفة ، ولا تحرم عليه البحث والجهاد في سبيل استخراج كل ما يسمح به الكون من عطاء مشروع يحسن حال الإنسانية ويرتفع بها هذه النظرة ايضا تنسب الفضل إلى من خلق ويسر ، تجمع بين خير الدنيا خاليا من شرها وخير الآخرة .

العلم العالماني لا يحجب الشر الدنيوي ويحرم من الخير الأخروي ، هذا ما أراه وبالطبع ليس هذا موضوع إقناع لإنسان ملحد أو زنديق على حد تعبير طبيبنا ، ولكن أتوجه به لمن يروجون للفصل بين الدين والدنيا وبين العلم والله خالق العلم ومبدعه ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ممن ينكرون على القرآن أن يتعرض لموضوعات ذات طابع علمي بطريقة متوافقة مع الحقائق العلمية التي لم تكن معروفة وقت نزول القرآن

وحتى لا يساء فهمي أنا هنا أتحدث حديثا موضوعيا مجردا ، و أتناول الفكرة نفسها ، ولا يعنيني من يطبقونها ، فلا يقول أحد ولكن المسلمون يفعلون ويفعل حكامهم في شعوبهم .. فليس معنى أن يكون الإنسان مسلما ان كل ما يفعله إسلامي ، بل إن الكثيرين منهم يخالف تعاليم دينيه بدرجة اشد بكثير مما يفعل الذين لا يؤمنون به ، وربما لا يؤمنون بإله أصلا ، هنا هم مدانون بكل هذه التصرفات البعيدة تماما عن الإسلام

ثالثا : يقول الدكتور خالد منتصر : ، ومن ثم فهو يفترض (يقصد العلم) أن معرفتنا الدقيقة لا تنصب إلا على العالم الذي نعيش فيه ، يترك ما وراء هذا العلم لأنواع اخرى من المعرفة دينية كانت ام صوفية فالنظرة العلمية عالمانية بطبيعتها

فهل حقا هذا العلم الذي يصفه د. خالد بأنه عالماني والذي يقتصر اختصاصه على هذا العالم يترك ما وراء هذا العلم لأنواع أخرى من المعرفة الدينية أو الصوفية ،بمعنى أنه يعترف فعلا بوجود مثل هذه النوعية من المعارف ولكنها ليست مجاله ؟ المشكلة يا دكتور أن الحقيقة أن هذا العلم الذي تصفه بالعلماني والذي لا يرى إلا هذا العالم الذي نعيش فيه لا يعترف إلا بهذا العالم ، ولا يعترف إلا بالمعمل والميكروسكوب كوسيلة وحيدة للوصول إلى المعلومة ، وأن كل ما لا يخضع للتجارب العلمية والمعملية والأدوات المادية المعروفة هو مجرد وهم وسراب بل تخاريف وخزعبلات ، والنتيجة المعروفة أن هذه النظرة العلمانية المجردة المنغلقة على المعمل والميكروسكوب و التي لا تعترف إلا بالظاهر قد

أدت إلى انتشار الإلحاد الذي لم تعرف له البشرية مثيلا بهذه الصورة ، فحتى الكفار الذين تحدث عنهم القرآن كثيرا لم يكونوا من منكري وجود الله بالكلية :

"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ " العنكبوت: ٦١

"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" العنكبوت: ٦٣ .

كانت فطرتهم السليمة مازالت تعمل ، هم ينكرون البعث ، أو القيامة والحساب ، أو يشركون مع الله آلهة أخرى ، أما كفار اليوم وزنادقتهم على حد تعبير طبيبنا فيسخرون من فكرة وجود الله ، وقد قرأت شيئا من مناظراتهم على الإنترنت وكانت حجة الكثيرين منهم أنه تم عمل مسح للسماء بهذه الأجهزة الخارقة ، التي ابتدعها عباقرة العلم ، فلم يجدوا أثرا لهذا الإله الذي يدعونه ، مقولة تذكرنا بسؤال خروشوف لرائد الفضاء الأول يوري جاجارين عندما طاف حول الأرض لأول مرة ، إنه الغرور القاتل المهلك الذي تسببه هذه النظرة المادية المجردة لهذه المعارف التي ييسرها الله سبحانه وتعالى لمن يأخذون بأسبابه والتي لا تمثل ذرة في مجرة في علم الله الذي لم نؤت منه إلا قليلا

والمشكلة الكبرى أن من يتناولون العلم بهذه الطريقة فينكرون الغيبيات إنكارا تاما ، يستميتون بطريقة خالية تماما من الأسلوب العلمي الصحيح لإثبات أنهم محقون في هذا الإنكار ، وليس أدل على ذلك من تبنيهم تلك النظرية المعروفة بنظرية دارون ، والتي قامت في الأصل على مجموعة من الملاحظات الساذجة الخاطئة التي كانت سائدة منذ أكثر من مائة وخمسين عاما والتي دحضها هذا التقدم العلمي العظيم المتسارع طوال هذه الفترة .

ولكنهم وقد التقطوا هذا التفسير الذي يبدو انه يقدم مبررات الكفر والإلحاد على أنها حقائق علمية على الرغم من أن ما توصف به هذه الدارونية ما زال يطلق عليه نظرية ولا يمكن لأحد أن يجرؤ أن يصفها بالحقيقة العلمية ، ومع ذلك فالتعصب لها قد فاق تعصب أهل الأديان لدياناتهم ، ومن يريد أن يعرف المزيد عن هذا التعصب فليشاهد الفيلم الوثائقى المطرودون أو " " expelledليرى تعقب معتنقي هذه النظرية لكل من يبدي ملحوظة عن وجود الله في محاضرة أو درس فيحرموه من أية فرصة أخرى للعمل بعد طرده في الوقت الذي يزعمون فيه الدفاع عن حرية الرأي ! .

والأعجب من ذلك عندما يصفون واضع هذه النظرية دارون بالعبقري وفي الحقيقة فإن عبقرية دارون التي لا يمكن إنكارها هو أنه وضع نظرية نسبها المتلقفون لها إلى العلم ليقدموا ما يبدو أنه تفسير علمي للإلحاد أو يقدموا الإلحاد على أنه حقيقة علمية ! ، وفي فصل قادم سأقدم ما أعرفه عن هذه النظرية وعن حقيقتها، لنرى إذا كانت تصمد لشيء من الحقائق العلمية التي تم التوصل إليها الآن بصورة يقينية ولكن قبل أن أفعل أحب أن

ألخص ما قلته في مقارنة قصيرة بين النظرة الدينية للعلم كم أفهمها وبين هذه النظرة العلمانية لنعلم أيهما أكثر عمقا وتحررا وفائدة :

1-العلمانية لا تعترف إلا بالمعلومة التي تأتي عن طريق المعمل والميكروسكوب ، لا تعترف إلا بالعلم المادي ، لا تعترف بروحانيات أو غيبيات لأنها ليست خاضعة للبحث والدراسة ، وهذا في الواقع تفكير غير علمي ،ليس معنى عدم خضوع المعلومة لإمكانياتي البحثية أنها غير موجودة ، هذا تقييد لاستخدام العقل وقصره على الوصول إلى الماديات ، أما النظرة الدينية التي افهمها فهي التي تتعامل مع كل إمكانيات العقل البشري وقدراته ، كلا من العلم الدنيوي المادي وعلم الغيبيات والروحانيات لها مصدر واحد هو الله ، نصل إلى الحقائق في عالم الشهادة كما جرت سنة الله بهداية الله لعبادة إلى استخدام الأسباب التي يسرها لهم ومن أولها هذا العقل البشري المتميز تماما عن جميع الكائنات الأخرى بما لا يقارن ، ونصل إلى الغيبيات عن طريق الوحي الذي لا يكون خطابه لنا ووصوله إلينا بعيدا عن نفس هذا العقل ، آلة التكليف والتي يرفع التكليف عن صاحبها إذا تعطلت .

2- النظرة الدينية فقط هي التي تضمن ألا يساء استخدام العقل وقدراته فيما يجلب الخراب والضرر على الجنس البشري كما نشاهد من كل وسائل الدمار حولنا ، هي التي تقصرها على ما يخفف على ويسعد البشر ، لو حكمنا الدين لعلمنا أن إنتاج القنبلة الذرية من البداية أمر محرم ، هذه الأهوال ، هذه التشوهات الرهيبة التي تمتد لأجيال ، هذا الخوف ، هذه الأموال التي تنفق في عالم يموت الناس فيه من الجوع بالآلاف ، ويعاني أكثر سكانه من فقر مدقع ، أو هذه الأسلحة البيولوجية والكيماوية التي نقلت المعارك الحربية من ميادين القتال بين الجنود ، إلى المدنيين العزل والأطفال والشيوخ والنساء ، لا يمكن أن يرضى عنها الله ، وليعلم الجميع وأولهم د. خالد أن اللحظات التي ينفصل فيها الله عن تفكير العالم وحساباته بهذه النظرة العلمانية هي اللحظات التي تدفع فيها البشرية أقسى وأمر فاتورة وليس العكس .

الفصل بين الدين والعلم يؤدي إلى الضلال ، إذا كان العلم الديني هو الذي يتعلق بعلاقتنا لله مصدره الله ، والعلم الدنيوي الذي يؤثر على حركتنا في الحياة واستفادتنا من إمكانيات هذا الكون الذي سواه الله بطريقة مقدر فيها الاستفادة بهذه الإمكانيات هو هداية الله أيضا لعباده فكيف نفصل بين كليهما ، الغرض من هذه الدنيا هو العبور للآخرة لمن يؤمن بالله واليوم الآخر والله يستخدم عالم الشهادة للإقناع بعالم الغيب ، النظرة الدينية هي التي توجهنا لنرى الله خلف كل تفصيلة ودقيقة في هذا العالم المادي ، حتى لا تكون حياتنا هباء منثورا ، وحتى لا تنتهي كل فائدة في هذا العالم مع آخر أنفاسنا ،و حتى لا نكون كالأنعام بل أضل و لو كنا أعلم علماء الأرض لأننا غفلنا عن الفائدة الباقية والتزمنا بعلم الظاهر

النظرة الدينية إذا هي التي تحقق المعادلة المطلوبة بين كل خير ممكن في هذه الحياة ولا تحرمنا من مكافأة العبادة عندما يكون العلم أيضا عبارة عن عبادة ربما يظل يحصد

صاحبها ثمرتها حتى بعد وفاته ، وعلى هذا لا أرى أي معنى لاستخدام كلمة علمانية إلا عندما لا يكون هناك دين يوفر لنا هذه النظرة الدينية المستبصرة الحكيمة .

الفصل السادس عشر

هل العلمانية كلمة قبيحة ؟

في كتاب الدكتور خالد منتصر " وهم الإعجاز العلمي "أفرد الكاتب فصلا في كتابه عن العلمانية تحت عنوان " هل العلمانية كلمة قبيحة " وهو سؤال يحتاج إلى إجابة ، ولكي أصل إلى هذه الإجابة لابد أن أدرس بإمعان ما قاله كاتبنا عن العلمانية ، وتعليقي عليه حتى نرى إذا كانت العلمانية كلمة قبيحة ، أم أنها تشع جمالا من كل حرف فيها !

يقول الكاتب :

"تعد العلمانية من أكثر الكلمات في قاموسنا اللغوي تعرضا للظلم البين والخلط الشديد عن عمد أو عن جهل وهي قد أصبحت وصمة عار لكل من يتلفظ بها ، أما من يتجرأ بأن ينتسب إليها فقد اقتربت رقبته من مقصلة التكفير وأصبحت هدفا لحد الردة ، وكيف لا وهو منكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة في رأي دعاة الدولة الدينية

السبب في هذا الموقف المعادي للعلمانية هو الخلط بينها وبين الإلحاد أما السبب الأقوى فهو أن العلمانية ستسحب البساط من تحت أقدام المستفيدين من دعوة المنادين بالدولة الدينية والمنظرين لها ، فهي تدعو لحوار الأفكار على مائدة العقل وتعريتها من رداء القداسة التي يغطيها بها هؤلاء الدعاة للوصول إلى أهدافهم وهذا كله يجعل من المسألة مسألة بشرية بحتة ، فإذا كان حديثهم عن البركة في الاقتصاد الإسلامي حولته العلمانية إلى حديث عن خفض نسبة التضخم وزيادة الدخل القومي ، وإذا كان كلامهم عن حكم الله حولته العلمانية إلى حديث عن الديمقراطية والدستور لتنظم العلاقات بين البشر ، فالله جل جلاله لا يحكم بذاته ولكن عن طريق بشر أيضا لهم أهواؤهم ومصالحهم التي لابد من تنظيمها ، وإذا كانت قضيتهم هي قراءة الماضي فقضية العلمانية هي صياغة المستقبل

" العلمانية ليست هي المقابل للدين ولكنها المقابل للكهانة "

وبداية نتفق على الأصل اللغوي لكلمة العلمانية فالعلمانية هي المقابل العربي لكلمة secularismفي الإنجليزية أو Seculaireفي الفرنسية وأصول الكلمة تعني يستولد أو ينتج ، أو يبذر أو يستنبت من الاهتمامات الدنيوية الحياتية ، ومن هنا فإنها استخدمت كصفة أيضا لأصحاب هذه الاهتمامات الدنيوية ،وللكلمة أيضا دلالة زمنية (saeculum) في اللاتينية بمعنى القرن حيث إنها تصف الأحداث التي تقع مرة واحدة في كل قرن ، فالدقة الكاملة لترجمتها كما يشير د. فؤاد زكريا هي الزمانية ،إن العلمانية ترتبط بالأمور الزمانية ، أي بما يحدث في هذا العالم وعلى هذه الأرض ، في مقابل الأمور الروحانية التي تتعلق بالعالم الآخر ، وقد كان المترجمون الشوام قديما يستخدمون العلمانية كترجمة للكلمة الفرنسية LAIQUEأو الإنجليزية LAIQUEوهي المأخوذة عن اللاتينية LAICUأي الجماهير العادية آو الناس أو الشعب الذين لا يحترف الكهانة تمييزا لهم عن رجال الدين ،و المفهوم الثاني وإن كان لا يستخدم الآن ، يؤكد المفهوم الثاني ولا ينفيه ، فاللفظ قد تطور ليعبر عن التحول من حكم الإكليروس (الكهنوتي) إلى السيطرة المدنية (حكم الرجال العاديين) المعنيين بالشئون الدنيوية (الزمانية) هذا عن المعنى اللغوي والذي كما رأينا لا يعني الإلحاد من قريب أو بعيد"

بعد ما أعطانا د خالد فكرة عن العلمانية ومعناها اللغوي وأصلها، لست في حاجة إلى ذكر المزيد في هذه الناحية ولكن أبدأ التعليق على ما ذكره في معرض ترويجه لهذه العلمانية التي يتفانى في الدفاع عنها:

من يتأمل كلام د.خالد لا يفوته ملاحظة الأسلوب الذي يفتقر تماما إلى النضج الفكري ، أسهل طريقة عندما تروج لفكرة مقابل فكرة أن تلصق كل المزايا بفكرتك مقابل إضفاء كل العيوب على الفكرة الأخرى ، هل تريد التقدم أم التخلف ، التقدم طبعا ، التقدم في الدولة العلمانية بينما التخلف هو سمة الدولة الدينية إذا أي الدولتين أفضل ، طبعا العلمانية ، في الدولة الدينية الاقتصاد قائم على البركة ! أما في الدولة العلمانية فهو قائم على أسس علمية متينة ، إذا أيهما تفضل ، دينية أم علمانية ، علمانية طبعا ، الدولة الدينية الحكم لله أما الدولة العلمانية فانتخاب وديمقراطية ، وهكذا ، واسأل ، ما الذي يعنيه تحديدا بالدولة الدينية ؟، وما الذي يعنيه برداء القداسة الذي يريد استبداله بطرح الأمور على مائدة العقل ، وهكذا الدين مقابل العقل ، وإذا قال ، بل أتحدث عن الذين يسيئون استخدام الدين ويزعمون أنهم يحكمون به فإذا كان هذا تناولا خاطئا للدين فلماذا لا تصحح الفكرة ؟ لماذا إذا كنت تفهم دينك جيدا ، بدلا من الزعم انك تستبدل بالبركة في إدارة اقتصاد البلاد (والحقيقة لا ادري ما هذه البركة ، لم ار أي دولة تدير اقتصادها بهذه البركة) إتباع الأسلوب العلمي الاقتصادي الذي هو سمة العلمانية ، لماذا لا تتحدث حديثا علميا وكفي ، لماذا الإصرار على استخدام مصطلح العلمانية في مقابل كلمة الدين ، هل تظن أن الدين يتعارض مع الأخذ بالأسباب ، وتطبيق القواعد والأساليب العلمية ، أنت عندك مشكلة كبيرة مع الدين والموضوع ليس مجرد رؤية موضوعية ، ولكن تشويه متعمد لكل ما يمت للدين بصلة ، الدين هو الشماعة التي يجب أن نعلق عليها زورا وبهتانا كل ما نحن فيه من تردي ، مع انك لو أنصفت كما سأوضح بشيء من التفصيل ستجد أننا ونحن نعاني كل هذا التخلف اقرب ما يكون إلى علمانية حضرتك من كوننا دولة دينية التي لا ادري تحديدا ما هي ! وان الدين على عكس ما تقول إذا كان مشوها فالسبب يرجع لكونه ضحية الحرب الموجهة ضده من قديم

هنا هو يتحدث بوضوح عن دولة علمانية ، مقابل دولة دينية وقبل كل ذلك أريد أن اسأل سيادته ، إذا كانت الدولة الدينية هي التي يروج لها البعض ، والدولة العلمانية الرشيدة هي التي تروج لها حضرتك فأي نوع من الدول نحن الآن ، وإذا كان كل هذا التخلف الذي نرزح فيه في جميع المجالات ليس بسبب كوننا دولة دينية أم ترانا كذلك؟ فلماذا تعقد كل هذه المقارنات بين العلمانية وبين دولة دينية ليس لها أي وجود وليست السبب في تخلفنا ، لماذا لا ترينا ما الذي تفعله العلمانية ،فيما نعانيه الآن

لن أتجاوز الحقيقة إذا قلت إن كل ما ذكره د. خالد في معرض دفاعه المستميت عن هذه العلمانية هو كالعادة وكما بينت في كتب سابقة ومواضيع أخرى صورة من الفكرة البالغة

السوء المشوشة المشوهة عن الدين نفسه في كل ما يتعلق به حتى إني أستطيع أن أقول وبغير أن أظلمه أن العلمانية بالنسبة لفهم د. خالد منتصر هي المقابل للدين كما يفهمه ، أو كما يريد أن يصوره ، وعلى هذا أريد أن أعلق على كل ما قاله حتى يتسنى لي أن أتعامل مع هذا الخلط الشديد والمغالطات التي يحاول أن يفرضها على فهم من يستمع إليه أو يقرأ له :

المقارنة التي يجريها د خالد منتصر كما هو واضح بين علمانية تحاور على مائدة العقل ، تتحدث عن خفض نسبة التضخم وزيادة الدخل القومي ، وتتحدث عن الديمقراطية ، والدستور لتنظيم العلاقة بين البشر ، وما تسعى إليه هو صياغة المستقبل كل هذا في مقابل حديث ساذج عن البركة ، وحكم الله ، ورداء قداسة ، وتعامل مع الماضي بدون نظرة للمستقبل

من يتأمل هذا الكلام لا يفوته إدراك أن الدين الذي يعنيه هو هذه الفكرة البالغة السوء والسذاجة التي يدين بها بعض المحسوبين على الإسلام وهم أجهل ما يكونون به وبحقيقته ، جهلا لا يختلف عليه كل من يدين أو حتى لا يدين بهذا الدين العظيم ، ولكن هذه هي طريقة د. خالد منتصر التي تعتمد على التدليس الذي ما أكثر ما رمى به الآخرين

يقول سيادته عن العلمانية أنها ليست المقابل للدين ولكن للكهنوت ويتحدث عن رداء قداسة ستنزعه العلمانية عن أصحابه فأي كهنوت وأي رداء قداسة هذا الذي يتحدث عنه د. خالد منتصر؟ ، هل ما زال يعيش في القرون الوسطى ؟

يتحدث وكأنه ليس أمامنا إلا احد أمرين حكم كهنوتي متخلف عصريا ، لابد أن يكون طبيعة أي دين ، وحكم علماني مستنير يفصل الدين تماما عن الدنيا فيعبر بنا إلى العصرية والتحضر والتقدم ، وحل كل مشاكلنا

والحقيقة أني لا أعتقد أصلا أنه يوجد في الدين الذي أدين به والذي أعتقد أني على الأقل أكثر فهما له من الدكتور خالد منتصر أي شيء اسمه الدولة الدينية ، أو الحكم باسم الله ، أو قداسة منسوبة لأفعال أي حاكم أو إنسان .

كما أن الدين الذي أفهمه ليس مجرد ركعتين أؤديهما في المسجد ، أو صيام ، أو صدقة ، ولكن كل ما أقوم به من تصرفات محسوبة علي سأحاسب عليها أمام الله الذي سيحاسبني على مستوى مثقال الذرة ، الدين بالنسبة لي منهج حياة ، ولذا فمن حقي في دولة غالبيتها تدين بهذا الدين ، وجزء آخر لا يستهان به من مواطنيها ، تدين بدين آخر له متطلباته أيضا أن يكون من حق كلينا أن تحترم الدولة التي من المفروض أن المسئولين فيها أيضا ينتمون إلى نفس انتماءات أهلها ما يدين به كل منا ، من حق الجميع ألا يفتن في دينه ، وألا يعيش في صراع بين ما هو مفروض أن يتبعه في دينه ، وبين ما يتيحه حكم علماني يفصل الدنيا تماما عن الدين و يستمد دساتيره وقوانينه من اعتبارات مناقضة لأهم اعتبارات

يمكن أن تحكم تصرفات الإنسان ، أو يضطر إلى مخالفة قانون يعتقد أنه يأتي في مرتبة لاحقة للقانون السماوي الذي يدين به

فرض حكم علماني لا يراعي كل هذه الاعتبارات هو حكم ديكتاتوري يفترض أصحابه أن من حقهم الوصاية على عقول الآخرين، تماما كما يفعل د. خالد منتصر ، ويظن في نفسه .

لابد أن تستقى كل القوانين من هذه التشريعات أو على الأقل لا تتعارض معها ، لأن الدين لا يتدخل في كل تفصيلة ، ولكن هناك خطوط عريضة وتوجيهات ، يجب ألا تخالف ، فهل هذا هو فعلا ما تقدمه هذه العلمانية التي يروج لها ويبشر بها د. خالد منتصر ؟

وهل فعلا العلمانية هي التي تقدم كل ما تتطلبه دولة حديثة متقدمة ، بينما مراعاة الاعتبارات الدينية هو الذي سيؤدي إلى التخلف ؟ يقول د. خالد :

السبب في هذا الموقف المعادي للعلمانية هو الخلط بينها وبين الإلحاد

الحقيقة أن العداء للعلمانية لا يمكن أن يكون بسبب الخلط بينها وبين الإلحاد ، لا أخطئ ولا أتجاوز الحقيقة إذا قلت ، إن الكثيرين من دعاة العلمانية هم فعلا يعانون لا أقول إلحاد ولكن من تشوه وخلط وسوء فهم ديني شديد ، من السهل جدا إثباته من كلامهم ، لا يمكن لإنسان يؤمن بالله إيمانا صحيحا ، ويفهم دينه جيدا أن يصف نفسه البتة بأنه علماني بل ويتباهى بذلك ، بل إن ما أفهمه من كل أحاديثهم أن عداءهم الحقيقي واستهدافهم وحربهم هي على الدين وإن تظاهر بعضهم بعكس ذلك

ولكن لن يكون بإمكاني أن أصف هذا الخلط بالإلحاد فقط لأنه يمتنع علي دينيا أن أتهم بالكفر إنسانا لا يعلن هذا الكفر بل يبدي إيمانه بالله

الحقيقة ان نظرة د.خالد منتصر البالغة السوء للدين لا تقف عند إلقاء التهمة عليه في تردي أحوال الدولة اقتصاديا وسياسيا وعلميا وصحيا الخ مما استدعى حاجتنا الماسة إلى تطبيق الحل العلماني الألمعي الذي يراه الدواء الشافي ، بل إنه يزعم إننا حتى على المستوى الشخصي وفي تعاملاتنا كإفراد معا لا نستطيع أن نتصرف التصرف الإنساني المحترم إلا إذا نحينا الدين جانبا ، وتحلينا بالعلمانية ، هكذا رد د.خالد منتصر على د.عبد المنعم أبو الفتوح مذكرا إياه كيف أننا في حاجة إلى العلمانية حتى في تصرفاتنا الشخصية ، قال هذا معلقا على واقعة زيارة د.أبو الفتوح بصرف النظر عن الأشخاص للأستاذ نجيب محفوظ وإهدائه قلم اعتذارا عن فكرة سيئة ألحقت به بسبب بعض مؤلفاته هنا انبرى د.خالد يعلق على هذه الواقعة مبينا كيف انه في هذه الواقعة اضطر د.أبو الفتوح أن ينحي دينه جانبا والمعروف انه له مرجعية دينية ، وان يتصف بالعلمانية ليمكن أن يقوم بهذا التصرف المحترم ، وإلا لو كان ظل ملتصقا بدينه لأقام علي الأستاذ نجيب محفوظ الحد !

الكلام هنا غاية في الوضوح ، الفكرة غاية في السوء عن الدين نفسه ، هو لم يقل أنت هكذا قمت بتطبيق صحيح الدين ولكن تخليت عنه كلية وأصبحت علمانيا ، وإلا لأقمت الحد ، إذا فكرتك أنت عن الدين انه إقامة حدود ، والحقيقة لا ادري ما هذا الحد الذي يروج له د.خالد هنا ، الكلام لكي تتعامل مع الناس بما يليق لا بد أن تكون علمانيا وتدع دينك جانبا ، فهل هناك ترويج أكثر من هذا لسوء الفكرة عن الدين ، هذه هي العلمانية التي تدين بها يا دكتور خالد هي مقابل للدين وان أنكرت ذلك ،الموضوع ليس متعلقا بتقدم الدولة ، ولكن حرب على الدين نفسه ،حتى في هذا الموضوع الذي هو من صميم تخصص الدين وهو التعامل بين العباد ، د. خالد يقحم العلمانية هنا ويريد أن يلغي الدين

وان كنت اعلم أن الدين يأمر بحسن المعاملة وعدم الظلم، يقول تهادوا تحابوا وكل ما قام به د. أبو الفتوح ما هو إلا تنفيذ لتعاليم دينية معروفة للجميع ، فما هي تعاليم العلمانية التي يراها د.خالد والتي لابد أن يكون د.أبو الفتوح قد تحلى بها وهو يهدي القلم إلى الأستاذ نجيب محفوظ ويتخلى عن دينه الذي يأمره بإقامة الحد منتهي العداء للدين ومنتهي الفكرة المشوشة عنه.

النبي يا دكتور خالد يقول ، لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزني الزاني وهو مؤمن ، أي أن الإنسان في اللحظة التي يرتكب فيها المعاصي لا يكون الله والخوف منه في باله ، أي ساعتها يكون علمانيا فاصل الدين عن الدنيا ، فتاتي أنت لتقلب الآية وتقول لا يأتي الإنسان بتصرف رشيد وهو مؤمن بل لابد أن يكون علمانيا

اللحظات التي ينفصل فيها العالم عن الله هي اللحظات التي تحدث فيها الكوارث على مستوى الإفراد والأمم ، هي اللحظات التي ألقيت فيها قنبلتا هيروشيما ونجازاكي ,وتم اختراع القنابل العنقوية والأسلحة البيولوجية والكيماوية

" العلمانية هي التي تجعل السلطة السياسية من شأن هذا العالم والسلطة الدينية شأنا من شئون الله "

أي سلطة دينية هذه التي يتحدث عنها د. خالد منتصر ؟ في ظل الدين نفسه وبعيدا عن هذه العلمانية المزعومة هل يوجد شيء أصلا اسمه السلطة الدينية ؟

هل هناك تعريف لرجل الدين سوى أنه رجل أكثر تعمقا ودراسة للعلم الديني بكل فروعه ، وأن مهمته هي فقط بيان ما تعلمه ودرسه لغيره في الأمور التي يحتاجون إليها سواء كانت ، عقيدة أو عبادة ، أو أمورا فقهية لأن الدين عندنا كما ذكرت هو منهج حياة كامل ، رجل الدين بهذا ليس له سلطة لا دينية ولا دنيوية ، ولكن العلم الذي تعلمه هو فقط أمانه ومسئولية ينقله لمن يحتاجه ، لأن الدين في النهاية شأن بين العبد وربه والله وحده هو الذي سيقيم عمل كل إنسان ويفصل بين العباد ولأن من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، وأن أحدا لا يعلم تقبل الله له وتقواه ، فليس أحد حفيظا على احد كما يقول القرآن حتى عن النبي نفسه .

" العلمانية هي في جوهرها ليست سوى التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين

بصراحة هذه العبارة وحدها يمكن أن تصيب أي إنسان يفهم ما هو الدين وما هي العلمانية ، بالصعق ، إلى هذا الحد وصلت أقول جرأة أم جهل د. خالد ؟

جوهر العلمانية هي التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين !

عندما يقول خالد منتصر : ما شأن الله بالسياسة ، ما شأن الدين بالبنوك ، ما شأن الدين بمسابقات الجمال ، ما شأن الدين بموضوع الاستنساخ ، الحجاب مجرد نفاق اجتماعي ، أجد أن هناك سؤالا يفرض نفسه : ما هو أصلا هذا الدين الذي لا شأن له بأي شيء من سلوكياتنا ؟

هل من هذا التأويل الحقيقي أن الإعجاز الحقيقي في القرآن كتاب المسلمين المقدس المنسوب إلى الله تعالى يكرر كل ما كان شائعا عصر نزوله من كل الأفكار العلمية الساذجة والمغلوطة حتى يفهمه الناس وقتها

هل أن القرآن يستمد معلوماته عن مراحل الجنين في الرحم من فم القابلات ؟

هل إن القرآن يتقل ما في أساطير الأولين من أن الإنسان بدأ خلقه من طين ؟

هل إن بعض آيات القرآن الكريم تتعارض مع ما يقدمه العلم الحديث فتقع هذه الآيات في فخوخ لا يمكنها الفكاك منها ؟

هل يعني كلام الدكتور خالد هنا سوى ان التأويل والفهم العلمي للدين من وجهة نظر العلمانية أنه لا شيء اسمه دين !

نعم يادكتور لن نخدع أنفسنا دين وعلمانية لا يجتمعان

فالفكرة العلمانية التي يمثلها د. خالد منتصر عن الله نفسه فهي فكرة في غاية العجب ، إله يبدو وكأنه يستجدي الإيمان من عباده فيجاريهم في معارفهم الساذجة والمغلوطة ، أما ما تقدمه هذه الكلمات وإن كنت سأضطر للتعليق عليها فأعتقد أنها لا تحتاج لتعليق :

في تعليق له على شعار " الله أسقط النظام " في المصري اليوم بتاريخ 2011/3/9قال :

"هتاف «الله أسقط النظام» الذي تردد في جنبات أمن الدولة بمدينة ٦ أكتوبر من المقتحمين هو خلط مضلل بين السياسة والدين، وتحول كامل وصريح عن هتاف الثورة العبقري «الشعب يريد إسقاط النظام»، هذا الهتاف سيفتح باب أسئلة محرجة للتيار السلفي

ستعود بالضرر على الدين وعلى السياسة أيضاً، هذه الأسئلة مثل: على أي أساس تقوم هذه الخصومة ويتم هذا الإسقاط من جانب الله لأي نظام؟، هل على أساس الالتزام الديني للنظام؟، لو كان هذا هو المقياس، فلماذا لا يسقط النظام الياباني الذي لا يلتزم بإسلام أو مسيحية أو يهودية؟، ولماذا يتمتع النظام الإسرائيلي بتقدم علمي ومادي، رغم تعذيبه للمسلمين واضطهاده لهم؟، وهل كل حكام الدول الدينية التى عادت إلى الخلف قروناً من الملتزمين دينياً في أفغانستان والسودان وغيرهما ممن يقيمون الحدود وينفذون مانيفستو جماعات الجهاد، هم من الأنظمة التي لن يسقطها الله؟، مجرد أسئلة "

المهم أن هذا الشعار لم يبدأ في امن الدولة من المقتحمين من التيار السلفي الذين كانوا في الحقيقة يعارضون في الثورة على الحاكم أصلا ، ولكن من الثوار المتواجدين في ميدان التحرير ، ومن الغريب أن الذي اقترح هذا الشعار هو شخص مسيحي لأن الشيء لا يفهمه و يماري فيه د. خالد منتصر أنه من المعلومات البدائية التي لا يختلف عليها إنسان يؤمن بالله مسلما كان أو مسيحيا أن هناك إرادة واحدة تحكم هذا الكون ، هي إرادة الله سبحانه وتعالى ومن وراء هذه الإرادة تتحقق إرادات البشر، وأنه حتى لو قلنا " الشعب أسقط النظام " فأي مؤمن بالله إيمانا حقيقيا لابد أن يفهم أن الشعب قد أسقط النظام ولكن بإرادة الله وحده التي شاءت أن تحقق ما أراده الشعب ، وأن استبدال شعار الشعب أسقط النظام بالله أسقط النظام لا يعني فكرة مضادة كما يفهمها العلمانيون أمثال د. خالد ، ولكنها مجرد وضع المعلومة في صورة أكثر صحة ووضوحا ، ألم يقرأ قول الله تعالى :

"وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" الإنسان:30

ولكن الدكتور خالد المسلم الذي يعيش في دولة إسلامية ، يرى أن الله ليس له شأن و لا يجب أن يتدخل في السياسة !! يجب أن يقف على الحياد ! و يفهم أن إسقاط الله للنظام يعني انه لابد وأن يكون بسبب خصومة بين الله و من يسقطهم ويتساءل عن أساس هذه الخصومة ويوجه د. خالد مجموعة من الأسئلة التي يعتقد أنه يفحم بها من رفعوا الشعار يقول إنها ستضعهم في موقف محرج ، وفي الحقيقة هي تكشف عن فكرته البالغة الضحالة والسذاجة عن الله نفسه ،

وطبعا السؤال الساذج التالي الذي أتوقعه هو: إذا كان الله هو الذي أسقط النظام فلماذا لم تحقق الثورة أهدافها حتى الآن ؟ الحقيقة أني كلما قرأت للدكتور خالد أي حديث عن الله أشعر وكأن الذي يعنيه هو أحد آلهة اليونان القدامى، أو إله أرسطو الذي خلق العالم ثم تركه! وليس إله الإسلام الذي نؤمن به

" العلمانية لا تجعل الدين أساسا للمواطنة وتفتح أبواب الوطن للجميع من مختلف الأديان ، هذه هي العلمانية دون زيادة أو نقصان ، فهي لم ترادف في أي زمان أو مكان نفي الأديان "

أسس الدولة العلمانية تتمثل فيما يلي :

أن حق المواطنة هو أساس الانتماء بمعنى أننا جميعا ننتمي إلى مصر بصفتنا مصريين مسلمين كنا أم أقباطا

عندما يقال إن العلمانية هي التي تجعل المواطنة أساس الانتماء ، وأن هذه المواطنة هي حق الجميع في الاستمتاع بحقوقهم ، وأداء واجباتهم بما يحقق المساواة والعدل فأنا أعتبر هذا الكلام هو كلمة حق يراد بها باطل و أعترض على هذا الكلام لسببين :

أولهما: أن الذي يقول هذا الكلام يتهم الدين نفسه بمخالفة هذه المبادئ التي لا يختلف أحد على وجوبها في دولة محترمة ، من الذي أفهم د. خالد منتصر أن الدين الإسلامي نفسه لا يتعامل من خلال هذا المبدأ ؟ بل يتعامل معه بأفضل ما يكون

الدين لا يفرق بين الناس على أساس الدين، وإذا كان هناك مثل هذا التعصب الذي لا يمكن إنكاره بين من ينتمون إلى أديان مختلفة، فهذه بالقطع مخالفات وممارسات مستنكرة ومستهجنة دينياقبل كل شيء، وليس الحل كما يريد. خالد أن ننحي الدين جانب أو نهمشه في حياتنا ، ولكن عن طريق فهم حقيقي للدين مسئول عنه الجميع ، إلقاء تبعة هذا على الدين نفسه ، هي جزء من الحملة التي يكثفها العلمانيون التي لا يكون المستهدف من ورائها سوى الدين نفسه ، وإن توسلوا وتذرعوا بمصلحة الوطن والمواطنة ولا أكون قد جاوزت الصواب إذا قلت أن هذه المحاولات لفرض الفكر العلماني البعيد عن الدين وتقليص دوره وتهميشه في حياتنا من الطبيعي أن تؤدي إلى كل هذا التطرف .

آيات القرآن نفسها لا تفرق بين الناس دنيويا على أساس الدين: عندما تقول هذه الآية الكريمة:

"إ نَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" النساء: ٥٨

الدين يعتبر كل ما الإنسان مسئول عنه أمانة في عنقه ، عليه أن يؤدي هذه المسئولية إلى أهلها ، وأهل الأمانة هم الأحق بها في وظيفة أو درجة علمية ، وأن الحكم بين الناس جميعا وليس بين المسلمين يجب أن يكون بالعدل ، والتاريخ الإسلامي الذي كان يطبق فيه الإسلام تطبيقا صحيحا لم يشهد تحيزا لمسلم ضد يهودي بل على العكس ، تسجل لنا آية قرآنية عظيمة ، كيف نصر الله من فوق سبع سماوات يهوديا اتهم ظلما بسرقة ، على واحد من الأنصار الذين نصروا الرسول عليه الصلاة والسلام عندما تقول الآية في ختام مجموعة من الآيات :

"وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا " النساء: ١١٢

لم ير القرآن في الأنصاري إلا مرتكب خطيئة رمى بها بريئا ، ولم ير في اليهودي إلا هذا البريء ، فاين تجد مثل هذه الدرجة من المواطنة والعدل والمساواة .

واقعة عمر بن الخطاب الذي نصر هذا القبطي وأرسل يستدعي ابن والي مصر الذي ضربه بالسوط لأنه سبقه ومعه أبوه والي مصر وفاتحها العظيم ليقتص لهذا القبطي ، مردفا حكمه هذه الحكمة العظيمة / متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا

د. خالد منتصر إياك أن تزايد على القرآن وتعاليمه ، وتزعم أن علمانيتك هي الأكثر عدلا وحكمة ، الله لم يوكل أحدا أن يكافئ بشرا مثله على إيمانه ، ولا يعاقب أحد على كفره ، لأن الله هو الذي سيفصل بين العباد ، الله قال في كتابه لكم دينكم ولي دين ، قبل أن تتحدث عن العلمانية وتروج لها ادرس تعاليم دينك ، ادرسها بحيادية وموضوعية لترى أن من لديه مثل هذه الكنوز ، ليس في حاجة للبحث عن القشور بعيدا عنها

أما ثاني هذه الاعتراضات . : فهي

عفوا إذا قلت لك إن موضوع المواطنة في ظل العلمانية التي تبشر بها هي في حقيقتها مواطنة انتقائية ، تحلل وتحرم ، مواطنة لا تفهم دوافعي كمسلمة يحرم دينها الربا مثلا أن تتحرى أين تضع نقودها ، لا تفهم كيف انه من حقي أن أقتنع وأومن أن معاملات هذا البنك غير ربوية ، بغير محاولة هذه المرة لإقحام السياسة في الدين ، وإذا كان الأمر كذلك لأسباب لا يمكنها تلافيها وتتحمل الدولة مسئوليتها ، فمن حقي أن توفر لي البديل ، ولا تجعلني فريسة لصراع بين ما هو مفروض وما هو متاح ، أو أكون ضحية لشركات النصب ثم تسخر مني ، أين المواطنة في كل هذا ؟ ولو لم يكن لديك مثل الاعتبارات فليس من حقك أن تحكم بما تراه أو تسخر من توجهاتي أو تنصب نفسا قيما على تصرفاتي ، من حقي ألا تسخر من حجابي وتصفه بأنه نفاق اجتماعي لأنك لا تفهم أصلا معنى الشريعة ، حتى لو لم تكن هذه قناعتك فكونك لا تتفهم انها قناعتي ولا توفر لي الفرصة المتكافئة في الوظائف مع من يتفقون معك ، فأظن أن هذه التوجهات التي أعلمها جيدا فيك بل إنك تعلنها صراحة تصيب هذه المواطنة التي تدعيها في مقتل .

الدكتور خالد منتصر ما أكثر ما أسهب في الحديث عن المسلمين والمسيحيين ، وما يعانيه الفريق الأخير من تعصب ديني ، وتباكيه على كل هذا لا اشعر انه نابع من مشاعر حقيقية مخلصة ، بل أجد أ ن كل ما يفعله هنا يكرره كل العلمانيين أمثاله ومعظمهم كل همه الاصطياد في الماء العكر ، لا يطيق أن يرى لا مسلما ولا مسيحيا متعلقا ومتمسكا بدينه ، ولذلك فخير سياسة هي أن يضرب هذا بذاك ، متظاهرا بتطهير الجراح من القيح والصديد حتى تلتئم على نظافة والمتأمل لهذه السلوكيات يرى أن أصحابها لا يقصرون في وضع القيح والصديد بأنفسهم ، أنا اعرف العلماني حتى لو لم أكن قد تشرفت سابقا بمعرفته ، عندما يبدأ الحديث بالكلام عن هذا الشيخ الجليل ، العدو اللدود لهم لأنه كان يزيد قناعة

الناس بما في القرآن من عظمه والذي رحل عن عالمنا من مدة منتقدا إياه بهذا الحديث الذي يتحدث فيه عن المسلمين والمسيحيين لحاجة في تفسير آية أو مبينا إعجازا قرآنيا ،

أثناء الثورة وفي الأيام الأولى لها عندما حدث هذا التلاحم الرائع بين المسلمين والمسيحيين في ميدان التحرير، وكان هذا مجال سعادة الجميع ومدحهم وثنائهم لم أسمع كلمة ، بل حرفا واحدا من أحد العلمانيين المعروفين وأولهم د. خالد منتصر الذي كان يكتب يوميا في الصحف ،حديثا لا تفهم منه إن كان مع آو ضد الثورة يشجع هذا الذي ما أكثر ما انتقده ، لم نسمع صوته ولم نقرأ له إلا عندما بدأت أحداث التطرف تعود عندها فقط خرج ليرثي هذه الوحدة الوطنية التي لم نقرا مرة واحدة حديثا له عنها

أن الأساس في الحكم هو الدستور الذي يساوي بين جميع المواطنين ويكفل حرية العقيدة دون محاذير أو قيود

أن المصلحة العامة والخاصة هي أساس التشريع

أن نظام الحكم مدني يستمد شرعيته من الدستور ويسعى لتحقيق العدل من خلال تطبيق القانون ويلتزم بميثاق حقوق الإنسان

الدستور الذي يكفل حرية العقيدة دون قيود أو محاذير لن يكون في أحسن أحواله إلا إذا استمد مواده من الدين وروحه، لو أن د. خالد لا يفهم أن القرآن الكريم وفي أكثر من آية نبه على أنه لا إكراه في الدين ، وأن الله لم يعين أحد على أحد وكيلا أو حفيظا ولو كان النبي نفسه ، وأن الإكراه أصلا لا يجوز لأن الإيمان لابد أن يكون عن قناعة وبصيرة ويقين ، فقبل أن يتحدث عن هذه العلمانية ويدعو إليها وكأنها تصلح عوارا موجودا في الدين ، عليه أن يتعرف تعاليم دينه جيدا ويدرك الحكمة في جعل من أول مواد الدستور عبارة أن الشريعة الإسلامية هي أساس التشريع ، مع احترام الالتزام بالشرائع الأخرى بالنسبة لأصحابها وأن ما يشتم من كلامه أنه اعتراض على هذه المادة كما يفعل البعض لا أفهم من ورائه سوى محاولة لتهميش الدين وتحجيمه ، وهو الهدف المقدس للعلمانية والعلمانيين .

أما حديثه عن أن العلمانية وحدها هي التي تدعو أن تكون المصلحة العامة والخاصة، فالموضوع محتاج لبعض التفصيل :

هل يدرك د خالد أن المصلحة العامة والخاصة في بلد يدين الغالبية الساحقة منه بدين سماوي هي في الاحترام الحقيقي لهذه الأديان

والاحترام الحقيقي للدين لا يتأتى إلا من خلال مقاييس دينية صحيحة ، وليس مقاييس علمانية ، العلمانية لا تفهم أن الدين هو سلوك حياة ، عندما تمنع دولة علمانية مثل فرنسا أو تركيا الحجاب بحجة أنه فرز طائفي ، وأجد في مصر المحروسة من يكرر هذه الدعوات مثل السيدة فريدة الشوباشي.

و الفرز الطائفي هو أن يبدو على الإنسان ما ينم عن دينه ، حتى ولو كان ذلك ليس من قبيل الاستعراض ولكن تنفيذا لأمر إلهي يؤمن أصحابه تنفيذه أمر واجب ، الدين في نظر هؤلاء عورة يجب التخفي بها ، حرية عقيدة نعم ، ولكن إياك أن يبدو عليك أنك مسلم أو مسيحي ، وهو ما يدعو إليه د. خالد نفسه ، تلبس دبلة فضة لا ، ترتدي الحجاب ، لا ، تعلق مصحفا أو صليبا لا ، فهل هذه الحرية التي ينادي بها هؤلاء العلمانيون ، وهل هذه هي الديمقراطية ، وهل هذه هي المواطنة ، وهل هناك أي مراعاة لمصلحة عامة أو خاصة؟ هل الحرية والمواطنة أن العري والشذوذ حق ، والحجاب يمتنع ، إذا لم يكن هذا هو الديكتاتورية والقمع والكبت فماذا يكون ؟

الدين على العكس لا يمنع إنسانا أن يمارس شعائر دينه كما يشاء ، يعلن عن دينه بكل حرية ، طالما لم يتجاوز هذا إلى اضطهاد او تعصب ، لأنه دين فهو يتفهم أديان الآخرين ، ليس كل ما أطلبه هو ما يروج له السادة العلمانيون أن علمانيتهم تقف على مسافة واحدة من جميع الأديان ، وهي مسافة أراها بعيدة وغير متفهمة بل ومعادية ، ليس كل ما اطلبه هو أن أتساوى مع رفيقتي التي تدين بدين آخر في كبت كلانا ، وحرمانه من الإعلان عن دينه أو ممارسة شعائره وهو كل ما تقدمه العلمانية في هذا الصدد .

الاحترام الحقيقي للدين لا يمكن أن يأتي من خلال هذه الصيحات التي تطلق فزاعة الدولة الدينية هذه الصيحات التي ترتفع بها أصوات من يطلقون على أنفسهم النخبة المثقفة ، وهي أقلية غالبيتها أقرب إلى العلمانية تسيطر على عقول الناس وثقافتهم من خلال مفاهيم أبعد ما تكون عن ديننا وعاداتنا وتقاليدنا الشرقية الأصيلة . وكأن كل ما كنا نعانيه من عقود هو سيطرة رجال الدين على الحكم

في ظل هذه العلمانية التي نعيشها فعلا لا يستطيع رجل الدين أن يرفع صوته ليعترض أو حتى يعلم الناس ويفتيهم فيما هو من خصوص مهنته ومسئوليته

لا يستطيع رجل الدين أن يحذر أو يفتي بأن الاستماع إلى مثل هذه المسلسلات التي لا تراعي حرمة شهر رمضان، والتي يرتفع فيها سقف العري ، والإباحية عاما بعد عام يمكن أن تضيع هذه الفرصة العظيمة التي يمنحها الله لعباده كل سنة للتخلص من ذنوب الماضي والرجوع إلى الله ، من حق هؤلاء المسيطرين على الدولة أن يحددوا هذا الشهر الكريم موعدا سنويا لبدء عرض مثل كل هذه الدراما ، ولكن ليس من حق المفتي أو شيخ الأزهر أن يفتح فمه ، بل عليه أن يتقبل ويروج لاختزال كل هذا المسخ الدرامي في كلمة إبداع حتى لا يعترض أحد ، هذا المسخ الدرامي هو الذي أراه مسئولا عن كل هذا التردي الأخلاقي والتحرشات التي أصبحت ظاهر عامة في بلادنا

في أحد مناهج الدين المقررة على المرحلة الثانوية كانت هناك مجرد ملحوظة صغير وهي أنه لا يجب أداء الصلوات أمام أجهزة التليفزيون لأن هذا يشغل عن الصلاة , وأن الأرض لن تتوقف عن الدوران لو أغلقت هذا الجهاز أثناء الصلاة ، أعتقد أن البعض سيتذكر كيف

صدرت الأوامر بشطب هذه العبارة من الكتاب ! وبعدها نقول إننا ما زلنا في حاجة إلى المزيد من العلمانية التي تحترم الدين، وليست ضد الدين

في ظل هذه العلمانية التي نعيشها من عقود تقلص دور الأزهر ، وتقلصت مناهج الدين في المدارس ، وما زال البعض ينادي بمزيد من التقلص والتهميش ، لأن الدين من وجهة نظرهم هو سبب كل هذه الفتنة والتعصب ، وما لا يفهمه هؤلاء أن المدارس هي المكان الأمثل لتدريس الدين من خلال مناهج محددة بعناية تقدم الدين بقيمه الحقيقية ، بعظمته ، وتسامحه ، والأخلاق المثالية التي يرسيها.

هؤلاء لا يفهمون أن الإنسان المتدين بالسليقة ، وبالجينات الوراثية ، إذا لم يعثر على بغيته بطريقة صحيحة سيبحث عنها بطريقة ضالة ، وأن كل هذا التطرف الذي نعاني منه لا يوجد له سبب سوى أن هذه الصورة المشوشة ، المشوهة للدين هي المتاح لمن يريد ،

العلمانية محاولة في سبيل الاستقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم ما وراء الطبيعة وعن المسلمات الغيبية :

هذا الموضوع قمت بالرد عليه تفصيلا

وحين نرفع شعار العلمانية هي الحل فلابد أن ندفع ثمن هذا الشعار كما دفعه الغرب منذ القرون جهدا ودماء ، فالعلمانية لا تقدم على طبق من ذهب أو تهبط هبة من السماء ، وأعتقد أننا ندفع الثمن حاليا ، فإما أن نشتري المستقبل أو نقع غرقى ديون الماضي إلى أبد الآبدين

اطمئن يا دكتور خالد أنا أشهد لك ولرفقائك العلمانيين أنكم لا تقصرون في هذا السبيل فأنتم في الحقيقة

تعملون معا بتناغم وتناسق ، ولا تعملون منفردين ، كلكم تكررون نفس الكلام ، وتستخدمون نفس الحجج ، وتتبنون نفس المواقف ، وتجتهدون في البحث والتنقيب عن كل ما يثير حفيظة المسيحي على المسلم بل البحث والتنقيب عما يسيء للدين نفسه ، تتظاهرون بمحاولة إطفاء النار وانتم تعمدون إلى وضع مزيد من البنزين ، والنتيجة ، ليست بالقطع ولن تكون مزيدا من التقدم كما تزعمون ، ولكن مزيدا من التائهين الذين لا يعلمون أين يضعون أقدامهم ، مزيدا من المواقع العلمانية التي تشتركون فيها والمواقع الإلحادية التي لا تجد خيرا من كتاب " وهم الإعجاز العلمي " لتحتج به على الدين نفسه من خلال هذا الشاهد من أهلها

والآن

إجابة على السؤال الذي جعلته عنوانا لأحد فصول كتابك ،وبالتالي هذا الكتاب أعتقد أن العلمانية كلمة غاية في القبح لمن يؤمن بالقرآن ككتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد , ولمن يؤمن بالله ويعرف ماذا تعني كلمة الله , وأن فكرة أن العلمانية من أكثر الكلمات تعرضا للظلم ، لأنها تعرض صاحبها لمقصلة التكفير حيث أنها في حقيقتها لا تتعارض مع الدين بل مع الكهنوت هو مجموعة من المغالطات الواضحة :

فأولا : أنا هنا لا أتعرض لدين حضرتك ولا دين غيرك ، لا يهمني حقيقة ما تدين أو لا تدين، فلم يعينني الله وكيلة ولا حفيظة على احد , لأن الدين شأن بين كل إنسان وربه هو الذي يعلمه ويقضي فيه .

ثانيا :أما الكلام الذي تروجه حضرتك فشيء آخر من حقي بل ومن واجبي أن أرى إذا كان يتفق مع مبادئ الدين أم لا، لأني إذا ما لم أعلم ما الذي يدخلني في دائرة الكفر فكيف اعبد الله

فإذا كانت علمانية حضرتك ترى أن القرآن يكرر كل المعارف العلمية الساذجة والمغلوطة التي كانت سائدة عصر نزوله، وأن الله يفعل ذلك ليتقرب إلى الناس وكأنه يستجدي الإيمان منهم ، وأن القرآن ويأخذ معلوماته التي لا أساس لها من أفواه القابلات ، وأن المعلومة الدينية الخالصة تتعارض مع العلم الحديث , وأن الدين حتى على مستوى التصرفات الشخصية هو سبب التخلف الذي نعيش فيه ، وأن الله ليس وراء هذا الخلق , بل من يروج لذلك لابد أن يكون مدلسا ، ففكرة خلق الإنسان من طين التي أكد عليها القرآن مصدرها أساطير الأولين كما يؤكد د. خالد .

فكرة بالغة السوء والسذاجة والضحالة والضياع عن القرآن الكريم وعن الله سبحانه وتعالى وعن الدين ككل ، في الوقت الذي نسبح بحمد دارون وكتاب دارون" أصل الأنواع،" الذي من لم يقرأه أو يقتنيه في مكتبته فقد فقد العلم والخير كله ، والذي من المعروف انه يقدم البديل عن فكرة الخلق وانتماء الكون إلى إله ، فماذا يمكن أن يكون الكفر أكثر من ذلك ؟ كل ذلك بينما لا يكف د. خالد منتصر عن لعن التدليس والمدلسين والنفاق والمنافقين !

والآن

الفصل السابع عشر

هل الدين هو المسئول حقا عن التخلف الذي نعانيه ؟

هل نحن متخلفون حضاريا ؟ نعم وفي كل المجالات ، في محال الصحة والتعليم والبحث العلمي والمواصلات والزراعة والصناعة والديمقراطية وكل ما هو من سمات الدول الحديثة .

هل يمكنني أن أضيف إلى كل هذا نوع آخر من التخلف ؟ نحن أيضا متخلفون دينيا ، ولابد أن يكون الأمر كذلك ، لا يمكن أن نكون على دراية حقيقية بديننا ، نطبقه كما يجب ، ونتبع ونحترم منهج الله ثم يكون هذا حالنا .

الدين يأمرنا أن نعمل، ونحن كسالى، نريد أن نحصل على النتيجة بدون عمل ، يأمرنا أن نأخذ بالأسباب التي يسرها ، يأمرنا يتحمل المسئولية التي سنحاسب عليها أمام الله ، يأمرنا بالعدل ، يأمرنا بالمساواة ، يأمرنا بالرحمة ، بالتكافل الاجتماعي ، يأمرنا بتقبل الآخر .

د.خالد منتصر لا يرى في كل كلامه إلا أن انشغالنا بالأمور الدينية حتى ولو كانت مشروعة ، مثل تحري الحلال والحرام في سلوكياتنا ، والحديث عن فوائد البنوك ، والحجاب هو الذي يحول بيننا وبين التقدم وكأنه ليس أمامنا إلا احد خيارين ، إما الدنيا ، وإما الآخرة التي لا نرى من كلامه أنها يعيرها كبير اهتمام ، حتى أنه لا يتفهم مثل هذه الدوافع الأخروية التي تحكم في كثير من الأحيان سلوكياتنا

هذه نوعية من آرائه ، أما النوعية الأخرى فهي أنه لا يقصر في الحديث عن الفتاوى البعيدة عن روح الدين ، والتي هي سمة التخلف الديني المتجمد ، أو السلوكيات التي تنم عن عدم فهم حقيقي للدين ليلقي عليها بالمسئولية كاملة لكل ما نعانيه ، ومع أن تأثير هذا كله حقيقة في النهاية هو أضعف ما يكون كما سأوضح ، فبالإضافة إلى هذا د. خالد لا يفهم أن كل ما يتحدث عنه هو في الواقع مظاهر للتخلف الديني ، مثله مثل كل أنواع التخلف الأخرى وليس هو السبب فيها كلها كما يحاول أن يفهمنا ، نظرة سطحية للأمور كالعادة .

وقبل أن أستعرض شيء من مظاهر التراجع الحضاري عندنا لنرى إذا كان الدين فعلا هو المسئول عنها سأوضح فكرة غائبة عن د. خالد وطريقته في فهم الأمور :

نحن نتحدث دائما عن تقدم الغرب الذي تسيطر عليه العلمانية ، حتى إن البعض ، مثل د. خالد لا يعزي إلا لهذه العلمانية ، والفصل التام بين الدين والدنيا ، لدرجة تهميش الدين

نفسه وانتشار الإلحاد كل أسباب هذا التقدم ، وعلى ذلك فكما يقول أننا علينا أن ندفع ثمن هذه العلمانية غاليا لأنها لا تأتي هكذا بدون تعب ومجهود ، وإلا وقعنا غرقى في ديون الماضي إلى أبد الآبدين ، هكذا ، إما تقدم وعلمانية ، أو دين وتخلف ، فهل فعلا العلمانية هي سبب التقدم ؟

لماذا تقدم الغرب ؟ ببساطة شديدة لأنهم أخذوا بأسباب التقدم ، والحقيقة انه ليس من أسباب التقدم تهميش الدين ، والانطلاق بعيدا عنه ، هذه نظرة سطحية ،مبنية على تداعيات ما كانت تفعله الكنيسة في العصور الوسطى مما لا يمكن وصفه بمسئولية الدين نفسه عما كان يحدث ، ولكن مسئولية التحكم في العلم والعلماء واضطهادهم ، والتعسف والقهر والتنكيل باسم الدين ، هل كانت مثل هذه التداعيات لتحدث لو كان هؤلاء تفهموا العلاقة الحميمة بين العلم والدين وبدلا من ذلك شجعوا العلماء ويسروا لهم كل السبل ، تماما كما كان يحدث في عصر الازدهار الحضاري الإسلامي ، فكما تقول الكاتبة البريطانية " كارن أرمسترونج " كانت المسافة بين تقدم بلاد الأندلس ، وتخلف ما حولها يقاس بالسنين الضوئية .

الغريب أنه وعلى مدار التاريخ لم يكن الدين وحده هو الذي ارتكبت جميع المخالفات باسمه ، ولكن كانت هناك دماء تسفك باسم الحرية ، وباسم الديمقراطية ، حتى قيل أيتها الحرية كم من الدماء سفكت باسمك ، ومع ذلك لم يناد أحد بتنحية الحرية جانبا لأنها سبب كل هذا ، الكل تفهم الحقيقة ، فلماذا الدين بالذات ؟

كما قلت سابقا ، لا يمكن أن يحدث تقدم علمي وحضاري إلا في ظل منهج الله وتطبيق صحيح له ، الله خالق الكون ، هو اعلم بما يصلحه ، القول بفصل الله ، وما شأن الله بالدنيا قول ينم عن جهل شنيع وسذاجة فكرية .

فإذا قيل وكيف يقال إن هؤلاء العلمانيين المتقدين جدا علميا وحضاريا يطبقون منهج الله ؟

نعم يطبقون هذا المنهج : يعملون بجد وإخلاص ، ويأخذون بالأسباب فيعرفون جيدا قيمة العلم ويشجعون العلماء ، ، يحترمون الإنسان وإنسانيته وحقه في الحياة والحرية والكرامة ، يحترمون القوانين ، يطبقون العدل والمساواة ، يحترمون الرأي الأخر ، هل يخرج كل هذا عن منهج الله ؟

كل ما في الأمر أنهم لا يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله أو لأسباب دينية ، بل لأنهم وجدوا هذا المنهج هو الصواب ، دو أن يعنيهم ارتباطه بالله في شيء ، فكانت النتيجة أنهم حصلوا على ثمرته الدنيوية الشهية ، واقتصر الأمر عندهم على هذا .

نحن على عكسهم ، قصرنا في تطبيق كل هذا ، والنتيجة طبعا هي حرمان من أي ثمرة ،دنيوية أو أخروية ، بل تقصير ديني سنحاسب عليه .

ألم نقرأ قول الإمام محمد عبده وهو يتحدث عن أوروبا : وجدت هناك إسلاما بغير مسلمين وهنا مسلمين بلا إسلام ، ما ذكرته هو عين ما عناه الإمام .

ثم ألم نقرأ قول ابن تيمية / إن الله لا ينصر الأمة الظالمة وإن كانت مؤمنة ، وينصر الأمة العادلة وإن كانت كافرة ، لماذا .

لأن الأمة المؤمنة وإن كانت مؤمنة في العقيدة فهي لم تطبق شرع الله ومنهجه في إقامة العدل ، فلا ينصرها الله ، أما الكافرة ، ففي هذه الجزئية طبقت منهج الله وشريعته ، ليس لاعتبارات دينية وعلى ذلك فالله ينصرها دنيويا .

وعلى ذلك فأنا لا أتفهم دعوة البعض ، حتى من المتدينين أن نحذو حذو هؤلاء ، بعيدا عن الدين حتى نتقدم مثلهم ، لماذا ؟ إذا كان الدين لا يتعارض مع هذا بل على العكس هو منهج الله ، فلماذا نقلدهم في هذا الفصل الديني الدنيوي ؟ ، ولماذا تكون الثمرة الدنيوية هي كل ما نبتغيه ؟، لماذا ، لا نفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ؟، واتكالا عليه وأخذا بأسبابه حتى نحقق التقدم والتحضر؟ ، ونجمع بين الحسنيين ، وإن كانت الآخرة خير وأبقى .

والآن هل فعلا الدين أو انشغالنا بالأمور الدينية هو السبب لهذا التراجع والتخلف الحضاري في جميع المجالات ؟

بالنسبة للصحة مثلا : د. خالد منتصر ما أكثر ما ركز على حديث الذبابة وكأنه هو السبب في كل هذا التردي في مجال الصحة الذي نعانيه و على فرض أن هذا الحديث يعني فعلا هذا الفهم الكارثي الذي يفهمه د. خالد وهو الاسشفاء بجناح الذبابة أسأله :

: كم مرة في حياته الحافلة رأى إنسانا يستشفى بجناح الذبابة ، كم مرة رأى إنسانا غنيا كان أو معدما يتصيد الذباب في وعائه ليستشفى به ؟ الإجابة التي لا أشك فيها أنه لا هو ولا احد ، فلماذا التركيز الشديد على هذا الحديث كنموذج لكيف أن التمسك بمثل هذه الأمور الدينية هو سبب كل ما نقاسي ونكابد في مجال الصحة والمرض والتداوي ؟

التخلف الصحي الشديد في بلادنا يظهر في صورة مستشفيات متهالكة نصفها آيل للسقوط على رءوس المرضى والأطباء ، بالإضافة إلى ما تعانيه من القذارة الشديدة ، حشرات ومجاري تطفح ، ، لا يوجد بها إمكانيات ولا أدوية مرضى يفترشون الأرض ، طوابير تنتظر العلاج يقرع آذانهم السباب والمعاملة المهينة ، وضع غير آدمي ، أطباء بائسون لا يحصلون على ما يكفي حاجاتهم الضرورية ، أما الممرضات فحدث ولا حرج ، هذا فضلا عن النقص شديد في عدد المستشفيات ودور العلاج ، عدم وجود منظومة تأمين صحي مثل البلاد المتقدمة ، بل وعدم اعتبار أن الحصول على العلاج والخدمات الصحية أصلا هي حق أصيل للمواطن ، كل ما لا يخفى على الجميع ، أريد أن أسأل ما هو دور حديث الذبابة في كل هذا ؟ هل كان كل وزراء الصحة المتعاقين أو من يليهم في المناصب حتى الطبيب والممرضة من رجال الدين يحرم العلاج الحديث ،و يصر على استخدام جناح الذبابة ؟، أم أن هذا الإصرار هو حال المرضى الذين يرفضون ولا يعترفون بأي تقنية

طبية حديثة يجتهد كل المسئولين في إقناعهم بها ؟ هل كان أحد وزراء الصحة المتعاقبين يتعبد في المسجد لا يفارقه ويكل أمر وزارته إلى الله ؟ أم أن فضيلة المفتي قد أصدر فتوى بحرمة العلاج الحديث ، أو صرح بأن طلب العلاج تدخل في إرادة الله ؟ أم أصدر فتواه أن بناء المساجد أولى من العلاج في المستشفيات ، على العكس ، ما أكثر ما رأينا على شاشات التليفزيون فضيلة المفتي وهو يدعو للتبرع لبناء المستشفيات وشراء الأجهزة الطبية التي تقصر إمكانيات الدولة عنها ، غالبا لأنها نهبت ، أو لإنفاقها في غير موضعها ، هل تعلق الناس بالدين هو السبب ، يرفضون كل الأدوية والإجهزة الحديثة ، التي شقى المسئولون في استجلابها ،ويصرون على العلاج بالحجامة والاستشفاء بجناح الذبابة كما يفهم د. خالد الحديث النبوي ! لماذا إلصاق التهم كلها بالدين ، أليس هذا إلا لأن الدين فعلا هو المستهدف من كل هذا ؟ أليس هذا كما أقول هو نوع من التعلل والتمحك بمصلحة الوطن وتحقيق التقدم لتهميش الدين نفسه ، من يهمه امر هذا البلد كما يدعي عليه أن يبحث عن الأسباب الحقيقية للتخلف الذي لا أرى أن المسئول عنه رجل دين واحد أو آية قرآنية أو حديث نبوي ، فعلام تعتمد دعوى الفصل بين الدين والدنيا ، وما هي طبيعة هذا الفصل المفترض ، ما وجه التشابه بين حالنا الآن وحال أوروبا في العصور الوسطى حتى نتمثل بها لننطلق انطلاقها ؟

بالنسبة للتعليم ، الوضع لا يقل سوءا ، لا أتصور أن دولة في العالم يكون الخير لطلاب العلم فيها أن يحتالوا بإجازات مرضية أو تحويل منازل ليتجنبوا ضياع وقت مذاكرتهم الثمين في مثل هذه المدارس ، مناهج متخلفة ، تقلص الدور التربوي للمدرسة ،الاستخفاف بالمعلم ، فقر مدقع يؤدي إلى التسرب من التعليم ، أمية متفشية ، خريج بعض الكليات لا يستطيع كتابة عبارة سليمة لغويا وإملائيا ناهيك عن الغش الجماعي ، وضرب المدرسين ، لماذا ، هل أيضا كان وزراء التعليم من رجال الدين ؟ هل يقحم المفتي نفسه في اختيار المناهج ، ؟ هل يرفض الاعتراف بالنظريات والحقائق العلمية الحديثة ويصر على أن الشمس هي التي تدور حول الأرض ويعتبر خلاف ذلك كفرا ؟ على العكس حتى منهج الدين المتقلص الهزيل ،لا يستطيع أن يقول فيه كلمته ، فكيف نفصل الدين هنا حتى يتحقق التقدم المنشود .

البحث العلمي هل يوجد عندنا حقا ما يسمى بحثا علميا أو وزارة لمثل هذا البحث ، هل لها ميزانية معقولة تستطيع من خلالها أن ترعى هذه الأبحاث ، هل يحصل الباحثون فيها على ما يستحقونه ، بل هل تجد رسائل الدكتوراه والماجستير التي يحصل عليها الباحثون كل يوم بأعداد لا تحصى ونفقات يتكبدونها من عرقهم سبيلا إلى الاستفادة منها والتطبيق العلمي وأي فائدة غير الحصول على الدرجة المطلوبة ثم تقبع بعد ذلك مع غيرها في الأدراج ، كيف أدى إقحام الدين في شئون الدولة لكل هذا ؟

ثم هل نحن بلد ديمقراطي ؟ أعتقد أن هذا سؤال يثير السخرية والاستهزاء، لماذا كان كل هذا التدهور الديمقراطي ؟ هل كنا نطبق مبدأ الشورى الإسلامية الذي ينتقده حضرة الطبيب و كما يفهمه حضرته ، ألم يكن لدينا مجلس شعب ومجلس شورى يتم انتخابه على

غرار النظام الغربي العلماني الديمقراطي الذي هو مدلهم به ؟ ألم يكن لدينا رئيس جمهورية يتم تعيينه بنظام الانتخاب الأوروبي بل وعلى الطريقة الأمريكية وليس بطريقة المبايعة الإسلامية ، هل كان إقحام الدين في السياسة هو الداعي إلى كل هذا التزوير والتزييف لإرادة الشعب في الانتخابات ، أو إلى صورية مجلس الشعب وهزليته

هل كان أحد المسئولين في هذه الوزارات من رجال الدين أصلا : لا أخالف الحقيقة إذا قلت إن معظمهم ليس له شأن أو اهتمام كبير بالدين ، بعضهم لا يصلي ركعة إلا أمام الكاميرا عندما يكون هناك احتفال يصور تليفزيونيا ، الكثير منهم أقرب إلى علمانية د. خالد ومع ذلك لم نر من أحدهم شيئا مختلفا

هل كانت أفعال هؤلاء الحكام التي أدت لقيام هذه الثورات تجري حتى زورا ، وبهتانا باسم الدين ؟

كيف نصف تزوير الانتخابات التي جرت في أواخر حكم مبارك والتي تمت بكل الصفاقة والتحدي لإرادة الشعب .

وكيف نصف بيع أراضي مصر بأبخس الأثمان لحفنة من رجال الأعمال بل كيف نصف بيع أهم المصانع في مصر ، تلك الصروح الاقتصادية العظيمة ، بأسعار لا يمكن تخيل هبوطها ليتم تفكيكها وتباع كخردة ثم تعامل المساحات العظيمة من الأراضي المقامة عليها تلك المصانع ، كأغراض تجارية بحتة يحتفظ بها حتى ترتفع قيمتها أضعافا مضاعفة ، تخريب لاقتصاد مصر في أسوأ صورة .

وكيف نصف السجون المليئة بآلاف المعتقلين والذين كانوا يعانون لسنين عديدة كل أصناف العذاب المهين المبتكر في ظل قانون طوارئ استمر ثلاثين عاما .

كيف نصف حرمان شعب من الحرية الحقيقية والديمقراطية الحقيقية ، ونهب ثرواته وبيع بعضها مثل الغاز الطبيعي مدعوما لشعب إسرائيل بينما يهلك مواطنوا البلد في طوابير أنابيب البوتاجاز.

كيف نصف استيراد القمح الذي لا يصلح للاستهلاك الآدمي والمسبب للسرطان لصالح جيوب بعض رجال الأعمال ، وكيف نصف استخدام المبيدات المسرطنة ، وغيرها وغيرها .

هل يمكن أن نصف كل تلك الممارسات أنها تنتمي إلى أي دين بل الأقرب أنها تنتمي إلى العلمانية التي يبشر بها د. خالد وليس الدين ،

الحمد لله لم يزعم أحد منهم أنه فعل ما فعل باسم الدين ، لو استعان احدهم بآية قرآنية أو حديث شريف يبرر به ما فعل زورا وبهتانا لهاج طبيبنا وماج ، واتخذ من هذا التزييف دليلا دامغا على ما يفعله الدين بالسياسة ، ونادى بإقصاء الدين المتسبب في كل هذه المعاناة ،ولكن ولأن براءة الدين من كل هذه الشبهات التي يروج لها د. خالد أنصع من أن يتجاهلها

الأعمى ، ولأن الدين في نفوس هؤلاء بلغ من التهميش لدرجة أنه لا يجدونه أهلا حتى ليتذرعوا به ، فقد تعامى طبيبنا عنها تماما ، وتجاهلها ، هل هو حقا لا يراها ، أم هو يشك كثيرا في قدراتنا العقلية وفي بصيرتنا ؟ وأسأله سؤالا آخر:

هل يعتقد أن الله كان حاضرا في عقل وضمير جميع المسئولين عن هذا الوطن من أول رئيس الجمهورية إلى وزرائه المختارين ، إلى أعضاء لجنة السياسات المرموقين ،إلى أعضاء مجلس الشعب والشورى البارزين ، هل لو كان الله حاضرا في قلوبهم لوجدنا هذا التردي في جميع الخدمات والأوضاع ، لو كان أحدهم يعلم أنه سيقف أمام الله ليحاسبه على مستوى الذرة والهبأة هل ستكون هذه طريقة حمله للمسئولية الثقيلة ؟، هل كنت ستجد كل هذه العشوائيات التي تقول أنت نفسك عنها أن أصحابها لا يتمتعون بما تتمتع به الخنازير في الدول الأجنبية؟ ، هل كنت ستجد هذه النسبة العظيمة من المساكين تحت خط الفقر؟ ، هل كنت ستجد هذه الأمية المتفشية التي تنخر في عظام الوطن ؟، كل هؤلاء العاطلين ؟ ، المرضى الفقراء ؟، أطفال الشوارع ؟ التعليم المتردي ؟ الاقتصاد المريض ؟ وعلى هذا أعتقد أن هذا الوضع هو الأحق بتهليل الدكتور خالد وصياحه وتسجيله لعلمانية مصر في هذه الفترة هنا وليس فترة حكم النحاس

الله ليس له دخل بالسياسة ، تماما كما يحب د. خالد أن يكون الحال ، ولكن لأن هذه الفترة هي من أسوأ فترات التاريخ في مصر فلا يمكن أن ينسب سيادته إليها أية علمانية .

والآن لنناقش فكرة أخرى من أفكار د. خالد منتصر: هل ارتداء الحجاب ، أو تحري الحلال والحرام في أمور الدنيا ، والسؤال عن فوائد البنوك ، هو الذي جعلنا نتشاغل بهذه التفاهات عن تحقيق التقدم المنشود .

هذه النظرة السطحية هي ما فتئ يرددها د. خالد ، العالم المتقدم يتحدث الآن عن الخلايا الجذعية ونحن نتحدث عن البنوك ولا أدري ما دخل الخلايا الجذعية بموضوع البنوك ، هل يريد أن يفهمنا أن اهتمامنا بموضوع الحلال والحرام بالنسبة لإيداع أموالنا في البنوك هو الذي يشغلنا عن متابعة التقدم العلمي العالمي والسير في ركبه ، ولماذا البنوك تحديدا ؟ ،

لماذا لا يتهم هذا الهوس بالكرة الذي يؤدي أحيانا إلى التصادمات والحوادث ، أو هذا التعلق الزائد بالأغاني الهابطة ، أو تضيع الوقت في محلات الكمبيوتر وأمام شاشات التليفزيون لساعات متأخرة من الليل ، وفي التسكع في الشوارع ، وفي المعاكسات والتحرشات ، وفي الحديث في الموبايل او التليفون بالساعات ، أو تحويل كل التكنولوجيا المفيدة التي نستوردها من الخارج إلى ما يضيع أوقاتنا ويهدر طاقاتنا حقيقة.

الوقت عندنا ليس له قيمة ، وكأن التفنن هو في كيف نقطعه ، وفي الدول الأخرى تنظر إليه كما يوجهنا الدين نفسه على انه ثروة ، وأن الإنسان نفسه عبارة عن دقائق وثواني ، كلما مرت واحدة منها فقد الإنسان شيء من نفسه ، هكذا يقول الدين .

ولكن د. خالد لا يشقيه ولا يتعبه إلا هذا الوقت الذي يضيع أو نهتم فيه بمثل هذه المسائل الدينية ، أو هذا الاهتمام نفسه ، هذا سبب كل هذا التخلف

كنت سأفهمه لو قال ، العلم الآن يتحدث عن الخلايا الجذعية والعلاج بالجينات واستخدام الليزر ونحن ما زلنا في القرن الواحد والعشرين ما زلنا نعاني من البلهارسيا التي تفتك بنا بشريا واقتصاديا ، أو تلوث مياه الشرب واختلاطها بالصرف الصحي ، أو تلوث مياه النيل بمخلفات المصانع ، أو عادم السيارات الذي لا قانون يحد منه والذي يجعل من كل المواطنين مدخنين بالإكراه ، أو الأغذية التي لا تصلح لاستهلاك الآدميين والقمح الملوث والمبيدات المسرطنة ، أو السحابة السوداء أو عادم المصانع الموجودة في أماكن سكنية، لماذا نتعامى عن كل هذا ولا نلقي بكل اللائمة إلا على البنوك ؟

إذا كان د. خالد لا يفهم اهتمام إنسان بالتأكد من مصدر ماله إذا كان فيم يرضي الله أو يسخطه حيث يؤمن أن هذا المال هو مال الله الذي هو مستخلف فيه ، وأن الله وحده هو الذي يحدد كيف يكون مصدره حلالا أو حراما ، وأنه يؤمن إيمانا راسخا أنه أمام نفس هذا الإله وحده ليحاسب على مستوى الهبأة والذرة عن ماله كيف اكتسبه وفيم أنفقه ، إذا لم يكن لديه مثل هذه الاعتبارات فليس من حقه أن يصم من لديه مثلها بأنه سبب تخلف حضرته ،

فليتأكد تماما وليطمئن أنه ليس اهتمام هذا المخلوق بمصدر ماله وليس تحريه عن البنوك هو الذي منعنا أن نتحدث في الخلايا الجذعية ، من الممكن أن أكون عالما في الخلايا الجذعية واهتم كل الاهتمام لأتأكد إن كان إيداعي أموالي في البنك حلال أو حرام ليس معنى أن يفتح الله علي بشيء من علمه أن أدعي أنني قد أوتيته على علم عندي ، وأول من أعلن حربي عليه هو الله وشريعته ,

ثم ألم يلفت نظره في موضوع البنوك هذا الذي يركز عليه، ما يحدث فيها نفسها مما يؤدي إلى تخريب اقتصادنا كل هذا التخريب ، والذي كان يجري على قدم وساق وقت أن ألف كتابه " وهم الإعجاز العلمي " ؟

لماذا كل ما يؤرقه هو موضوع فوائد البنوك ويتعامى عن هذه القروض التي كانت تمنح بالمليارات بدون ضمان للمخربين الذين يشترون بها مصانعنا ومشاريعنا الإستراتيجية الهامة بأبخس الأثمان ليخربوها ويبيعوها خردة ثم ينتظرون ليبيعوها كأرض قفراء بأغلى الأسعار .

أو يشترون أراضي الدولة بلا ثمن ويتاجرون فيها على حساب المطحونين والمساكين والبؤساء هل يعيش في هذه البلد؟

، كيف لا يقرع أذنيه كل هذه المآسي التي ترد على أسماعنا صباحا ومساء، لماذا لا يسخر قلمه إلا لمحاربة الدين وأهله ؟ ، هل هذه هي الغيرة على مصلحة الوطن ؟.

، هل مازال بعد كل هذا يرى أنه من حقه أن ينصب نفسه قيما على عقول مواطنيه ؟ إذا كان يرى هذا ، فليتأكد أن الآخرين ينظرون إليه نفس النظرة ، هم أيضا يرون فيه الغافل والمغيب أما من المحق ومن المخطئ فمن المؤكد أن الله هو الذي سيفصل فيما نختلف فيه .

الفصل الثامن عشر

دارون وعبقريته !

معذرة إن كنت سأطيل في هذا الموضوع لأنه عليه تعتمد كل حجج وترويجات العلمانيين لعلمانيتهم

من أقوال د. خالد منتصر المأثورة :

إذا كنت قد قرأت جميع مسرحيات شكسبير وروايات ديستوفيسكى ونجيب محفوظ وقصص تشيكوف ويوسف إدريس وحفظت كل أشعار المتنبى وطاغور وإليوت وجوته، فأنت مازلت للأسف نصف مثقف بلغة هذا العصر لأنك تجاهلت نظرية التطور، وإذا لم تضم مكتبتك كتاب «أصل الأنواع» لداروين، فمكتبتك مازالت مكتبة فقيرة تعانى من الجفاف والأنيميا حتى ولو اكتظت رفوفها بمئات الآلاف من المجلدات!

إنه الكتاب الصدمة، ثورة ما بين غلافين، ثورة كان سلاحها الحبر والورق، والأهم سلاح الفكر المتحرر من البديهيات المسبقة، الإبداع الذي لا يعترف بصدق الفكرة إلا من خلال عدد الأدلة العقلية التي تؤيدها وتثبتها وليس من خلال عدد البشر الذين يعتنقونها، سلاح الجسارة والجرأة والاقتحام من عبقري اسمه تشارلز داروين.

كان واثقاً، رغم عاصفة الهجوم والسخرية، بأن التاريخ سينصفه، وبأن الكنيسة ستعتذر له، وبأن علم البيولوجيا الجديد سيقوم على أكتافه وسيولد من جديد من رحم أفكاره الثورية، وبأن كل مريض زرع له كبد أو قلب أو تم إنقاذه بدواء أو جراحة مدين لفكرة التطور العبقرية التى أهداها لكون يحارب الجديد، ويعاند التطور، وينتشى ويستلذ بالاستقرار، والمدهش أنه كتب بجانب شجرة الحياة التى اقترحها ورسمها فى كتابه «أنا أعتقد»، وكانت هذه العبارة هى كلمة السر وشفرة الخلود فى منهج التفكير العلمى، فهو لم يمارس الكهنوت ويقول أنا متأكد من خلال نصوصى المقدسة،

ولكنه مارس الاعتقاد الذى يحتمل الصح والخطأ وليس الحرام والحلال، وكان يردد «إنى لأرى على وجه اليقين أن كثيراً جداً من كتابى سيسقط، ولكنى آمل أن يظل العمل فى مجمله باقياً على مر الزمن»، كان يعرف أن فكرته مازالت تحتاج إلى كثير من التفاصيل لملء فجواتها.. والمدهش أن العلم مازال فى كل لحظة يهدى داروين مزيداً من التفاصيل التى تؤيد نظريته وتجعل منها حقيقة علمية فى منزلة كروية الأرض ولها نفس المصداقية.

أسلوب د. خالد منتصر هنا يعكس بوضوح إحدى السياستين التين ينتهجهما في عرض أفكاره وهي سياسة الترويج بطريقة تهويلية لما أو من يتفق معه ، أما السياسة الأخرى

فهي التشهير والتجريح المبالغ فيه أيضا لكل ما يختلف معه ، أسلوب يفتقر إلى الموضوعية والنضج .

هو هنا يصف لنا هذا الإنجاز العلمي العظيم الذي لم تعرف البشرية مثله ، حتى إنه ينظر إلى الكتاب الذي يتحدث عنه على انه يمثل نصف ثقافة العالم عبر التاريخ ، أما صاحب الإنجاز فحدث ولا حرج ، إنه دارون العبقري العظيم ، الذي نقل علم البيولوجي ،هذه النقلة الخارقة من خلال هذه النظرية الألمعية المعروفة بنظرية دارون أو النشوء والارتقاء ، هذا الذي حول الفكر البشري من العداء للتجديد ومحاربة التطور ، إلى الانطلاق ، حتى إن كل مريض ينقل له قلب ، أو يزرع له كبد ، أو يتم إنقاذه بدواء أو جراحة لابد أن يكون مدينا لهذه الداروينية ، فقبلها لم يكن هناك شيء اسمه علم ، لم يجرؤ أحد على مخالفة ما هو شائع من علوم أو أفكار ، الحقيقة د. خالد منتصر يصور لنا الداروينية على أنها بداية عصر النهضة والإصلاح الديني الذي قلص سلطة رجال الدين والكهنوت، فهو لم يمارس الكهنوت ويقول أنا متأكد من خلال نصوصى المقدسة،

ولكنه مارس الاعتقاد الذى يحتمل الصح والخطأ وليس الحرام والحلال،

ولست أدري إذا كان التطور هذا موضوعا علميا بحتا أتي بعد فصل الكنيسة عن الدولة بقرون ، فعلى أي أساس يعقد د. خالد هذه المقارنة العجيبة بين النصوص المقدسة ، والنظريات العلمية ؟ بالطبع ليس هناك سبب إلا أن هناك تداعيات دينية وراء هذه النظرية يتبناها د. خالد ، وأعتقد أنها السبب الأصلي وراء كل هذا التحمس الزائد لهذه النظرية .

الغريب ان د. خالد منتصر الذي ما أكثر ما صدعنا بمثل هذه العبارات :

"منهج العلم مختلف عن منهج الدين وهذا لا يعيب كليهما ولا يعني بالضرورة أن النقص كامن في أحدهما ، فالمقارنة لا محل لها ومحاولة صنع الأرابيسك العلمديني بتعشيق هذا في ذاك محاولة محكوم عليها بالفشل مقدما فالعلم هو تساؤل دائم أما الدين فيقين ثابت ، العلم لا يعرف إلا علامات الاستفهام والدين لا يمنح إلا نقاط الإجابة ، كلمة السر في العلم هي القلق ، أما في الدين فهي الاطمئنان ، هذا يشك وهذا يحسم "

"والعلم منهجه متغير وقابل للتكذيب والتصديق ويطور من نفسه بمنطقه الداخلي ، وربطه بالدين يجعل الدين عرضة للتكذيب والتصديق هو الآخر"

يأتي هنا ليناقض نفسه تماما ، فبينما يتشكك في طول كتابه وعرضه في صحة الآيات القرآنية ، وخصوصا بداية خلق الإنسان من طين لأنه موضوعنا الآن ، بل إن الأمر عنده قد تجاوز مرحلة الشك إلى مرحلة النفي المؤكد ، يأتي هنا ليحدثنا عن هذه النظرية العلمية ، التي لا يمكن وصفها إلا بأنها نظرية ، بل يرفضها الكثير من العلماء الغربيين أنفسهم ، ويطلقون عليها علم الخرافة : ""mythologyليصفها بأنها حقيقة علمية فى منزلة كروية الأرض ولها نفس المصداقية.

فما هي نظرية دارون هذه التي تمثل كل هذه الثورة العلمية :

النظرية باختصار هو أن الزمن وطوله وامتداده لمئات الملايين من السنين كفيل وحده بصنع المعجزات !، بدأت الحياة بصورة تلقائية نتيجة لتفاعلات معقدة في جو الأرض الأول أسفرت عن خلق المادة الحية التي بدأت ، بخلية واحدة ، يعني كائن من خلية واحدة تطور أيضا بفعل الزمن إلى كائنات أولية عديدة الخلايا لا فقاريات ، ثم استمر التطور وظهرت الفقاريات التي بدأت بالأسماك التي تطورت إلى البرمائيات ثم إلى الزواحف ثم تطورت الزواحف إلى طيور والطيور إلى ثدييات ، وكان المحرك لكل هذا ، هو قانون الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح ، أي أن الكائن الأقدر على التكيف مع ظروف الحياة ، ولا يشترط أن يكون الأقوى كما يشرح د. خالد في أحد مقالاته، هو الذي لديه فرصة أكبر ليبقى وتورث صفاته ، أما الأفراد الأخرى فبموتها ستختفي صفاتها ، وبتكرار هذه العملية نشأت الأنواع المختلفة .

النظرية تقول إن جميع الكائنات قد نشأت عن أصل مشترك واحد ، ثم حدث التفرع بعد ذلك والتطور حتى وصل إلى الإنسان الذي يحتل قمة شجرة التطور .

هذه هي النظرية باختصار، ولكنها لم تكن أبدا مجرد نظرية علمية، أو حتى حقيقة علمية ، شأنها شأن كل حقيقة أخرى ، لم تكن أهميتها كما يصورها د. خالد أنها فتحت آفاقا في العلم ، أو أدت إلى ثورة كانت كل ملامحها علمية ، تسببت كما يقول في قفزة علمية غيرت نظرة العالم للعلم ويرجع إليها الفضل في كل دواء يبتكر أو كبد يزرع . لو اقتصر الأمر على هذا أو كان هذا فعلا هو حقيقتها وجوهر أهميتها ، فمن كان يمكن أن يعترض ؟

ولكن المشكلة أن هذه النظرية كانت دائما المقابل لفكرة الخلق الإلهي ، هذه النظرية في نظر الكثيرين ممن يؤمنون بها و يعتنقونها ويدافعون عنها بشراسة إيمانا يفوق أحيانا إيمان أصحاب الأديان بأديانهم هي التي قننت الإلحاد وجعلته في صورة علمية ، لأنها قدمت البديل عن التفسير الديني لوجود هذا الكون ، وكل ما فيه من صور حياة لا تحصى بتفسير علمي لا يحتاج لقوة عليا خارقة .

ومع ذلك فليس كل المؤمنين بهذه النظرية أو المدافعين عنها من هذا الفريق، ولكن هناك الكثيرون من المؤمنين بالله وبنسبة كل تفصيلة في هذا الكون إلى إله خالق مبدع ، ولكنهم يتناولون الموضوع بطريقة مختلفة ، فهم لا يصفون التطور بأنه عملية تلقائية ، حدثت بدون قوة عليا ، ولكن يصفونه بأنه تطوير وليس تطور ، بمعنى أنه حدث نعم ولكن وفق وبتدبير إرادة عليا ، وهم في هذا لا يكتفون بمجرد تبنيهم لهذه الفكرة ولكن يدللون عليها بأدلة علمية يعارضون فيها الكثير مما كان يتبناه دارون من أفكار ، ويقيمون الحجة على خطأ نظرية دارون بصورتها الإلحادية أو التطورية ، وصحتها بصورتها التطويرية .

والآن أريد أن أسأل د. خالد سؤالا محددا ؟ إذا كان هو فعلا يؤمن بنظرية دارون كل هذا الإيمان ، ويدافع عنها بكل هذه الحرارة ، فإلي أي الفريقين ينتمي ؟ هل يعتقد أن الكون نشأ وتطور ، بطريقة تلقائية ، تخلو تماما من أي فعل إلهي ، هل كانت هذه الثورة العظيمة التي يمتدح عبقرية صاحبها هي في استبدال الفكرة العتيقة ، فكرة الإله الخالق ، بفكرة التطور الذي يعزى إليه وجود كل ما في الكون بدون إله وبأفعال تحكمها الصدفة ؟

أم أنه يؤمن أن هذا مثل ما يقول الكثيرون قد تم بإرادة إلهية ، شأنه في ذلك شأن كل قوانين الطبيعة الأخرى التي نعرفها ، والتي نفهم أن الله أمضى مشيئته من خلالها ليكون الكون وهذه الدنيا التي نحياها بهذه الصورة ؟

هنا أنا متأكدة أن الدكتور خالد ليس بإمكانه أن يدعي غير ما يعتقد حقيقة ، لن يمكنه أن يتظاهر بعكس ما يؤمن ، والسبب ، أن أي إنسان والكلام ليس عليه تحديدا ، ممن يروج لدارون ونظريته ، ويدافع عنها لها بكل ما أوتي من قوة ، أكثر ما يكون بسبب أنها تقدم البديل عن فكرة الله ، لن يكون بمقدوره أن يتخلى في لحظة عن كل هذا المجهود فيعلن أنه يؤمن بالتطوير الذي حدث عن طريق إرادة إلهية قادرة .

ولا يعترض أحد على توجيه مثل هذا السؤال بحجة ، أنه يحوي تعرضا لدين الإنسان الذي ليس من حق أحد أن يحاسب احد عليه ، فالمسألة ليست كذلك على الإطلاق .

الموضوع أصلا علمي ، ويترتب على تبني أي من الفكرتين قناعة علمية مخالفة للقناعة بالفكرة الأخرى ، كل منهما لديه أدلة علمية ، ربما ترد على الأخرى .

الموضوع أن إجابة د. خالد هي التي ستحدد طريقة المناقشة معه ، أو الاستماع له ، ممن يتبنون نظرية التطوير أو من الذين لا يؤمنون بالنظرية أصلا :

ثم إنه لا يمكن أن يكون من حق البعض أن يتعرض لأديان الآخرين الذين لا يقبلون بنظرية دارون لأسباب دينية والسخرية من قناعاتهم ، ويصفها بالتخلف ، ثم يقول إن الدين شأن بين العبد وربه .

وأنا حتى هذه اللحظة لا أعلم إلى أي الرأيين يميل د. خالد ، ولا يمكنني وليس من حقي أن أتهم أحدا بدون دليل ، وخصوصا في هذا الأمر البالغ الخطورة ، والذي لولا تعرض د. خالد للمخالفين له بالنقد والسخرية ، والاستخفاف ، ما تعرض له أحد ولا سأله عن قناعاته .

لا يمكن إنكار أن هناك بعض المواقف الغير واضحة في طريقة د. خالد منتصر وتتطلب توضيحا لها لأنها تجعلني أفهم عن قناعات د. خالد ما لا أريد في الحقيقة أن يكون الأمر كذلك ، هذا هو الظاهر الذي يتبدى لكل من يدقق في كلامه فأين الحقيقة ؟، وكما قلت الموضوع لا يتعلق بدين د خالد الذي لا شأن لي به ولكن بطبيعة نظرية دارون التي يؤمن بها ، وكذلك بتعرضه هو من خلف ستار الإعجاز العلمي لما أعتنقه أنا وأومن به .

في الفقرة التي بدأت بها كلامي يقول د. خالد : فهو لم يمارس الكهنوت ويقول أنا متأكد من خلال نصوصى المقدسة،

ولكنه مارس الاعتقاد الذى يحتمل الصح والخطأ وليس الحرام والحلال،

ألا يتفق من يقرأ هذا الكلام معي أن الأمر هكذا دخل في مقارنة مع ما يقدمه الدين ونصوصه المقدسة ، وما يعنينا هنا نسبة هذا الكون إلى خالق قادر مبدع ، في مقابل فكرة التطور المتعارضة معها ، لو كان د. خالد يؤمن بالتطوير بدلا عن التطور لكان كلامه يحمل معنى التوافق ، وليس هذا التعارض الذي يقف فيه بوضوح في صف الدارونية .

ثم ما موضوع الكهنوت هذا الذي يردده ، ما مجاله هنا ، هناك فارق بين فكرة دينية يتبناها ، ويدعو إليها بكل وضوح كتاب مقدس ، يعتبر الكفر بها كفرا بهذا الكتاب ومن ينتمي إليه ، بل يقوم عليها الدين كله ، ويأخذها الجميع من الكتاب نفسه ، وبين هذا الكهنوت الذي يتحدث عنه ، والذي يعني احتكار فهم أو تفسير ما ورد فيه حسب ما يرى هؤلاء الكهنة ، فكرة الخلق يا دكتور خالد ليست فكرة كهنوتية من صنع وابتداع الكهنة ، ولكن هي ما تؤكده كل الأديان السماوية وكتبها المقدسة .

كل المؤمنين بنظرية التطوير ، التطور من خلال إرادة إلهية ، وتدبير إلهي ، يحرصون كل الحرص على إيضاح ذلك ، بل إنهم يقدمون الأدلة على صحة هذا التوجه علميا ، مفندين علميا أيضا ادعاءات الطرف الآخر المؤمن بنظرية تطور حدث بدون تدخل قوة عليا ، ولكنه. خالد في كل كتاباته ، لم أجده مرة واحدة ،يتحدث عن تطوير ، أو إرادة إلهية وراءه ، ولكن تطور بحت ، كما تقول نظرية دارون .

رأينا سابقا كيف هاجم د. خالد منتصر فكرة خلق الإنسان من طين نفسها التي أكد عليها القرآن وتحدثت عنها التوراة ، ونسبها إلى أساطير السومريين ،والبابليين ، والإغريق والفراعنة ، حيث تسربت منها إلى التوراة كما يقول بصريح العبارة

وبداية خلق الإنسان من طين أو تطورا من مخلوقات أقل بدأ بأصل مشترك لها جميعا ، هما أصل الاختلاف بين نظرية التطور لدارون والكتب المقدسة .

المؤمنون بالتطوير لا يرون تعارضا بين البدايتين يؤولون موضوع خلق الإنسان من طين بأنه لم يخلق مباشرة من الطين ، ولكن كانت نشأة البدايات الأولى للحياة أو الأصل المشترك لجميع الكائنات ، من الطين ، وكانت عبارة عن خلية واحدة تطورت بعد ذلك حتى وصلت إلى سيد الكائنات ، الإنسان ، الذي تنظر إليه نظرية دارون على أنه مجرد حيوان أتي في قمة شجرة دارون التطورية .

فهل أفهم أن الذي يعنيه د خالد منتصر وهو يتحدث عن فتوحات دارون العلمية حين يقول : " والأهم سلاح الفكر المتحرر من البديهيات المسبقة، الإبداع الذي لا يعترف بصدق الفكرة

إلا من خلال عدد الأدلة العقلية التي تؤيدها وتثبتها وليس من خلال عدد البشر الذين يعتنقونها،"

أن البديهيات المسبقة التي تحرر منها فكر دارون العبقري هي ما تقوله الكتب المقدسة من انتماء هذا الكون وكل صور الحياة هذه إلى خالق قادر ، ولذا فالعبرة بعدد الأدلة المفحمة التي قدمها دارون العظيم ، وليس بعدد الناس حول العالم الذين يؤمنون بهذه الكتب المقدسة .

عموما ، كانت نظرية دارون هذه دائما السلاح الذي يشهره الملحدون ، والزنادقة في وجه المؤمنين على الدوام ، الترويج للكفر والإلحاد لا يمكن أن يأتي إلا عن طريق نظرية دارون ، والحقيقة أن هذا الترويج والتهليل الذي يمارسه د. خالد منتصر بشأن هذه النظرية هو بعض أو صورة مما يفعله المروجون لهذه النظرية حول العالم .

وأريد أن أناقش هنا باختصار هذه النظرية ، ولماذا أرفضها حتى ولو وصفت بأنها تطوير وليس تطور ، أما موضوع مقارنة ما جاء في هذه النظرية بالقرآن الكريم فسيكون إن شاء الله موضوعا لكتاب مستقل

هناك أمورا يجب الاتفاق عليها :

أنا أومن بنظرية الخلق الخاص التي يتبناها أيضا الكثير من العلماء ، فهي ليست رأيا خاصا بي أتبناه بسبب تعصب أو فهم متجمد لنصوص دينية ، ولكن رأي لدي أسبابا علمية للقناعة به .

انأ أومن أن الكائنات كلها لم تخلق في وقت واحد ، ولكن خلال فترة زمنية طويلة ، وكان هناك تدرج في الخلق غالبا من البسيط إلى المعقد ، وفي خلال هذا يمكن أن يحدث تغيرات طفيفة في صفات بعض الأنواع ولكنها بقيت ثابتة ، ولم يأت نوع من نوع آخر سابق عليه .

أومن أن هناك ما يسمى بالانتخاب الطبيعي ، حيث الأفراد الأكثر ملائمة للبيئة والقدرة على التكيف هي الأقدر على الاستمرار وتوريث صفاتها إلى الأجيال اللاحقة ، بينما تختفي الصفات الضعيفة باختفاء الأفراد التي تحملها في معركة البقاء ، ولكن كل هذا لا يمكن أن يؤدي إلا لتحسين النوع فقط ، تأثير هذا الانتخاب الطبيعي محدود للغاية ، ولا يمكن أن يؤدي إلى تطور وإنتاج أنواع جديدة .

في كل دفاعات د خالد عن الدارونية يحاول إثبات ما يسمى بالانتخاب الطبيعي وكأن المشكلة في إنكاره ، ويأتي بأمثلة ونماذج ليدلل بها على وجوده ، الموضوع الذي لا يفهمه او ربما يتجاهله ، هو أن المطلوب هو إثبات أن هذا الانتخاب الطبيعي قد أدى تراكمه إلى نشوء أنواع جديدة من أنواع سالفة عليها ، وهو ما لم يقدم دليلا واحدا عليها

يقول د خالد :

سأحكى لكم بعض هذه التغيرات البسيطة التى رصدها العلماء فى فترة زمنية بسيطة نسبياً، أشهرها الخطأ الذى حدث فى هيموجلوبين دم سكان المناطق الموبوءة بالملاريا وجعل منه هيموجلوبين مختلف يسميه العلماء هيموجلوبين إس المنجلى،

والمدهش أنه هيموجلوبين مقاوم لمرض الملاريا وهذا ما جعله يعيش ويسيطر من جيل لآخر، وأيضاً حكاية الفراشات الرمادية الفاتحة الشهيرة التى تحول لونها إلى الأسود القاتم بعد عصر الفحم الذى غطى البيوت الإنجليزية بالسواد وأتاح للفراشات القاتمة فقط أن تعيش وتختفى من الأعداء..

إنها مرونة الانتخاب الطبيعى فى زمن بسيط يقاس بآلاف السنين فما بالك ببلايين السنين! أعتقد أن هذه البلايين من السنوات ليست قادرة فقط على تحويل لون الفراشة ولكنها قادرة على تحويل الفراشة نفسها لكائن آخر مختلف!

الحمد لله أن د. خالد قد ذكر هذه النماذج للانتخاب الطبيعي التي بني عليها قناعته بنظرية دارون :

من يقرأ كلام د.خالد يظن أن هيموجلوبين أس المنجلي هو تطور في الهيموجلوبين نحو الأكفأ ، وأن التطور قد أدى إلى ظهور وانتشار هذا الهيموجلوبين عالي الجودة المقاوم للملاريا ، والحقيقة أن هذا مرض وراثي خطير يستهدف الوظيفة الأساسية للهيموجلوبين وهي حمل الأكسجين ، حيث الخلايا مقوسة على شكل منجل ، وهذا هو السبب في مقاومتها لبلاذموديوم الملاريا وهو طفيل يهاجم هذه الخلايا الدموية الحمراء ويقضي فترة من حياته داخلها

هذا المرض الوراثي ينشأ من طفرة ضارة كما هو حال كل الطفرات ، طفرة تؤدي إلى نقص المعلومات في جزيء د،ن.أ وليس إلى زيادتها كما هو مفترض في تطور إلى الأعلى وليس إلى الأسفل ، يترتب على هذه الطفرة دخول حمض أميني آخر غير الحمض الأميني الأصلي في جزيء البروتين مما يؤدي إلى تدهور شديد في وظيفة الهيموجلوبين وتقوس الخلايا الحمراء ، فإذا كان من محاسن الصدف أن هذه الخلايا المقوسة لا تصلح لاستضافة بلازموديوم الملاريا ، فهذا هو السبب في أن المصابين به هم المتواجدون أكثر في المناطق الموبوءة بالملاريا ، وخصوصا أن هذا المرض يمكن أن يوجد بصورة بسيطة لا تؤثر على صاحبها ، وذلك عندما يكون الجين الموروث المعطوب من أحد الوالدين ، وفي هذه الحالة يصبح صاحبه حاملا للمرض الوراثي ينقله إلى نسله ، أما إذا كان المرض ناتج من الوراثة من كلا الوالدين فصاحبه لا يعيش غالبا حتى سن البلوغ ، هذا النموذج الذي ذكره د. خالد هو نموذج لطفرة وهو دليل ضد التطور إلى أعلى حيث لا يقدم مستوى جديد من التعقيد ، ولا يوجد فيه معلومات فعالة ، أو ملامح تركيبية جديدة يبنى عليها التطور ، وهي في حد ذاتها طفرة مدمرة وضارة مثلها مثل غيرها ، ولذا فمن الصعب هنا أن نرى كيف يمكن أن تؤدي تغييرات جينية من هذا النوع إلى تقدم تطوري حقيقي .

أما النموذج الثاني الذي ذكره د. خالد وهو فراشات بستون بتيولاريا ، الذي يذكر أنها تحولت إلى اللون القاتم بعد الثورة الصناعية في انجلترا ، وهو يذكره على أنه مثال أو ربما أهم دليل على الانتخاب الطبيعي

المشكلة عند التطوريين هي إثبات حدوث الانتخاب الطبيعي ، وبمجرد إثباته ، يبقى علينا أن نقبل آليا بفكرة التطور لأنها تقوم عليه ، وهذا مثال لهذه الفرضية

حتى ولو فرضنا جدلا بقبول فكرة كيتلويل أن السبب في ازدياد أعداد الفراشات السوداء بعد الثورة الصناعية وبسبب التلوث أن الأشن الذي كان يغطي جذوع الأشجار والذي كان يجعل الاختفاء ومن ثم الانتخاب الطبيعي في صالح الفراشات الفاتحة ، قد مات وحل محله لون اسود قد غطى جذوع الأشجار مما جعل الانتخاب الطبيعي في صالح الفراشات السوداء أقول حتى ولو قبلنا جدلا أن هذا هو الحال ، لأن الأمر قد اتضح بعد ذلك أنه ليس بهذه السهولة ، ولكن معقد أكثر من ذلك لأن هذه الفراشات أصلا في الطبيعة لا تستقر على جذوع الأشجار ولكن تحت الأفرع الأفقية ، فضلا على أنها حشرات ليلية عندما توضع باليد على جذوع الأشجار نهارا فإنها غلبا لا تتحرك بما يعني أن ظروف التجربة لا تماثل ما يحدث في الطبيعة ،

فبصرف النظر عن كل هذا ، ما الذي خرجنا به من هذه التجربة ؟ كان هناك فراشات سوداء وفراشات فاتحة ، قبل الثورة الصناعية وبعدها ، لم يستحدث أي تغيير ،كل ما هنالك هو أن هذا الانتخاب الطبيعي لو كان موجودا ينحصر دوره في تغيير نسبة التوزيع الطبيعي لهذه الفراشات .

ولكن د. خالد يعلق عل هذا لكلام قائلا : إنها مرونة الانتخاب الطبيعى فى زمن بسيط يقاس بآلاف السنين فما بالك ببلايين السنين! أعتقد أن هذه البلايين من السنوات ليست قادرة فقط على تحويل لون الفراشة ولكنها قادرة على تحويل الفراشة نفسها لكائن آخر مختلف!

المشكلة في هذه النظرية هو ما يمثله كلام د.خالد بكل وضوح : في هذه النظرية فقط يمكن قبول ما لا يمكن قبوله في أي نوع من العلوم أو فرع من المعارف ، أقل معلومة يتم استكمالها من الفروض ، والخيال ، : هذا ما يحدث في آلاف أو عشرات السنين فكيف ما يحدث في ملايينها ، ما الذي حدث أصلا

من يريد معرفة المزيد من أمثال هذه الأدلة فليقرأ كتاب جوناثان ويلز : أيقونات التطور icons of evolutionالذي يذكر فيه أن كل ما تم قبوله على أنه دليل وأيقونة من أيقونات التطور مثل تجربة يوري وميللر أو هذه الفراشات ، أو شجرة الحياة كلها إيقونات واهية ، مزيفة ، ما أسهل الرد عليها ، وقد قام به على كل ايقونه ، ولكنه يخبرنا أيضا أن كل النقد العلمي القائم على أدلة لا يلقى آذانا صاغية من السادة المسيطرين على مقاليد الأمور ، ولا يتعجب احد من هذه العبارة الأخيرة ، فالحقيقة أن العالم يتجه نحو المادية و العلمانية والإلحاد ، ولولا هذا ما كان لمثل هذه النظرية أن تعيش ، كان هؤلاء في حاجة

ماسة لتدعم ماديتهم وكفرهم ، فتلقفوا هذه النظرية التي تعطي المبرر العلمي للإلحاد والزندقة ، التي تقدم البديل عن فكرة وجود إله ينسب إليه كل هذا الكون الخارق ، ومن يومها وهم يقاتلون بشراسة لبقائها ، كلما ظهر دليل يضعفها أدخلوها في طور جديد يدخلها غرفة الإنعاش ويبعث فيها الأنفاس من جديد ، فظهرت الدارونية الجديدة التي استبدلت هذا الانتخاب الطبيعي الذي ظهر ضعف ومحدوديته بالطفرة العشوائية التي لا تستند إلى أي دليل علمي

ولأن حجة هؤلاء دائما هي العلم وكأن العلم ضد الدين ، ولأنهم دأبوا على وصم كل من لا يقبلها بالجهل والتخلف ، تماما كما يفعل د. خالد، فسأذكر هنا باختصار بعض الأسباب العلمية التي تجعلني لا اقبل هذه النظرية .

النظرية من أصلها قامت على مجموعة من الملاحظات الساذجة وليس على حقائق علمية راسخة ، العلم وقت خروج هذه النظرية لم يكن قد قطع كل هذا الشوط الذي أدى إلى إمدادنا بمجموعة من الحقائق والمعلومات العلمية التي هي أقرب أن تكون حجة على النظرية من أن تكون حجة معها :

هذه النظرية تعتمد في قبولها أصلا على بعث وإحياء نظرية اندثرت وانقرضت بعد ثبوت خطؤها وسذاجتها العلمية ، وهي نظرية التولد التلقائي ، وهي أن الحياة يمكن أن تأتي من عناصر غير حية ، الضفادع يمكن أن تنشأ من الطين ! الفئران يمكن أن تتولد من قميص متسخ به بعض سنابل القمح ، هذه النظرية أصيبت بمقتل بعد تجارب العلماء وعلى رأسهم باستير العالم الفرنسي الشهير الذي أثبت أن الحياة لا يمكن أن تأتي إلا من حياة ، ولكن هؤلاء الدارونيون ليس لديهم أي مانع أن يبعثوا هذه النظرية من جديد ويتحدثوا عن حياة بدأت في الأصل من عناصر غير حية .

في هذه الفترة التي طلع علينا فيها دارون بنظريته ، كانت قدرات الميكروسكوبات محدودة للغاية ، فكانت الخلية الحية تبدو تحت الميكروسكوب مجرد لطعة ، غير واضحة المعالم ، كانت الفكرة عن الخلية إذا وقتها بالغة السذاجة ، وعلى هذا فإذا تجاوزنا وقبلنا أن مثل هذه اللطعة أو الخلية ، أو أن كائنا وحيد الخلية يمكن أن يأتي من الطين ، أو من تفاعلات في جو الأرض الأول كما يزعمون ، فكيف يمكننا أن نقبل أن الخلية كما اكتشفناها الآن ، بكل هذا التعقيد الذي يفوق تعقيد مدينة كاملة يمكن أن تأتي هكذا ، هذه الخلية التي تعطي محتوياتها مزيدا من التفاصيل الدقيقة كلما زادت ، قدرة الميكروسكوب على التكبير ، حتى إننا تحت الميكروسكوب الإلكتروني نرى تفاصيل عجيبة في كل عضية من عضيات الخلية .

أما المعجزة الكبرى فتتمثل في شريط الد ن ا وهذا الكم الخرافي الرهيب من المعلومات عن أدق تفاصيل هذا الكائن الحي ، هل يمكن أن يأتي كل هذا العلم من لا شيء ، هل يمكن أن تتراص كل هذه الآلاف المؤلفة من القواعد النيتروجينية وبهذا الترتيب المحدد البالغ الدقة ، بحيث أن أي تغيير في قاعدة واحدة يؤدي إلى خلل خطير في تكوين البروتين

المقابل ومن ثم وظيفته ، كما يحدث في أنيميا الخلايا المنجلية التي تحدث عنها د. خالد ، لم يكن ال دنا قد اكتشف بعد أيام دارون فكيف يمكن أن نتصور أن نظرية تتعلق بالأحياء تتجاهل آو تجهل هذه المعلومة البالغة الأهمية يمكن أن تكون حقيقية ؟

الحقيقة أن أنصار التطور كالعادة لا يقصرون في بذل كل المحاولات للتعامل مع ما يجد من دلائل مفحمة ضد النظرية ، يحاولون ان يجعلوا من البيولوجيا الجزيئية وهو ما يتعلق بالحمض النووي حجة في صف الدارونية ، أما كيف يحدث ذلك في غياب المعلومة نفسها ، فالإجابة هي في عبقرية دارون ، الذي جعلته يكتشف الحقيقة مع نقص كل هذه الإمكانيات ، كلام يفتقر إلى أقل قدر من المنطق .أو حتى المنهج العلمي .

يتحدث أنصار الدارونية الجديدة عن الطفرات العشوائية أو التغير المفاجئ في المحتوى الجيني مؤديا إلى نشوء صفات جديدة وبالتالي أنواعا جديدة من الأنواع القديمة ، حيث اكتشفوا أن موضوع الانتقاء الطبيعي الذي يدافع عنه د. خالد أثره محدود ولا يملك هذه القدرة على تطور الأنواع .

هؤلاء وجدوا أن الانتخاب الطبيعي ليس مقنعا ، ولا يصل إلى عمق المعلومة حيث يجب أن يعطى الاعتبار الأكبر لموضوع الحمض النووي ، الذي يحدد صفات الكائن ، ولذا فأي ظهور لصفات جديدة لابد أن يتم على مستوى الدنا لا بد أن يصاحبه تغيير في المحتوى الجيني ، ولكن كل ما يقدمه الانتخاب الطبيعي هو اختيار من جينات موجودة أصلا ، اخرما يقدمه هو تحسين نفس النوع إذا فليبحثوا عن وسيلة أخرى ، والحل في الطفرة العشوائية ، أي فكرة علمية أخرى لو ثبت قصورها يتم التخلي عنها ، ولكن هنا الأمر مختلف هؤلاء يتعلقون بشدة بنظرية دارون وجدوا فيها ضالتهم المنشودة ،فكيف يتركونها ؟، لابد أن يكون هناك تطور وهناك دارونية يحتفظون باسمها ويحاولون نفخ الروح فيها من جديد ليطلقوا عليها الدارونية الجديدة .

ولكي يكون الكلام علميا ، لا يجب رفض الفكرة إلا على أساس علمي ، والأساس العلمي هنا هو أن أي تغير في المحتوى الجيني يؤدي إلى صفات جديدة ومن ثم أنواع جديدة لابد أن يكون في صورة معلومات زيادة في شريط الدنا ، ولكن الحادث ان الطفرات كلها تقريبا هي عبارة عن خلل في شريط الدنا هو عبارة عن نقص المعلومات وليس زيادتها ، مثل طفرة الأنيميا المنجلية ، يؤدي إلى خلل خطير مقابل له ، هذا تطور إلى أسفل أو عيوب خلقية ، وليس نشوء صفات جديدة وأنواع جديدة من أنواع سابقة .ولا يغيب عن إدراك الجميع أنه مع كل هذا التهليل والترويج الذي يقوم به د. خالد منتصر لنظرية دارون لم يمكنه أن يأتي إلا بهذا النموذج المعلول للطفرة ، ولو كان لديه نموج واحد خير منه لقدمه طبعا.

ريتشارد دوكينز أكبر ملحد في العلم والذي لا يعتمد في ترويج الإلحاد الذي يتفاني فيه إلا على ترويج مقابل لنظرية دارون ، والطفرات العشوائية ، عندما سئل في فيديو موجود على اليوتيوب لمن يريد : هل يمكن أن تأتينا بنموذج لطفرة واحدة أدت إلى زيادة

المعلومات في المحتوى الجيني ؟ وعلى الرغم مما هو معروف عنه من سرعة الرد والتلاعب بالكلمات الذي لا يباريه فيه احد إلا أنه بوغت بالسؤال ، لم يكن مستعدا له ، وافتضح أمره وانه ليس لديه إجابة ، فأخذ ينظر إلى السقف تارة ويمينه ،ويساره تارة كالتلميذ البليد ، ثم أخيرا قال طالما انه حدث تطور من البكتريا إلى الإنسان فلابد أن يكون قد صاحب ذلك زيادة في المعلومات في شريط الدنا !

إجابة مضحكة للغاية ، إذا كان ما يريد المذيع منك أن تدلل عليه هو نفس هذا الكلام الذي تحتج به ، هذا يبين إلى أي مدى هؤلاء المروجون للدارونية مدلسون ويستخفون بعقول الناس .

في هذا الفرع من العلم إذا تجاوزنا وأسميناه علما ، يقبل فيه ما لم يمكن قبوله في أي فرع آخر شيء من الخيال العلمي، وليس علما حقيقيا مما يعد تنازلا خطيرا يمس القضية العلمية نفسها والمنهج العلمي

موضوع إعادة التركيب : عند الحصول على حفرية قد تكون عظمة واحدة ، أو جزء يسير من كائن ، يقوم هؤلاء الداروينيون التطوريون بتخيل باقي جسم هذا الكائن ، وهذا ما سأتحدث عنه تفصيلا في إنسان نبراسكا ، هل يظن أحد أن إنسان جاوة هذا كان حفرية كاملة لإنسان ؟ الحقيقة أنه كان عظمات متفرقة ، - قمة جمجمة ورأس عظمة ساق وبعض الأسنان لحيوان، يفترضون أنه من الثدييات الشبيهة بالإنسان، لا يقدم أي دليل حاسم ولم توجد هذه الأجزاء مع بعضها، بل في مساحة مقدارها 50 قدمًا، وعُثِر عليها على مدى عامل كامل في قاع نهر قديم مختلطة ببقايا عظام حيوانات مُنقرضة،

ولقد إنقسم الرأي في حقيقة الأمر منذ البداية، بصورة غريبة بين علماء الطبيعيات، وقد شك أحد العلماء ، في إنتماء هذه الأجزاء إلى نفس الحيوان الواحد.. ومن بين أربعة وعشرين عالِمًا فحصوا تلك البقايا عندما أُكتشفت، ظن عشرة منهم أنها لقرد، وسبعة منهم اعتقدوا أنها لإنسان، وسبعة في أنها لأحد الأشكال المتوسطة بينهما ، وفي مؤتمر الأنثروبولوجيا الذي عُقد في لندن في سبتمبر 1899م، قرأ دكتور بوميللر ورقة أعلن فيها، أن ما يزعمونه " بيثيكانثروبس أركتس " أي الإنسان القرد المعتدل القامة، أو إنسان جاوة، ليس إلاَّ جيبونًا (قردًا رشيق الحركة) كما قال أحد العلماء من البداية

ثم ما أسهل ما يبني هؤلاء قصورا في الهواء على غير أساس ، كيف بدأ الطيران : هناك نظريتان إما زواحف رباعية الأطراف كانت تتقافز على الأشجار محاولة الهبوط بطريقة انزلاقية ، مما أدى إلى حدوث طفرة وتكون لها أجنحة ،وإما نشأت هذه الطفرة عند زواحف ثنائية الأطراف كانت على الأرض ، ولكنها كانت تتطلع في حركاتها إلى الأعلى، والغريب أنك تجد أنصارا لهذه النظرية آو تلك كل يدافع عنها وكأنه مقتنع فعلا بما يقول

السجل الحفري على عكس ما يقال يدحض هذه النظرية ، وأنا هنا أتحدث تحديدا عن هذه المشكلة الكبيرة التي اعترف بها دارون نفسه ، وكان على علم بها، وهي عصر الكامبري منذ ما يزيد على 500 مليون سنة ،وفي خلال عشرة ملاين سنة تعتبر بالنسبة لمتطلبات التطور عمرا قصيرا جدا ، سجلت الحفريات ما يطلق عليه العلماء الانفجار الحيوي تشبيها له بالانفجار الكوني الكبير الذي بدأ به خلق هذا الكون ، كان هناك ظهور مفاجئ لعدد كبير من الكائنات على مستوى الشعبة ، على عكس ما قال دارون نفسه ، وهو انه لكي يأتي الأصل المشترك للكائنات بكل هذه التنوعات ، يجب أن تحدث اختلافات طفيفة يؤدي تراكمها في خلال فترة كبيرة جدا إلى تكون الشعب ، ثم باستمرار الفروق والتراكم تظهر الفصائل ، ثم الرتب ثم العائلات ، ثم الأجناس ثم الأنواع ، ولكن هذا الانفجار المفاجئ في ظهور الكائنات الذي صاحبه ظهور مجموعات من خطط تركيب أجسام الكائنات كان مشكلة كبيرة لدارون ونظريته ، حاول التغلب عليها بفرض أنه كانت هناك كائنات قبل الكامبري ولكن لأنها لم تحتو على هياكل صلبة اندثرت ولم تتحفر ، والحقيقة أن الكثير من كائنات عصر الكمبري كانت لينة ،ولم تكن صلبة ، حتى ما اكتشف من حفريات تسبق عصر الكمبري ، كانت أيضا متنوعة وكثيرة ، المهم أن هذه المشكلة لا يشار إليها غالبا في الكتب التي تدرس الداروينية .

وأخيرا سأتحدث عن بعض هذه التزييفات والفضائح العلمية التي حاول أن يروج بها أنصار الدارونية بضاعتهم :

أ – رسومات أرنست هيجل المزيفة عن تطور الأجنة ونظرية التلخيص أو الاستعادة ، وهي أن كل كائن أثناء نموه الجنيني يتسلق شجرة النسب الخاصة به ،

من كتاب هارون يحيى : هدم نظرية التطور في عشرين سؤال :

" نشر إرنست هيجل، أول من طرح فرضية التلخيص، عددا من الرسوم ليدعم بها نظريته. فقدّم هيجل رسوما مزيفة ليجعل أجنة الأسماك والبشر شبيهة ببعضها البعض! وعندما افتضح أمره، كان دفاعه الوحيد هو أن أنصار التطور الآخرين ارتكبوا جرائم مشابهة:

"بعد هذا الاعتراف "بالتزييف"، الذي يضعني موضع الشبهات، يفترض بي أن أعتبر نفسي مجرما مدانا ومقضيا عليه لكن عزائي أنني أراني جنبا إلى جنب في قفص الاتهام مع مئات المجرمين الرفقاء، من بينهم العديد من أكثر المراقبين ثقة وأكثر علماء الأحياء تقديرا. وستتعرض الغالبية العظمى من مجمل الرسوم التخطيطية الموجودة في أفضل كتب الأحياء الدراسية، وبحوثها، ومجلاتها لتهمة "التزوير" بنفس الدرجة، لأنها جميعا غير دقيقة، وإلى حد ما متلاعب بها، ومخطط لها، ومدبرة".48

وفي عدد الخامس من أيلول/ سبتمبر 1997 من المجلة العلمية المعروفة ساينس، تم نشر مقالة تكشف أن رسوم الأجنة الخاصة بهيجل كانت نتاج خدعة. وورد الجزء التالي

في المقالة المعنونة "أجنة هيجل، إعادة كشف الاحتيال" " :Haeckel’s Embryos Fraud Rediscovered”

"يقول مايكل ريتشاردسون، عالم الأجنة بكلية الطب التابعة لمستشفى سانت جورج بلندن: "إن الانطباع الذي تعطيه (رسوم هيجل)، بأن الأجنة متشابهة تماما، هو انطباع خاطئ"... لذلك أجرى ريتشاردسون وزملاؤه دراسة مقارنة خاصة بهم، أعادوا فيها دراسة وتصوير أجنة تضاهي بشكل تقريبي من حيث النوع والعمر الأجنة التي رسمها هيجل. ويا للعجب، "بدت الأجنة في كثير من الأحيان مختلفة اختلافا مذهلا"، كما أعلن ريتشاردسون في عدد آب/ أغسطس من مجلة علم التشريح والأجنة".49

ولاحقا في نفس المقالة، تم الكشف عن المعلومات التالية:

" أعلن ريتشاردسون وزملاؤه أن هيجل لم يكتفِ فقط بإضافة أو حذف سمات، بل تلاعب أيضا في المقاييس ليضخم أوجه التشابه بين الأنواع، حتى وإن بلغت الاختلافات في الحجم 10 أضعاف. ولجأ هيجل إلى وسيلة أخرى كيلا يوضح الاختلافات، إذ أهمل تسمية الأنواع في معظم الحالات وكأن حيوانا واحدا يمثل بدقة مجموعة الحيوانات بأكملها. وفي الحقيقة، لاحظ ريتشاردسون وزملاؤه، أنه حتى الأجنة شديدة القرابة، مثل أجنة الأسماك، تختلف إلى حد بعيد في شكلها الخارجي وطريقة نموها. ويخلص ريتشاردسون إلى أن: "(رسوم هيجل) يبدو أنها ستثبت في النهاية أنها أحد أشهر الرسوم المزيفة في علم الأحياء".50

وجدير بالذكر أنه على الرغم من أن رسوم هيجل المزيفة ظهرت في سنة 1901، فقد ظل الموضوع يُصوَّر في كثير من منشورات أنصار التطور لما يقرب من القرن وكأنه قانون علمي مثبت. لقد قصد أولئك الذين تمسكوا بالمعتقدات التطورية أن يرسلوا رسالة مهمة للغاية من خلال وضع أيديولوجيتهم قبل العلم: التطور ليس علما، وإنما هو مبدأ دوغماتي يحاولون إبقاءه على قيد الحياة على الرغم من الحقائق العلمية. "

ب- فضيحة بيلت داون :

حفرية اكتشفها شخص انجليزي اسمه تشارلز داوسون في حفرة بمدينة بيلتداون بانجلترا عام 1912 عبارة عن جمجمة تشبه جمجمة الإنسان وبها فك يتشابه مع فك نوع من

القرود ، ومعها بعض الأدوات التي كان يستخدمها هذا الكائن ، وقيل إن عمر هذه الحفرية خمسمائة ألف عام أي نصف مليون سنة ،

وطبعا حفرية مثل هذه تقدم الدليل الأكيد المفحم على الأصل المشترك بين الإنسان والقردة العليا ، كيف يمكن أن تستقبل ؟ : أولا لم يكن أفضل من المتحف البريطاني لعرضها فيه بل إنها طافت على الكثير من المعارض الأخرى، وثانيا كانت موضوع للعديد من رسائل الدكتوراه ، والكثير من المقالات العلمية وثالثا: كانت محط أنظار كبار العلماء وتعليقاتهم فها هو عالم المتحجرات الأمريكي هنري فيرفورد أوسبورن في زيارة له للمتحف البريطاني عام 1935 يقول : : "يجب تذكيرنا مرارا وتكرارا ، بان الطبيعة مليئة بالمفارقات، وتعد هذه المتحجرة اكتشافا مذهلا عن الإنسان البدائي "

وفي عام 1949 حاول احد علماء الحفريات في المتحف البريطاني واسمه كينيث أوهلي أن يجرب طريقة اختبار الفلورين التي تستخدم لمعرفة عمر الحفرية وكانت النتيجة الصادمة أن الجمجمة كان عمرها لا يتجاوز بضع آلاف من السنين أما الفك فكان حديث جدا وأنه بينما تنتمي الجمجمة إلى إنسان كان الفك هو فك قرد من نوع الأورانج أوتان ، أما الأدوات التي وجد مع الحفرية فهي أدوات بسيطة مقلدة شحذت بواسطة أدوات فولاذية ! .

وفي التحليل المفصل الذي أجراه وينر عام 1953 تم الكشف عن هذا التزييف للجمهور ، واتضح لهم أن الجمجمة تخص إنسانا ، أما الفك فهو لقرد مات حديثا ، وقد تم ترتيب الأسنان الصناعية على نحو خاص في شكل صف ثم أضيفت إلى الفك وتم حشو المفاصل لتصبح شبيهة بفك الإنسان وبعد ذلك تم تلطيخ المجموعة بثاني كرومات البوتاسيوم لإكسابها مظهر الحفريات القديمة اختفى بعد غمسها في الحامض وبدت الحقائق الواضحة للعيان فتم إزالة هذه الحفرية بعد عرضها في المتحف لمدة تزيد عن أربعين سنة.

فهل رأيتم تزييفا مثل هذا ؟ حضرة الطبيب الذي ما فتئ يتحدث عن التدليس والغش والخداع والضحك على السذج من العامة باسم الإعجاز العلمي يبدو أنه لم يقرا عن هذه الحادثة الفاضحة وهذا التزييف المتعمد الذي اشترك فيه أو حتى انطلى على هؤلاء العلماء الغربيين وليس فقط على السذج والبسطاء من أبناء جلدته الذين يشقيهم الشعور بالدونية ، إنها سبة عار في تاريخ العلم والعلماء فما رأي سيادته فيما عرضته ، وهل حقا هو لا يعلمه مع اهتمامه الشديد بهذه النظرية وإعجابه بصاحبها وعبقريته

جـ – إنسان نبراسكا : أيضا من قبيل موضوع إعادة التركيب الذي أشرت إليه سابقا ، تم اكتشاف حفرية عبارة عن سنة " " toothواحدة لكائن ، وبمجرد اكتشافها أعطي هذا الكائن المفترض أن تنتمي إليه اسما علميا يدل على أنه حلقة متوسطة بين الإنسان والقرد ، ومن خلال هذه السنة أيضا تم تصور الكائن الذي تنتمي إليه بأكمله وتفاصيل وجهه ، حيث أسند هذا العمل العلمي الإبداعي إلى فنان ، رسام ، وليس إلى عالم ليتخيل شكل هذا الكائن الذي لابد أن يكون مرحلة متوسطة بين الإنسان والقرد ، وقد تفتق ذهن هذا

المبدع عن ثلاثة أشكال محتملة ،كما أن أنصار الدارونية لم يقصروا في الحديث عن زوجة وأبناء لهذا الإنسان البدائي ، وبعد خمسة أعوام من هذا الاكتشاف ، نجحوا في استخراج باقي الحفرية التي لم تكن سوى خنزير نادر ، لا قرد ولا إنسان فقاموا بمحو هذا الاكتشاف العظيم من أدبياتهم ، ولولا هذا لكنا الآن ما زلنا نقرأ عن إنسان نبراسكا كدليل للتطور وكيف تختلف مقاييس جمجمته عن مقاييس الإنسان الحالي !

د - لإثبات أن الأصل القردي للإنسان لا يقتصر على الحفريات ولكن حتى يمكن في المجتمعات البدائية أن توجد كائنات تؤيد هذه الفكرة ، تم اصطياد أحد الأقزام الأفارقة في مطلع القرن العشرين من الكونجو واسمه بيتا بينغا ، رجل متزوج وله طفلان نزع من أسرته قيد بالسلاسل ووضع في قفص كالحيوان ، نقل إلى الولايات المتحدة وتم عرضه على الجمهور من قبل التطوريين في معرض سانت لويس العالمي مع مجموعة من القردة وقدموه بوصفه أقرب حلقة انتقالية للإنسان وبعد عامين نقلوه إلى حديقة حيوان برونكس في نيويورك مع بعض قردة الشمبانزي على أنه السلف القديم للإنسان ونظرا لمعاملته كحيوان عادي لم يستطع الاحتمال وأنهى حياته منتحرا !

هـ - المصيبة أن هذا التزييفات لم تقتصر على القرن المنصرم ، إذا افترضنا أن هؤلاء الدارونيين قد وجدوا الآن من الأدلة ما يغنيهم عن هذا التزييف واختلاق الأدلة ، مع كون هذا ليس مبررا للغش والتدليس بحال ، ولكن ، مازال مسلسل التزييف مستمرا ، والغريب أن الذي يقوم به جهات محترمة علميا ، أو هكذا تبدو ، النشاشيونال جيوجرافيك ، هل هناك أكثر من هذا ؟

إليكم ما كتبته مجلة " "natureعن هذه الفضيحة في عددها الصادر في 29 مارس 2001

Nature 410, 539-540 (29 March 2001) | doi:10.1038/35069145

Forensic palaeontology: The Archaeoraptor forgery

Timothy Rowe1, Richard A. Ketcham1, Cambria Denison1, Matthew Colbert1, Xing Xu2 & Philip J. Currie3

Top of page

Abstract

The Archaeoraptor fossil was announced as a 'missing link' and purported to be possibly the best evidence since Archaeopteryx that birds did, in fact, evolve from certain types of carnivorous dinosaur1. It reportedly came from Early Cretaceous beds of China that have

produced other spectacular fossils transitional between birds and extinct non-avian dinosaurs2, 3. But Archaeoraptor was revealed to be a forgery in which bones of a primitive bird and a non-flying dromaeosaurid dinosaur had been combined4, 5, 6. Here we use high-resolution X-ray computed tomography (CT)7 to determine the nature and extent of the forgery,

أعلن عن الأركيورابتور على أنها الحلقة المفقودة ، وربما أفضل دليل منذ حفرية الأركيوبتركس ، على أن الطيور قد تطورت من نوع معين من الديناصورات آكلات اللحوم

ولكن اكتشف أن الأركيورابتور عبارة عن تزييف تم فيه تركيب عظام طائر بدائي مع نوع من الديناصورات التي لا تطير ، واستخدموا هنا تقنيات اشعة إكس ، وال C.T ليحددوا طبيعة ودرجة التزييف

المهم أن مجلة الناشيونال جيوجرافيك قامت بالدعاية والتهليل لهذه الحفرية على طريقة الداروينين ، هذه الفضيحة يطلق عليها البعض فضيحة بيلت داون الطيور ، وأتعجب ، إذا كان التطور حقيقة ، وعليه أدلة دامغة ، والسجل الحفري يؤيده ، ويوجد الآن ما يقارب ربع مليار حفرية حول العالم ، فما الحاجة إلى تزييف حفرية جديدة ، هل هذا علم يوثق به ؟

أليس عجيبا بعد كل هذا أن تستمر هذه المهزلة المسماة بنظرية دارون ، هل هذا عصر العلم الذي نحياه الآن ، حجة هؤلاء التطوريين الملحدين في عدم قبول الأديان ،وعدم قبول فكرة أن للكون إله خالق مدبر أن هذه أشياء لا يستطيع العلم إثباتها وأنها غيبيات لا تخضع للتجربة والملاحظة وهو ما لا يعترفون إلا بهما كأداة للوصول للحقائق ، ولذا فعندما يكون الحديث عن إله ، فهذا نوع من الخبل والخرف وفيروس يصاب به مثل هؤلاء المؤمنين !

هؤلاء التطوريون الملحدون عندما يكتشفون أثرا بسيطا عبارة عن بقايا أواني فخارية وخزفية قديمة ، نجدهم يتحدثون بمنتهى الثقة عن انتمائها لقوم لابد أن يكونوا قد عاشوا في هذه الفترة أو تلك ، لم نر أحدا منهم يقول ربما تكون هذه صنعت هكذا تلقائيا بمرور الزمن الطويل

مع أن وجود هذه الأواني لا يحتاج إلا إلى شيء من طين الأرض، وحرارة الشمس و أظن الأولى أن نقبل بتحول الطين هنا إلى الفخار الذي لا يصنع إلا منه ، هذا الأمر لا يتطلب إلا قدر ضئيل جدا من المعلومات يمكن أن يتوفر صدفة أوعشوائيا ، ولكنهم يرون أن كم المعرفة الذي يصاحبه تصميم هادف حتى ولو كان جزءا من آنية فخارية ، لا يقبل أن يأتي صدفة ،

ومع ذلك فهم يقبلون بكل سهولة أن تأتي خلية حية بها كل هذا التعقيد المعجز ،والكم الخرافي من المعلومات ، بل والقدرة على تحويل هذه المعلومات إلى حقيقة حية ، الخلية الحية بكل ما فيها من تفاصيل غاية في الدقة والروعة ، والإعجاز بداية من غشاءها ذو النفاذية الاختيارية وكأن له عقل وحكمة ، إلى كل هذه العضيات التي تجعل الخلية عالم حي كامل متكامل إلى هذه الصفات المقدرة فيها والمحمولة على جينات والتي تنتقل من جيل إلى جيل فتحافظ على ثبات النوع ، كل هذا نشأ كما يزعمون من مواد غير حية بهذه الكيفية هكذا تقول نظريتهم ، هؤلاء الملاحدة واللادينيون يقبلون من خلال هذه النظرية أن الحياة تأتي من لا شيء ، والعمى هو الذي ينشء الإبصار والصمم يصنع السمع ، والبكم يصنع البيان والبلاغة ، والفوضى والعشوائية تخلق هذا الكون المتوازن للغاية في النظام والدقة في كل تفاصيله ، وانعدام القانون يخلق كل هذه الآلاف وربما الملايين من القوانين في كل العلوم والمعارف ، في كل مناحي الحياة ، والعجز يصنع القدرة ، وانعدام ما يصفونه بالقوة الذكية التي يعنون بها الإله وينكرون وجودها يمكن أن يكون وراء وجود كل هذا العقل الإنساني الجبار بإنجازاته الخارقة في جميع المجالات ، وكل هذه العواطف والمشاعر المتباينة ، والانفعالات من كل صنف ولون جاءت مقترنة بعوامل غاية في المادية والتجمد ، كل هذا مقبول .

خاتمة

كان عنوان كتاب د. خالد منتصر هو : "وهم الإعجاز العلمي" ، ولكن كما أوضحت كان موضوع الإعجاز العلمي هو فقط الواجهة التي تخفي وراءها توجهات وقناعات أكثر عمقا وأهمية من موضوع الإعجاز العلمي ، ربما كان أهمها ، هذا الفصل التام بين الدين والعلم ، والذي يترتب عليه الكثير من سوء الفهم لكليهما ، يؤدي بالتالي إلى الحرمان والقصور في الحصول على الفائدة عندما نفهم الأمور فهما عميقا صحيحا

وأوضحت أن كل ما يعتمد عليه د. خالد منتصر في الترويج للفكرة هو إصراره على اعتماد هذا التناول البالغ السطحية والتعصب والتجمد، بل والتطرف أحيانا باسم الدين الذي يقع البعض ضحيته كتمثيل للدين وما يمكن أن يؤدي إليه ، وفي هذا التجني بالإضافة إلى النتيجة المناقضة للحقيقة والخلط واللبس التي لابد أن تؤدي إليها تناولات خاطئة ومشوهة ، صورة من تحكيم الهوى حيث الحقيقة كما أريدها أنا أن تكون وليس كما هي عليه هو ما أسعى إلى ترويجه ، تلاعب بالكلمات ، مبالغات وتهويلات ، نقل غير أمين ..

وأوضحت أيضا في معرض تأكيد أهمية العلم الدنيوي للوصول إلى الله على قناعة وبصيرة ويقين ، أن القرآن الكريم لأنه ليس كتاب علم ، ولا المطلوب من البحث فيه أن نحصل على حقيقة علمية فإن تعامله مع هذا العلم الدنيوي مختلف تماما عن التعامل المادي

فبينما أهمية العلم المادي هو فيم يقدمه من معرفة وتطبيقات في هذه الدنيا فإن التناول الديني كل ما يهمه هو ما وراء المعلومة، هو اتخاذها طريقا للإيمان بموجدها ومبدعها ولهذا:

فإن مفهوم القرآن للعالم هو انه من استطاع أن يصل إلى هذا الهدف العميق، حتى من خلال معلومة بدائية يتعرف عليها بحواسه المجردة مثل الثمرات المختلفة الألوان، أو الجبال المتنوعة، أو اختلاف أجناس البشر وصفاتهم ، أما من اقتصر تناوله للعلم على الفائدة الدنيوية أيا كانت قيمتها في هذا المجال فهو من لم يدرك سوى الفائدة الظاهرية المتعلقة بهذه الدنيا ، حتى لو كان حاصلا على جائزة نوبل ، أو كان اسمه وأبحاثه العلمية هي ما يسترشدون بها ، لأن العبرة بالنسبة للدين ليس بعمق المعلومة العلمية وأهميتها الدنيوية ،ولكن بعمق تناول المعلومة وما وراءها .

كتاب وهم الإعجاز " يدفعنا للتأمل في طريقة تعامل لا أقول مع من يمثلهم د. خالد ولكن من تفتح العلمانية التي يدافع عنها بكل حرارة السبيل أمامهم أو تكون مطية للإلحاد ، لأننا إذا اقتنعنا وآمنا بأنها مجرد فصل بين الدين والدنيا ، فهذا الفصل في حد ذاته ليس بالخطأ الهين ، لأن نتيجته كما أوضحت لن تخرج عن واحد من اثنين : إما رجل دين أو أكثر دقة

متحدث باسم الدين متعصب منغلق ،متجمد ، وإما إنسان دينه باهت مشوش ، ما أسرع ما يتركه .

المشكلة عند هؤلاء أنهم يظنون أنه هكذا يعلون من شأن العقل والعلم ، أو أنهم لا يعتمدون في تبرير إلحادهم إلا على العقل والعلم ، متهمين بالتالي هؤلاء المخالفين لهم بأنهم ضحية للتقليد الأعمى ، حيث لا يعملون عقولهم ، ويتجاهلون أو يجهلون الحقائق العلمية .

هؤلاء لا يفهمون أنهم على عكس ما يظنون يحجمون ويقيدون قدرات العقل البشري ويجعلونه لا يعمل إلا في اتجاه واجد ، كما أنهم لا يأخذون من المعلومة العلمية إلا الفائدة السطحية الظاهرية .

حجة هؤلاء الملحدين و الزنادقة الماديين الذين لا يعترفون بالغيبيات ، أنهم لا يؤمنون إلا بما هو واقع تحت إدراكهم وحواسهم ، كل ما يمكنهم أن يتعاملوا معه من خلال الأدوات العلمية البالغة الدقة ، حيث الدليل ، واضح ومتجسد ، أما ما هو خارج عن نطاق الحواس والعلم البشري فلابد أن يكون خزعبلات ، وخيالات ،نوع من الترف العقلي ، لعقل أدى تطوره من الحالة البدائية التي كان عليها في الكائنات السابقة حيث كل مهمته هو تمكين الكائن من التعامل مع البيئة من اجل بقاؤه واستمرار حياته إلى هذه الحالة البالغة الروعة والتعقيد ، جعلته يبحث ويتخيل غيبيات لا وجود لها ، إله خالق ينتمي إليه كون قد أثبتوا انه ليس في حاجة إليه ولكن نشوء من لا شيء وتطور عشوائي ، وحياة بعد الموت ، وحساب ، وعقاب ، وكتب يقولون عنها مقدسة ، وكلها مواضيع مخالفة لقوانين هذا الكون التي لا يعرفون سواها ولا يرون أنه يمكن أن يحدث ما يخالفها .

هؤلاء قد بنوا توجهاتهم التي لا يجادل احد في حقهم وحريتهم فيها على فكرة لم يقدموا دليلا على صحتها .

أنا لا أومن إلا بما يأتي به العلم ، هذا حقك ولكن ما دليلك على صحته ؟

عقلي الذي أعليه وأحترمه كثيرا: في نطاق هذا العقل فقط يقع كل ما يمكن أن نثبته علميا بأدواتنا العلمية ومعاملنا ، وتجاربنا، ومنهجنا العلمي أو حتى بحواسنا، تقع كل القوانين التي يسير عليها هذا الكون ، أنا أومن بالتطور لأنه شيء مادي أدى إلى ماديات أما هذه الغيبيات ، وهذه الأحداث المخالفة لقوانين الطبيعة التي نعرفها ، إله غيبي خارج نطاق حواسي وأدواتي العلمية ، ووحي نقل تعليمات مقدسة إلى أنبياء ، وحياة بعد الموت ، وحساب وثواب وعقاب ، هذه أشياء لا يمكن إثباتها علميا ، وبالتالي لا يقبلها عقلي .

هل تعلم أنك هكذا قد حجمت ، وقيدت قدراتك العقلية وجعلتها تعمل في اتجاه واحد ، كل ما بنيت عليه كلامك أنك لا تؤمن إلا بما تستطيع إثباته بعقلك حسيا وماديا وفي هذا العالم ، أنت هكذا قد افترضت فرضيتين ليس على أي منهما دليل :

أنه لا وجود إلا لما هو حسي ومادي ، وكل ما تعارفت عليه من قوانين ، أما كل ما لا يقع تحت إدراكي وإدراك أدواتي العلمية البالغة الدقة ، فليس له وجود فما هو دليلك

أنك افترضت أن عقلك البشري المعجز الذي تتباهى به آخر قدراته هو التعرف على هذا العالم ، وفي الحقيقة أنك برفضك التعامل مع آيات الله القرآنية بتجرد وموضوعية وحرص على الوصول للحقيقة قبل أي شيء و الكف عن تسخير قدراتك فقط للاستهزاء والسخرية والتعالم من خلال فهم آنت تعرف انه بالغ السذاجة والجهل، برفضك التعامل مع القرآن بهذه الطريقة تضيع وتتجاهل الكثير من القدرات العقلية التي لا يريدك الله أن تصل إلى اليقين بكل هذه الغيبيات التي ترفضها إلا من خلالها.

وأنا أتحدث عن القرآن هنا بصفته كتابي المقدس الذي أفهمه وأعلم كيف أن العقل في غاية تحرره ، وتجرده كخصوصية وانفراد إنساني لوظيفة السمع والبصر التي تحدث عنها القرآن كثيرا ، والعلم ، في أعمق تناوله ومن خلال هذا السمع والبصر المجرد أو الآلات التي يسرها الله لعباده لتضيف إليها قدرات فوق قدرات ، هما الاستخدام الأمثل لكل من العلم والعقل ، وأن على عكس ما يدعون هذا الكفر والإلحاد هو أسوأ استخدام لكليهما ، هو استخدام ناقص ، مشوه ، لا يمكن أن يؤدي إلى حقيقة ، وخصوصا إذا كانت هي أهم حقيقة يمكن أن يحاول العقل البشري الوصول إليها ، إنها حقيقة لابد أنها ستفرض نفسها على الجميع فرضا .